﴿الجزء العاشر﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام ابي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله﴾

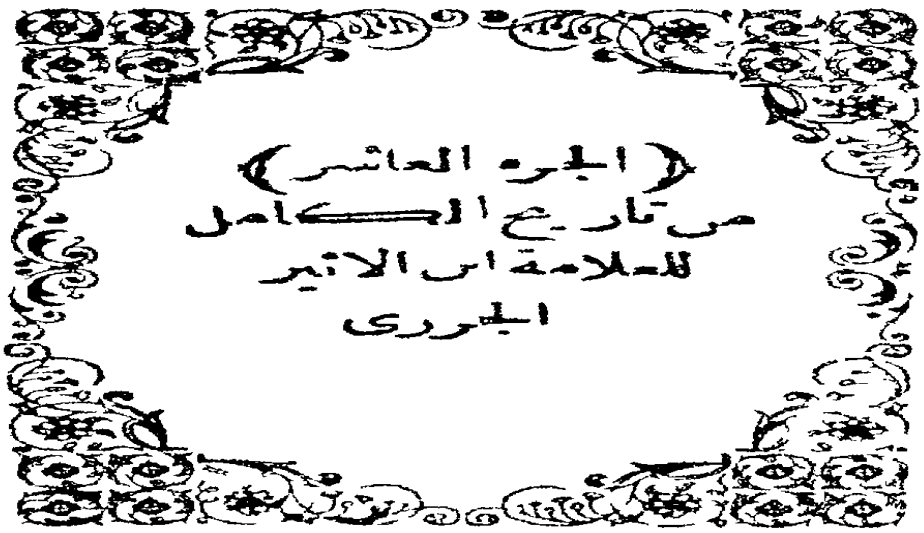
الجزء العاشر
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزرى

# ﴿ فهرسة الجزء العاشر من تاريخ الكامل لابن الاثير ﴾


صحيفة

٢ (سنة احدى وخمسين وأربعمائة)
٢ ذكر وفاة فرخ زاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم
٢ ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغري بك داود
٢ ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان
٣ ذكر حريق بغداد
٣ ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس
٣ ذكر عدة حوادث
٤ (سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة)
٤ ذكر عود ولي العهد الى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان
٤ ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب
٤ ذكر عدة حوادث
٥ (سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)
٥ ذكر وزارة ابن دارست للخليفة
٥ ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم
٦ ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة
٦ ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان
٦ ذكر عدة حوادث
٧ (سنة أربع وخمسين وأربعمائة)
٧ ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة
٨ ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير
٨ ذكر عدة حوادث
٨ (سنة خمس وخمسين وأربعمائة)
٨ ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة
٩ ذكر وفاة السلطان طغرلبك
٩ ذكر شيء من سيرته
١٠ ذكر ملك السلطان ألب ارسلان

صحيفة

١٠ ذكر خروج جموع من طاعة تميم بن المعز بافريقية
١٠ ذكر عدة حوادث
١٠ (سنة ست وخمسين وأربعمائة)
١٠ ذكر القبض على عميد الملك وقتله
١١ ذكر ملك ألب ارسلان خلاط وهراة وصغانيان
١٢ ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان ألب ارسلان ببغداد
١٢ ذكر الحرب بين ألب ارسلان وقتلمش
١٣ ذكر فتح ألب ارسلان مدينة آني وغيرها من بلاد النصرانية
١٤ ذكر عدة حوادث
١٥ (سنة سبع وخمسين وأربعمائة)
١٥ ذكر الحرب بين بني حماد والعرب
١٦ ذكر بناء مدينة بجاية
١٧ ذكر ملك ألب ارسلان جند وصيران
١٧ ذكر عدة حوادث
١٧ (سنة ثمان وخمسين وأربعمائة)
١٧ ذكر عهد ألب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه
١٧ ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس
١٨ ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما
١٨ ذكر عدة حوادث
١٨ (سنة تسع وخمسين وأربعمائة)
١٨ ذكر عصيان ملك كرمان على ألب ارسلان وعوده الى طاعته
١٩ ذكر عدة حوادث
١٩ (سنة ستين وأربعمائة)
١٩ ذكر عدة حوادث
٢٠ (سنة احدى وستين وأربعمائة)

| صحيفة | |
|---|---|
| ٣٠ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٠ | (سنة اثنتين وستين وأربعمائة) |
| ٣٠ | ذكر عدة حوادث |
| ٣١ | (سنة ثلاث وستين وأربعمائة) |
| ٣١ | ذكر الخطبة للقائم بامر الله والسلطان بحلب |
| ٣٢ | ذكر استيلاء السلطان الب ارسلان على حلب |
| ٣٢ | ذكر خروج ملك الروم الى خلاط وأسره |
| ٣٣ | ذكر ملك ادسز الرملة وبيت المقدس |
| ٣٣ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٤ | (سنة أربع وستين وأربعمائة) |
| ٣٤ | ذكر ولاية سعد الدوله كوهرائين شحنكية بغداد |
| ٣٤ | ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان |
| ٣٤ | ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس |
| ٣٤ | ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة قصلون بعمارس |
| ٣٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٥ | (سنة خمس وستين وأربعمائة) |
| ٣٥ | ذكر قتل السلطان ألب ارسلان |
| ٣٥ | ذكر نسب الب ارسلان وبعض سيرته |
| ٣٦ | ذكر ملك السلطان ملكشاه |
| ٣٦ | ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ |
| ٣٧ | ذكر قصد صاحب غزنة سكاكند |
| ٣٧ | ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك |
| ٣٧ | ذكر تفويض الامور الى نظام الملك |
| ٣٧ | ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان |
| ٣١ | ذكر عدة حوادث |
| ٣١ | (سنة ست وستين وأربعمائة) |
| ٣١ | ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه |
| ٣١ | ذكر غرق بغداد |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٣٢ | ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند |
| ٣٢ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٢ | (سنة سبع وستين وأربعمائة) |
| ٣٢ | ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته |
| ٣٣ | ذكر خلافة المقتدى بامر الله |
| ٣٤ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٤ | (سنة ثمان وستين وأربعمائة) |
| ٣٤ | ذكر ملك الافسيس دمشق |
| ٣٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٥ | (سنة تسع وستين وأربعمائة) |
| ٣٥ | ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها |
| ٣٦ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٧ | (سنة سبعين وأربعمائة) |
| ٣٧ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٧ | (سنة احدى وسبعين وأربعمائة) |
| ٣٧ | ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة |
| ٣٨ | ذكر استيلاء تتش على دمشق |
| ٣٨ | ذكر عدة حوادث |
| ٣٨ | (سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة) |
| ٣٨ | ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند |
| ٣٩ | ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب |
| ٣٩ | ذكر مسير ملكشاه الى كرمان |
| ٣٩ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٠ | (سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٠ | ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه |
| ٤٠ | ذكر عدة حوادث |
| ٤١ | (سنة أربع وسبعين وأربعمائة) |
| ٤١ | ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه |
| ٤١ | ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٤١ | ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس |
| ٤١ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٢ | (سنة خمس وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٢ | ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك |
| ٤٢ | ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة |
| ٤٢ | ذكر مسير الشيخ أبي اسحق الى السلطان في رسالة |
| ٤٣ | ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها |
| ٤٣ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٣ | (سنة ست وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٤ | ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر |
| ٤٤ | ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها |
| ٤٤ | ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة |
| ٤٤ | ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا |
| ٤٤ | ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان وأخذها منه |
| ٤٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٥ | (سنة سبع وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٥ | ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة |
| ٤٦ | ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل |
| ٤٦ | ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه |
| ٤٧ | ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية |
| ٤٧ | ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم |
| ٤٨ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٨ | (سنة ثمان وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٨ | ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٤٩ | ذكر استيلاء ابن جهير على آمد |
| ٤٩ | ذكر ملكه أيضا ميافارقين |
| ٤٩ | ذكر ملك جزيرة ابن عمر |
| ٤٩ | ذكر عدة حوادث |
| ٥٠ | (سنة تسع وسبعين وأربعمائة) |
| ٥٠ | ذكر قتل سليمان بن قتلمش |
| ٥١ | ذكر ملك السلطان حلب وغيرها |
| ٥١ | ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة |
| ٥٢ | ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج |
| ٥٣ | ذكر دخول السلطان الى بغداد |
| ٥٤ | ذكر عدة حوادث |
| ٥٥ | (سنة ثمانين وأربعمائة) |
| ٥٥ | ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة |
| ٥٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٥٦ | (سنة احدى وثمانين وأربعمائة) |
| ٥٦ | ذكر الفتنة ببغداد |
| ٥٦ | ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة |
| ٥٧ | ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها |
| ٥٧ | ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور |
| ٥٧ | ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود |
| ٥٧ | ذكر عدة حوادث |
| ٥٨ | (سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة) |
| ٥٨ | ذكر الفتنة ببغداد بين العامة |
| ٥٨ | ذكر ملك السلطان ملكشاه ماوراء النهر |
| ٥٩ | ذكر عصيان سمرقند |
| ٥٩ | ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني |
| ٦٠ | ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى أبيها |
| ٦٠ | ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام |
| ٦٠ | ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٦١ | ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا |
| ٦١ | ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم |
| ٦١ | ذكر عدة حوادث |
| ٦٢ | (سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة) |
| ٦٢ | ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جهير |
| ٦٢ | ذكر نهب العرب البصرة |
| ٦٣ | ذكر عدة حوادث |
| ٦٣ | (سنة أربع وثمانين وأربعمائة) |
| ٦٣ | ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير |
| ٦٤ | ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين |
| ٦٦ | ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية |
| ٦٨ | ذكر وصول السلطان الى بغداد |
| ٦٩ | ذكر عده حوادث |
| ٦٩ | (سنة خمس وثمانين وأربعمائة) |
| ٦٩ | ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان |
| ٧٠ | ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام |
| ٧٠ | ذكر ملك السلطان اليمن |
| ٧٠ | ذكر مقتل نظام الملك |
| ٧١ | ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره |
| ٧٢ | ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته |
| ٧٤ | ذكر ملك ابنه ابا لملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى أن ملك |
| ٧٥ | ذكر قتل تاج الملك |
| ٧٥ | ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة |
| ٧٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٧٦ | (سنة ست وثمانين وأربعمائة) |
| ٧٦ | ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق |
| ٧٦ | ذكر حال تتش بن الب ارسلان |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٧٦ | ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب |
| ٧٧ | ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام |
| ٧٧ | ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها |
| ٧٧ | ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق |
| ٧٨ | ذكر أخذ الحجاج |
| ٧٨ | ذكر عدة حوادث |
| ٧٩ | (سنة سبع وثمانين وأربعمائة) |
| ٧٩ | ذكر الخطبة للسلطان بركيارق |
| ٧٩ | ذكر وفاة المقتدي بامر الله |
| ٨٠ | ذكر خلافة المستظهر بالله |
| ٨٠ | ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر واذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد |
| ٨١ | ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه اصبهان بعد ذلك |
| ٨١ | ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر |
| ٨٢ | ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي |
| ٨٢ | ذكر عدة حوادث |
| ٨٣ | (سنة ثمان وثمانين وأربعمائة) |
| ٨٣ | ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم |
| ٨٤ | ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند |
| ٨٤ | ذكر ما فعله يوسف بن ابق ببغداد |
| ٨٤ | ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش |
| ٨٥ | ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما |
| ٨٦ | ذكر وفاة المعتمد بن عباد |
| ٨٧ | ذكر وفاة الوزير أبي شجاع |
| ٨٧ | ذكر الفتنة بنيسابور |
| ٨٧ | ذكر عدة حوادث |
| ٨٨ | (سنة تسع وثمانين وأربعمائة) |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٨٨ | ذكر قتل يوسف بن ابق والمجن الحاجب |
| ٨٨ | ذكر وفاة منصور بن مروان |
| ٨٩ | ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا |
| ٨٩ | ذكر ملك كربوقا الموصل |
| ٩٠ | ذكر عدة حوادث |
| ٩٠ | (سنة تسعين وأربعمائة) |
| ٩٠ | ذكر قتل ارسلان ارغون |
| ٩١ | ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور |
| ٩١ | ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى أخيه سنجر |
| ٩٢ | ذكر خروج أمير أميران بخراسان مخالفا |
| ٩٦ | ذكر عصيان الامير قودن وبارقطاش على السلطان واستعمال حبشي على خراسان |
| ٩٢ | ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه |
| ٩٣ | ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق |
| ٩٣ | ذكر الخطبة للعلوي المصري بولايه رضوان |
| ٩٤ | ذكر عدة حوادث |
| ٩٤ | (سنة احدى وتسعين وأربعمائة) |
| ٩٤ | ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية |
| ٩٥ | ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم |
| ٩٦ | ذكر ملك الفرنج معرة النعمان |
| ٩٧ | ذكر الحرب بين الملك سنجر ودقاق |
| ٩٧ | ذكر عدة حوادث |
| ٩٧ | (سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة) |
| ٩٧ | ذكر عصيان الامير انز وقتله |
| ٩٨ | ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس |
| ٩٩ | ذكر الحرب بين المصريين والفرنج |
| ٩٩ | ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه |
| ١٠٠ | ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٠٠ | ذكر قتل مجد الملك البلاساني |
| ١٠١ | ذكر عدة حوادث |
| ١٠١ | (سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة) |
| ١٠١ | ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد |
| ١٠٢ | ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد |
| ١٠٢ | ذكر قتل سعد الدولة كوهرآيين |
| ١٠٣ | ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داد حبشي |
| ١٠٣ | ذكر فتح تميم المعز مدينة سفاقس |
| ١٠٣ | ذكر عزل عميد الدوله من وزاره الخليفة ووفاته |
| ١٠٤ | ذكر ظفر المسلمين بالفرنج |
| ١٠٤ | ذكر عدة حوادث |
| ١٠٥ | (سنه أربع وتسعين وأربعمائة) |
| ١٠٥ | ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك |
| ١٠٥ | ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر |
| ١٠٦ | ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد |
| ١٠٧ | ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق |
| ١٠٧ | ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها |
| ١٠٧ | ذكر حال قاضي جبلة |
| ١٠٨ | ذكر قتل الباطنية |
| ١٠٩ | ذكر ما فعل بهم العامة باصبهان |
| ١٠٩ | ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم |
| ١١١ | ذكر ما فعله جاولي سقاو بالباطنية |
| ١١١ | ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك |

| صحيفة | |
|---|---|
| | غيره |
| ١١٢ | ذكر السبب فى قتل بركيارق الباطنية |
| ١١٢ | ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس |
| ١١٣ | ذكر ما ملك الفرنج من الشام |
| ١١٣ | ذكر عدة حوادث |
| ١١٤ | (سنة خمس وتسعين وأربعمائة) |
| ١١٤ | ذكر وفاة المستعلى بالله وولاية الآمر باحكام الله |
| ١١٤ | ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما |
| ١١٥ | ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما |
| ١١٥ | ذكر حصار السلطان محمد اصبهان |
| ١١٦ | ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور |
| ١١٧ | حادثة يعتبر بها |
| ١١٧ | ذكر الفتنة بين ايلغازى وعامة بغداد |
| ١١٨ | ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها |
| ١١٩ | ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن |
| ١٢٠ | ذكر حال صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس |
| ١٢٠ | ذكر ما فعله الفرنج |
| ١٢١ | ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب ابن بدر |
| ١٢١ | ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند |
| ١٢٢ | ذكر ملك محمد خان سمرقند |
| ١٢٢ | ذكر عدة حوادث |
| ١٢٣ | (سنة ست وتسعين وأربعمائة) |
| ١٢٣ | ذكر استيلاء ينال على الرى وأخذها منه ووصوله الى بغداد |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٢٣ | ذكر ما فعله ينال بالعراق |
| ١٢٤ | ذكر وصول كشتكين القيصرى شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازى وسقمان وصدقة |
| ١٢٥ | ذكر استيلاء صدقة على هيت |
| ١٢٥ | ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد |
| ١٢٦ | ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة |
| ١٢٧ | ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة |
| ١٢٧ | ذكر أخبار الفرنج بالشام |
| ١٢٨ | ذكر عدة حوادث |
| ١٢٨ | (سنة سبع وتسعين وأربعمائة) |
| ١٢٨ | ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة |
| ١٢٨ | ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر |
| ١٢٩ | ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد |
| ١٣٠ | ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام |
| ١٣ | ذكر غرو سقمان وجكرمش الفرنج |
| ١٣١ | ذكر وفاة دقاق وملك ولده |
| ١٣١ | ذكر استيلاء صدقة على واسط |
| ١٣١ | ذكر عدة حوادث |
| ١٣٢ | (سنة ثمان وتسعين وأربعمائة) |
| ١٣٢ | ذكر وفاة السلطان بركيارق |
| ١٣٢ | ذكر عمره وشئ من سيرته |
| ١٣٣ | ذكر الخطبة للكشاه بن بركيارق |
| ١٣٣ | ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل |
| ١٣٤ | ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والامير اياز |
| ١٣٥ | ذكر قتل الامير اياز |
| ١٣٦ | ذكر وفاة سقمان بن ارتق |
| ١٣٧ | ذكر حال البطنية هذه السنة بخراسان |
| ١٣٧ | ذكر حال الفرنج هذه السنة مع |

| صحيفة | |
|---|---|
| | المسلمين بالشام |
| ١٣٧ | ذكر حرب الفرنج والمصريين |
| ١٣٨ | ذكر عدة حوادث |
| ١٣٨ | (سنة تسع وتسعين وأربعمائة) |
| ١٣٨ | ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد |
| ١٣٩ | ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج |
| ١٣٩ | ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة |
| ١٤٠ | ذكر ملك صدقة البصرة |
| ١٤١ | ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها |
| ١٤٢ | ذكر ملك طغتكين بصرى |
| ١٤٢ | ذكر ملك الفرنج حصن افامية |
| ١٤٣ | ذكر نهب العرب البصرة |
| ١٤٤ | ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج |
| ١٤٥ | ذكر عدة حوادث |
| ١٤٥ | (سنة خمسمائة) |
| ١٤٥ | ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي |
| ١٤٦ | ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك |
| ١٤٦ | ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت |
| ١٤٧ | ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة |
| ١٤٧ | ذكر مسير جاولى سقاو والى الموصل وأسر صاحبها جكرمش |
| ١٤٨ | ذكر حصر جاولى سقاو والموصل وموت جكرمش |
| ١٤٩ | ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج |
| ١٤٩ | ذكر ملك قلج ارسلان الموصل |
| ١٥٠ | ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولى الموصل |
| ١٥١ | ذكر أحوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش |
| ١٥٢ | ذكر الخلاف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٥٣ | ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك |
| ١٥٣ | ذكر عدة حوادث |
| ١٥٤ | (سنة احدى وخمسمائة) |
| ١٥٤ | ذكر قتل صدقة بن مزيد |
| ١٥٨ | ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى |
| ١٥٩ | ذكر ملك يحيى قلعة قليبية |
| ١٥٩ | ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا |
| ١٦٠ | ذكر عدة حوادث |
| ١٦٠ | (سنة اثنتين وخمسمائة) |
| ١٦٠ | ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود |
| ١٦١ | ذكر حال جاولى مدة الحصار |
| ١٦٢ | ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجي |
| ١٦٢ | ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية |
| ١٦٢ | ذكر حال جاولى بعد اطلاق القمص |
| ١٦٣ | ذكر الحرب بين جاولى والفرنج |
| ١٦٤ | ذكر عود جاولى الى السلطان |
| ١٦٤ | ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها |
| ١٦٥ | ذكر انهزام طغتكين من الفرنج |
| ١٦٥ | ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد |
| ١٦٦ | ذكر عدة حوادث |
| ١٦٧ | (سنة ثلاث وخمسمائة) |
| ١٦٧ | ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام |
| ١٦٨ | ذكر ملك الفرنج جبيل وباناس |
| ١٦٨ | ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك |
| ١٦٨ | ذكر عدة حوادث |
| ١٦٩ | (سنة أربع وخمسمائة) |
| ١٦٩ | ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا |
| ١٦٩ | ذكر استيلاء المصريين على عسقلان |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٧٠ | ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره |
| ١٧٠ | ذكر عدة حوادث |
| ١٧٠ | (سنة خمس وخمسمائة) |
| ١٧١ | ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج |
| ١٧٢ | ذكر حصر الفرنج مدينة صور |
| ١٧٣ | ذكر انهزام الفرنج بالاندلس |
| ١٧٣ | (سنة ست وخمسمائة) |
| ١٧٤ | (سنة سبع وخمسمائة) |
| ١٧٤ | ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود |
| ١٧٥ | ذكر الخلاف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما |
| ١٧٥ | ذكر عدة حوادث |
| ١٧٦ | (سنة ثمان وخمسمائة) |
| ١٧٦ | ذكر مسير آقسنقر البرسقي الى الشام لحرب الفرنج |
| ١٧٦ | ذكر طاعة صاحب حرعش وغيرها البرسقي |
| ١٧٧ | ذكر الحرب بين البرسقي وايلغازي وأسر ايلغازي |
| ١٧٧ | ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر |
| ١٧٩ | ذكر عدة حوادث |
| ١٧٩ | (سنة تسع وخمسمائة) |
| ١٧٩ | ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج |
| ١٨٠ | ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم |
| ١٨٠ | ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علي |
| ١٨١ | ذكر عدة حوادث |
| ١٨١ | (سنة عشر وخمسمائة) |
| ١٨١ | ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان |
| ١٨١ | ذكر وفاة جاولي سقاو ووحال بلاد فارس معه |
| ١٨٣ | ذكر فتح جبل وسلات وتونس |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٨٤ | ذكر الفتنة بطوس |
| ١٨٤ | ذكر عدة حوادث |
| ١٨٤ | (سنة احدى عشرة وخمسمائة) |
| ١٨٤ | ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود |
| ١٨٥ | ذكر بعض سيرته |
| ١٨٥ | ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد |
| ١٨٦ | ذكر حصار قابس والمهدية |
| ١٨٦ | ذكر الوحشة بين رجار والامير علي |
| ١٨٧ | ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها |
| ١٨٧ | ذكر عدة حوادث |
| ١٨٧ | (سنة اثنتي عشرة وخمسمائة) |
| ١٨٧ | ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنكية ببغداد |
| ١٨٨ | ذكر وفاة المستظهر بالله |
| ١٨٨ | ذكر بعض أخلاقه وسيرته |
| ١٨٩ | ذكر خلافة الامام المسترشد بالله |
| ١٨٩ | ذكر هرب الامير أبي الحسن أخي المسترشد وعوده |
| ١٩٠ | ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقي ودبيس |
| ١٩١ | ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين |
| ١٩٢ | ذكر عدة حوادث |
| ١٩٣ | (سنة ثلاث عشرة وخمسمائة) |
| ١٩٣ | ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود |
| ١٩٣ | ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود |
| ١٩٥ | ذكر غزاة ايلغازي بلاد الفرنج |
| ١٩٦ | ذكر وقعة أخرى مع الفرنج |
| ١٩٦ | ذكر قتل منكوبرس |
| ١٩٧ | ذكر قتل الامير علي بن عمر |
| ١٩٧ | ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ١٩٧ | ذكر ملك علي بن سكمان البصرة |
| ١٩٨ | ذكر عدة حوادث |
| ١٩٩ | (سنة أربع عشرة وخمسمائة) |
| ١٩٩ | ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما |
| ٢٠٠ | ذكر حال دبيس وما كان منه |
| ٢٠٠ | ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس |
| ٢٠١ | ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة |
| ٢٠١ | ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما |
| ٢٠٥ | ذكر وفاة المهدى وولاية عبد المؤمن |
| ٢٠٧ | ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش |
| ٢٠٨ | ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة |
| ٢٠٨ | ذكر حصر مدينة كتندة |
| ٢٠٨ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٠٩ | (سنة خمس عشرة وخمسمائة) |
| ٢٠٩ | ذكر اقطاع البرسقى الموصل |
| ٢٠٩ | ذكر وفاة الامير على وولاية ابنه الحسن افريقية |
| ٢٠٩ | ذكر قتل أمير الجيوش |
| ٢١٠ | ذكر عصيان سليمان بن ايلغازى على أبيه |
| ٢١٠ | ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازى |
| ٢١٠ | ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها |
| ٢١١ | ذكر عدة حوادث |
| ٢١٢ | (سنة ست عشرة وخمسمائة) |
| ٢١٢ | ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود |
| ٢١٢ | ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه |
| ٢١٣ | ذكر قتل السميرمى |
| ٢١٤ | ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد |
| ٢١٤ | ذكر قتل جيوش بك |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢١٥ | ذكر وفاة ايلغازى وأحوال حلب بعده |
| ٢١٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٢١٥ | (سنة سبع عشرة وخمسمائة) |
| ٢١٥ | ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس |
| ٢١٧ | ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب |
| ٢١٧ | ذكر ملك بلك حران وحلب |
| ٢١٧ | ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية |
| ٢١٨ | ذكر استيلاء الفرنج على طرابلس وأخذها منهم |
| ٢١٨ | ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة |
| ٢١٩ | ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج |
| ٢١٩ | ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر |
| ٢١٩ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٢٠ | (سنة ثمان عشرة وخمسمائة) |
| ٢٢٠ | ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب |
| ٢٢٠ | ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام |
| ٢٢١ | ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية برتقش الزكوى |
| ٢٢١ | ذكر ملك البرسقى مدينة حلب |
| ٢٢٢ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٢٢ | (سنة تسع عشرة وخمسمائة) |
| ٢٢٢ | ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه |
| ٢٢٣ | ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزام من الفرنج |
| ٢٢٤ | ذكر قتل المأمون بن البطائحى |
| ٢٢٤ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٢٤ | (سنة عشرين وخمسمائة) |
| ٢٢٤ | ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس |
| ٢٢٤ | ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان |
| ٢٢٥ | ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢٣٥ | ذكر قتل البرسقي وملك ابنه عز الدين مسعود |
| ٢٣٦ | ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود |
| ٢٣٧ | ذكر مصاف بين طغتكين اتابك والفرنج بالشام |
| ٢٣٨ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٣٨ | (سنة احدى وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٣٨ | ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكي شحنكية العراق |
| ٢٣٨ | ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد |
| ٢٣٥ | ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل وأعمالها |
| ٢٣١ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٣١ | (سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٣١ | ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكي مدينة حلب |
| ٢٣٢ | ذكر قدوم السلطان سنجر الى الري |
| ٢٣٢ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٣٣ | (سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٣٣ | ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد |
| ٢٣٣ | ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد |
| ٢٣٣ | ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق |
| ٢٣٤ | ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم |
| ٢٣٥ | ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة |
| ٢٣٥ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٣٥ | (سنة أربع وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٣٥ | ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور |
| ٢٣٦ | ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب وهزيمة الفرنج |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢٣٧ | ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجي ودارا |
| ٢٣٧ | ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي |
| ٢٣٧ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٣٨ | (سنة خمس وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٣٨ | ذكر أسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكي |
| ٢٣٩ | ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه دارد |
| ٢٣٩ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٤٠ | (سنة ست وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٤٠ | ذكر قتل أبي علي وزير الحافظ ووزارة يانس ومونه |
| ٢٤٠ | ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود |
| ٢٤١ | ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر |
| ٢٤٢ | ذكر مسير عماد الدين زنكي الى بغداد وانهزامه |
| ٢٤٣ | ذكر حال دبيس بعد الهزيمة |
| ٢٤٣ | ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق |
| ٢٤٣ | ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك |
| ٢٤٤ | ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود |
| ٢٤٤ | ذكر عدة حوادث |
| ٢٤٤ | (سنة سبع وعشرين وخمسمائة) |
| ٢٤٤ | ذكر ملك شمس الملوك بانياس |
| ٢٤٥ | ذكر حرب بين المسلمين والفرنج |
| ٢٤٥ | ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل |


تمت

## ﴿ فهرسة تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى الذى بهامش هذا الجزء ﴾


| | |
|---|---|
| ٢ | ذكر خلافة المعتمد على الله |
| ٢ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ٤٣ | ذكر خلافة المعتضد بالله |
| ٤٤ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ٩٩ | ذكر خلافة المكتفى بالله |
| ١٠٠ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ١١٧ | ذكر خلافة المقتدر بالله |
| ١١٨ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ١٣٨ | ذكر خلافة القاهر بالله |
| ١٣٨ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ١٤٩ | ذكر خلافة الراضى بالله |
| ١٥٠ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ١٧٠ | ذكر خلافة المتقى لله |
| ١٧٠ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ١٨٧ | ذكر خلافة المستكفى بالله |
| ١٨٧ | ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه |
| ٢٠٥ | ذكر خلافة المطيع لله |
| ٢٢٥ | ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت |
| ٢٢٦ | ذكر أيام بنى مروان |
| ٢٢٧ | ذكر الخلفاء من بنى هاشم |
| ٢٣٢ | ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة |

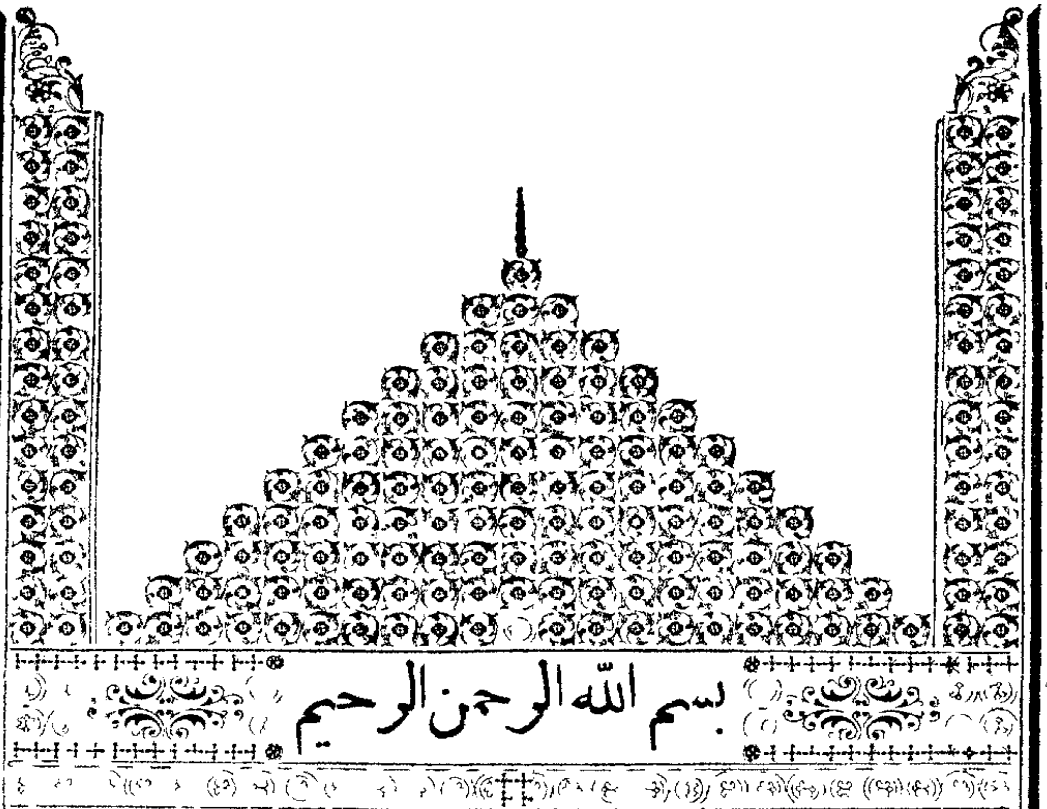

بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ثم دخلت سنة احدى وخمسين وأربعمائة﴾

### ﴿(ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم)﴾

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو فى الحمام وكان معه سيف فاخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه أصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد أن نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقى كذلك الى هذه السنة فاصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم بن مسعود بن محمود فاحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

### ﴿(ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغرى بك داود)﴾

فى هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على ان يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك مازعة الآخر فى ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير انفاق الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا فى الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

### ﴿(ذكر وفاة داود وملك ابنه الب ارسلان)﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو السلطان طغرلبك وقيل كان موته فى صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم وما نعهم عن خراسان فلما توفى ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكور منهم السلطان ألب ارسلان وياقوتى وسليمان

﴿ذكر خلافة المعتمد على الله﴾

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل يوم الثلاثاء لاربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد كردية يقال لها فتيان ومات فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وهو ابن ثمان وأربعين سنة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ثم استوزر الحسين بن مخلد ثم صارت الوزارة الى سليمان بن وهب ثم صارت الى صاعد وخلع المعتمد على أخيه أبى أحمد الموفق وعلى مفلح يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ثمان وخمسين ومائتين وأشخصهما الى البصرة لمحاربة صاحب الزنج فأوقع مفلح التركى بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسين ومائتين فأصاب مقاتلهما سهم فى

وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ماذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا على ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضي سرخس يقول له بلغني اخرابك البلاد التي فتحتها وملكتها وجلاء أهلها عنها وهذا مما لا يخفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت اننا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلا وهم في ثلثمائة فغلبناهم وكنا في ثلثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو في اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فطفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضي نعم الله علينا ان نقابلها هذه المقابلة فقال طغرلبك قل له في الجواب يا أخي أنت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وأنا وردت بلادا خربها من تقدمني واجتاحها من كان قبلي فما امكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

## ﴿ذكر حريق ببغداد﴾

في هذه السنة احترقت ببغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها الموقع الحريق فاز الهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمر المدارس ودون العلم في بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

## ﴿ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس﴾

في هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير وأصلح معه حال دبيس بن مزيد وأحضره معه الى خدمة السلطان وأصعد في صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار وضمن البصرة الاغر أبو سعد ابور بن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه أبو الفتح بن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وأبو علي بن الملك أبي كاليجار وصدقة بن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وأمر الخليفة بعمل طعام كثير حضره السلطان والامراء وأصحابهم وعمل السلطان أيضا سماطا احضر فيه الجماعة وخلع عليهم وسار الى بلاد الجبل في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير برسق وضمنها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بار بعمائة ألف دينار

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهتدي من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوي ببغداد

*وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في خلافة المعتمد وهو ابن تسع وعشرين سنة وهو أبو المهدي المنتظر والامام الثاني عشر عند القطيعة من الامامية وهم جمهور الشيعة وقد تنازع هؤلاء في المنتظر من آل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن علي عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها في كتابنا المترجم بسر الحياة وفي كتاب المقالات في أصول الديانات وما ذهبوا اليه من الغيبة وغير ذلك (وقد كان المهتدي) سير بفتيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز واسمعيل بن المتوكل وطلحة ابن المتوكل وعبد الوهاب ابن المنتصر الى مكة فلما أفضت الخلافة الى المعتمد بعث بحملهم الى سامرا وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب ابن الليث الصفار نحو العراق في جيوش عظيمة فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط وبغداد وقد أتينا في كتابنا في أخبار الزمان على بدو خبر يعقوب بن الليث ببلاد سجستان وكونه في حال صغره صفارا وخروجه

في الفتنة وأقيم مقامه بها الشرف أبو علي الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله وفيها توفي علي بن محمود بن ابراهيم الزوزني أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصري وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي وهو الذي نسب اليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور وفيها في جمادى الاولى توفي محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب العشاري ومولده في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وسمع الدارقطني وغيره

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر عود ولي العهد الى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان)﴾

في جمادى الآخرة ورد عدة الدين أبو القاسم المقتدي بأمر الله ولي العهد ومعه جدته أم الخليفة وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن المحلبان فركب في الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به وكان سبب مسير ولي العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده بها وهم مطلوبون من البساسيري فعرفوه ان رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله وأقام لهم من حماهم الى ميافارقين فسار واصحب قراوش لما اصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه أبو الفضل محمد ابن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولي العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتته بهم سرا فتركهم عنده ثمانية أشهر وكان يحضر ابن البساسيري وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولي العهد ومن معه مستترون عنده يسمعون ما يقول أولئك فيهم ثم اكترى لهم وسار هو في صحبتهم الى قريب سنجار ثم حملوا الى حران وسار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثاب النميري حين قصد الرحبة وفتح قرقيسيا وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

﴿(ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب)﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وضيق عليها واجتمع معه جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم ناصر الدولة وعاد مقهورا الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهي مشهورة

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجي وردت اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسق الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفي أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها استدبنوورام بشق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح في عمارة شوق الكرخ وفيها في

المعروفة باوق وترقى الامر بيعقوب الى أن كان من أمره ودخوله بلاد زياستان وهي بلاد فيروز بن كيك ابن زياستان وما كان من أمره مع زميل ملك السند على جسر نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ واعماله الحيلة الى أن دخل بلاد نيسابور وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين ثم دخوله الى بلاد طبرستان ومواقعته الحسن بن زيد الحسيني مع ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي وما كان من أمره في أيام عبد الله بن طاهر واليه تضاف الحمزية من الخوارج وانتهينا باخبار يعقوب بن الليث من بدئه الى غايته ووفاته ببلاد جند اسابور من كور الاهواز فلما نزل يعقوب ابن الليث دير العاقول خرج المعتمد فعسكر يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم بسامرا واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد الى سبت بني كرمان يوم الخميس لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الاحد

ذى القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الرى فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها جمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها فى صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بامر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهى جارية أرمينية وفيها توفى محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو على المعروف بالجازرى النهروانى وكان مكثرا من الرواية (الجازرى بالجيم وبعد الالف زاى ثم راء) وفيها توفى باى أبو منصور الفقيه الجبلى بالباء الموحدة وبعد الالف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبى الفضل الفقيه المالكى

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر وزارة ابن دارست للخليفة﴾

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أباتراب الاثيرى فى الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف فى وزارة أبى الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا فأجيب الى ذلك فأحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس فى منصبه ومدحه الشعراء فمن مدحه وهنأه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

أمن الملك بالامين أبى الفتـ ـح وصدت عن صفوه الاقذاء
درلة أصبحت وأنت ولى السـ ـرأى فيها والدولة غـراء

وهى طويلة وكان ابن دارست فى أول أمره تاجرا للملك أبى كاليجار

﴿ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم﴾

فى هذه السنة توفى المعز بن باديس صاحب افريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثمان سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا منجنبا للسفك الدماء الا فى حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتى وكان عنده وقد جاءه هذا المال فاستكثره فامر به فافرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باحراجه من أو عينه قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حى وان طال المدى هلك * لاعز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على اعقابه فرما * أوكاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى فى خزائنه * هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الا حسام ساله قدر * على الذين بغوا فى الارض وانهمكوا
كانه لم يخض للموت بحر وغى * خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة * قد أرعيت باسمه ابريزها السبك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا * فانظر بأى ضياء يصعد الفلك

ولما توفى ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التى هى مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية فى صفر سنة خمس وأربعين فاقام بها الى ان وافاه أبوه المعز

واستباح عسكره وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسبت فغشى الماء الصحراء وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه وقد كان حمل على أصحاب السلطان فى ذلك اليوم بضع عشرة حملة وغرق ابراهيم ابن سبا وقتل بيده خلقا كثيرا وطعن محمد ابن أوتامش التركى وكان يتوهم أنه خادم وقال لاصحابه ما رأيت فى عسكرهم مثل هذا الخادم وقد كان الصفار فى هذا اليوم قصد الميمنة وكان عليها موسى ابن بغا وقتل خلقا كثيرا من الناس منهم المغربى المعروف بالمبرقع ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد فغنم الاكثر من ماله وعدده واستنقذ محمد ابن طاهر بن عبد الله ابن طاهر وكان مقيدا كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ومعه الحسن ابن قريش وأتى الموفق وكان فى القلب محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ورده الى مرتبته وقيل ان السبب كان فى هزيمة الصفار فى ذلك اليوم مع ما ذكرنا من فجر النهر وانتظام الخيول فيه أن بصيرا الديلمى مولى سعيد بن صالح الحاجب كان فى الشذوات فى بطن دجلة فوافى مؤخر عسكر

لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان ينسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه فى حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم فى أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم وأظهر كثير منهم الخلاف فمن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا عن أهلها

﴿ذكر وفاة فريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة﴾

فى هذه السنة توفى قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينيه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتوفى هناك وسمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير حاله فسار من دارا الى نصيبين وجمع بنى عقيل على أن يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بامره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة باخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

﴿ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان﴾

فى هذه السنة توفى نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجوارى المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان فى مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتى ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الحبل الياقوت الذى كان لبنى بويه اشتراه من الملك العزيز أبى منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم ابن المغربى وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار فى أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور فى الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من الاهراء التى له فكانت فى ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة بن جهير وابنه نصر فرتب نصرا فى الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر فى آخرها النصر فاستقر فى الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى رجب خلع على الكامل أبى الفوارس طراد بن محمد الزينبى وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبى عبد الله بن على نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها فى جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب وأظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها فى شهر رمضان توفى شكر العلوى الحسينى أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوّض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان فى الاوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانها حطب

من حمر وغيرها فتفرقت الابل فى العسكر وشردت البغال والخيل واضطرب الناس فى مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه فى عسكره وسواده من ورائهم فكانت الهزيمة على الصفار على ما ذكرنا ويقال ان يعقوب ابن الليث قال فى سفرته هذه أبياتا وفى مسيره وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالى أضاعتهم الدين واهمالهم أمر صاحب الزنج فقال

خراسان أحويها وأعمال فارس
وما أنا من ملك العراق بآيس
اذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت
ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة
وصاحب رايات الهدى غير حارس

(وكانت وفاة الصفار) يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين ومائتين على ما ذكرنا بجندا سابور (وخلف فى بيت ماله) خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف ألف دينار وخلفه أخوه عمرو بن الليث مكانه وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من الملوك من الامم الغابرة

وفيها توفى أبو القاسم على بن محمد بن يحيى الشمشاطى بدمشق وكان عالما بالهندسة والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذى عند جامع دمشق

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة﴾

فى هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبى سعد قاضى الرى فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل فى الجواب أبا محمد التميمى وأمره ان يستعفى فان أعفى والاتمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا وأعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن ان يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل أضعاف ما طلب منه فقال التميمى الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاعمال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وماشا كلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فراهرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الرى فلما وصل الى الامام القائم بأمر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان أعفيا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعى على دم وأحرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضى القضاة والشيخ أبو منصور ابن يوسف وأنهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع له ابن دارست وزير الخليفة دعوة فحضر عنده فرأى على مسجد مكتوبا معاوية نال على فأمر بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائى كتابا يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك نحن نرد الامر الى رأيك ونعول على أمانتك ودينك فحضر يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسأل مولانا أمير المؤمنين التطوّل بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر فى المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغيظا ورحل فى السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب فى اتفاق الحال من خمارتكين الطغرائى فتغير السلطان عليه فهرب فى ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضى القضاة والشيخ أبى منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائى من الخليفة الذى قتلت أخى فى خدمته وانفقت أموالى فى نصرته وأهلكت خواصى فى محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار وأما الطغرائى فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد ابراهيم ينال للسلطان ان هذا قتل أبانا ونسأل ان نحكم من قتله وأعانهم عميد الملك فاذن لهم فى قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه ساوتكين وبسط الكندرى لسانه وطلب طغرلبك ابنة أخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى ما كان يفضى الى الفساد الكلى فلما رأى الخليفة شدة الامر أذن فى ذلك وكتب الوكالة باسم عميد الملك وسيرت الكتب مع أبى الغنائم بن المحلبان وكان العقد فى شعبان سنة أربع وخمسين بظاهر تبريز وهذا ما لم يحر للخلفاء مثله فان بنى بويه مع

على طاعته لما كان قد سلفهم من احسانه وغمرهم من بره وملأ قلوبهم من هيبته فما ذكر من ظهور طاعتهم له انه كان بأرض فارس وقد أباح الناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد القلة والرحيل من تلك الكورة فنادى منادية بقطع الدواب عن الرتع وانه رؤى رجل من أصحابه قد أسرع الى دابته والحشيش فى فيها فأخرجه من فيها مخافة أن تأكله بعد سماعه النداء وأقبل على الدابة مخاطبا لها فقال بالفارسية أمير المؤمنين دوابرا أزتر بريدند وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن الرطبة وأنه رؤى فى عسكره فى ذلك الوقت رجل من قواده درعه وجوشنه والدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه وبين بشرته فقيل له فى ذلك فقال نادى منادى الامير البسوا السلاح وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب عن السلاح وكان الرجل اذا أتاه راغبا فى خدمته مؤثرا للانقطاع اليه تفرس فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمى أو طعان أو غير ذلك من ثقافة فاذا رأى منه ما يعجبه سأل عن خبره وحاله ومن أين أقبل ومع من كان فاذا وافقه ما سمعه منه قال له اصدقنى عما معك من المال والمتاع والسلاح

تحكمهم وتخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا فى مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالا كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة ولوفى العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل يعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة السلطان التى توفيت للسيدة ابنة الخليفة

﴿ذكر عزل ابن داريست ووزارة ابن جهير﴾

فى هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن المنصور بن داريست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه انسان يهودى يقال له ابن علان فضمن أعمال الوكلاء التى لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة ومائة ألف دينار فصح منها ألفا كر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقى فظهر عجز ابن داريست ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفى بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير نصر الدولة بن مروان قد أرسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولا كثيرة فأجيب اليها وأرسل كامل طراد الزينبى الى ميافارقين كانه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له فتمم السير معه وخرج ابن مروان فى أثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر فى الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل وغيره من الشعراء

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط وفيها توفى القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرر على مسافر ملكها مائة ألف دينار وألف ثوب وفيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام أخوه عطية مقامه وتوفى الحسن ابن على بن محمد أبو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن أبى بكر القطيعى والابهرى وابن شاذان وغيرهم

﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة﴾

فى هذه السنة فى المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد وأراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء أبو على بن الملك أبى كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور فرامرذ بن كاكويه فنزل عسكره فى الجانب الغربى فزادهم أذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون فى دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن نفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها شيأ كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة أيام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على أبى سعيد القاينى بمائة وخمسين ألف دينار فاعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبى جعفر بن صقالب بمائتى ألف دينار

فيعف على جميع ما معه ثم يبعث ويثبت فى الديوان ثم يزيح علله فى اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحمير من اصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج اليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته فان نقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل اليه محتفلا بما معه من ذلك العين والورق الا أن يكون ذلك الرجل معتمدا فيصير له فضل من أرزاقه فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله وكان جميع دوابه ملكا له وان اعلافها من قبله ولها سياسة ووكلاء يقومون بأمرها الا خصوص دوابهم التى تكون عندهم الان ملكها له واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حيثما توجه من مسيره فيكثر الجلوس عليه ويشرف منه على أهل عسكره وعلى قضيم دوابه ويؤمن الخلل من وكلائه فاذا رأى شيأ يكرهه بادر بتغييره وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيار لهم والغنى الظاهر منهم والنكاية فى حروبهم فجعلهم أصحاب الاعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ثم يليهم فى اللباس والغنى فوج ثانى أصحاب الاعمدة الفضة فاذا كان

عدة للنوائب (وسئل بعض ثقاته) ممن ينظر حاله عن اشغاله في خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ولا يعرف أحدا بتدبيره وعزمه وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريده ويظهر غير ما يضمره ولا يشرك أحدا فيما يريده برأي ولا غيره وأن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ففي هذا أكثر شغله اذا فرغ من تدبيره وما واقع الصغار الحسن بن زيد الحسيني بطبرستان وذلك في سنة ستين ومائتين وقيل سنة تسع وخمسين ومائتين وانكشف الحسن ابن زيد وأمعن يعقوب في الطلب وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد وهم راجعون في طلب الحسن بن زيد قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم في تلك الحرب ما رأيت أيها الامير كاليوم قال له الصغار وأعجب منه ما أريك اياه

## ﴿ذكر وفاة السلطان طغرلبك﴾

في هذه السنة سار السلطان من بغداد في ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الري واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فاخذها معه فمرض وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يولد له وكان وزيره الكندري على سبعين فرسخا فاتاه الخبر فسار ووصل اليه في يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وحاسب له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندري أنه قال رأيت وانا بخراسان في المنام كانني رفعت الى السماء وانا في ضباب لا ابصر معه شيأ غير أني اشم رائحة طيبة وانني اتادى انك قريب من الباري جلت قدرته فاسأل حاجتك اقتضى فقلت في نفسي اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفيني فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفيني فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحصره الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثني عشر يوما واما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بني ورام والى بدر بن المهلهل بالاستدعاء الى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القاني صاحب بغداد سورا على قصر عيسى وجمع العلات فاخذ ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وتسلم أصحابه الابار وانتشرت البادية في البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام وتوفي ببغداد أبو الفتح ابن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الى حرزيا وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحي فسار نور الدولة والاكراد بنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليه من ديوان الخلافة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل له شرف الدولة سماطا كثيرا وكان في الجماعة الاشرف أبو الحسين بن نحرير الملك أبي غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة مستجيرا فقمع لنمة فات من سائله وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضني فقد ضجرت من الاصاقة فلما توفي ورفع من السماط خاف شرف الدولة ان يطن من حضر انه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن نحرير الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذي بين يديه فاستحسن الجماعة عمله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب في البلاد ونهبهم حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

## ﴿ذكر شيء من سيرته﴾

كان عاقلا حليما من اشد الناس احتمالا واكثرهم كتمانا لسره ظهر على طغرلبك كتبها بعض خواصه الى الملك أبي كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لتغيره وحكى عنه اقضى القضاة الماوردي قال لما أرسلني القائم بامر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد اذكر فيه سيرته وخراب بلاده واطمع عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامي فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثني فيه بشيء ولا بتغير عما كان عليه من اكرامي وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان طلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وايديهم مطلقة في ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل في نفسه



ثم قربوا من الموضع الذي كان فيه عسكر الحسن بن زيد فوجدوا البدر في

والكراع والسلاح والعدد وجميع منه بشئ ولا دنوا اليه معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذى خلفهم فيه الصفار فقال له الرسول هذه سياسة ورياضة راضهم الامير بها الى أن تأتى له منهم ما أراده وكان لا يجلس الا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار فى عرض ذراعين أو أربع والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه وليس فى مضربه شئ غيره فاذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع راية فيجعلها مخدته وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى (وكان من سنته) للقواد والرؤساء والعظماء عنده مراتب فى الدخول بباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ويرى مداخلهم فيميزون مع أطناب الشقاق الى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها لكنه يرى مداخلهم اليها ومخرجهم منها فمن احتاج اليه منهم واحتاج الى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ولم يكن لاحد أن يتقدم الى باب مجلسه الا رجل من خواصه يعرف بالعزيز واخوته وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه فاذا احتاج الى أمر السلطان

أربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فارسل ملك الروم الى نصر الدولة ابن مروان حتى خاطب طغرلبك فى فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومى الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فانفذه ملك الروم الى طغرلبك مالم يحمل فى الزمان المتقدم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وانفذ مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهرى وثلثمائة حمار مصرية وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وانفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذى بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل فى محرابه فوسا ونشابة وأشاع المهادنة

## ﴿ذكر ملك السلطان ألب ارسلان﴾

لما مات السلطان طغرلبك اجلس عميد الملك الكندرى فى السلطنة سليمان بن داود جغرى بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فعصى باغى سيان وأردم الى قزوين وخطبا لعضد الدولة ألب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرى للسلطان ألب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

## ﴿ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية﴾

فى هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز بن باديس فجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه وأخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم منصورا ظافرا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا عليه فملكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير أبى الفرج بن المغربى وفيها دخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه افعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فغاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة بن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على أبو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد الاسفرايينى وسمع الحديث الكثير ورواه وكان مولده بسرخس

## ﴿ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر القبض على عميد الملك وقتله﴾

فى هذه السنة قبض السلطان ألب ارسلان على الوزير عميد الملك أبى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير ألب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار أكثر الناس معه فخوف

السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه الى مرو الروذ وأتى عليه سنة فى الاعتقال ثم أنفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقال له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج الى مسجد هناك فصلى ركعتين وأراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله فى ذى الحجة وألف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفا وأربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد نيسابور طلب رجلا يكتب له ويكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبى سهل واعطة السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله فى غلام ترك صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه لو أراد الله خيرا * وصلاحا لحببه
نقلت رقة خديه * الى قسوة قلبه صانه الله فما أكثر اعجابى بحبه

ومن شعره

ان كان بالناس ضيق من مناقشتى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعنى * كل لكاس المنايا شارب حاسى

وقال أبو الحسن الباخرزى يخاطب ألب ارسلان عند قتل الكندرى

وعمك ادناه وأعلى محله * وبوأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده * فخوله الدنيا وخوله العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل اعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطنة وقال فيه على بن الحسن الباخرزى

قالوا محا السلطان عنه تعزة * سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة * لما اغتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف ان يسمى بعضه * أنثى لذلك جذه مستاصلا

يعنى بالانثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة فى الشافعى رضى الله تعالى عنه بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان فى لعن الرافضة على منابر خراسان فاذن فى ذلك فامر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فانف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم القشيرى والامام أبو المعالى الجوينى وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة أربع سنين الى ان انقضت دولته يدرس ويفتى فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة فى الشافعى فان صح فقد أفلح والا فعلى نفسها براقش تجنى ومن العجب ان ذكره دفن بخوارزم لما خصى ودمه مسفوح عبرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا لحفه مدفون بنيسابور ونقل لحفه الى كرمان لان نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولى الابصار ولما قرب للقتل قال للقاصد اليه قل لنظام الملك بئسما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه ولم يخالف عميد الملك غير بنت

﴿ ذكر ملك ألب ارسلان خلاطا وهراة وصغانيان ﴾

لما توفى طغرلبك وملك ألب أرسلان عصى عليه أمير خلاط بقلعته ومنع الخراج فقصده

مطنبة كلها يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد فهو المأخوذ به ويذبح له فى كل يوم عشرون شاة فتطبخ فى خمس قدور من الصفر الكبار وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهيه وله اوزة فى كل يوم وخبيصة وفالوذج مع القدور الخمس وهى ألوان غليظة فيأكل منها ويفرق الباقى فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ثم أهل عسكره حول مضربه وفرقهم منه على حسب مراتبهم عنده (وقال بعض من ورد اليه) برسالة السلطان أيها الامير أنت فى رياستك ومجلسك ليس فى خيمتك الا سلاحك ومسح أنت عليه قال ان رئيس القوم يأتم به أصحابه فى أفعاله وسيرته فلو استعملت ما ذكرت من الاثاث لاثقلنا البهائم ولاتتم بى فى فعلى من فى عسكرى ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والاودية والقيعان ولا يصلح لنا الا التخفيف وكان قليل الاستعمال للبغال فى عسكره وكان فى عسكره

خمسة آلاف جمل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبغال وهى الحمير المعروفة بالصفارية تحمل الاثقال عوضا من البغال

السلطان فرأى الحصن منيعا على شاهق فاقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى مراده ففى بعض الايام باشر ألب أرسلان القتال بنفسه وترجل وصعد فى الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه فى الموقف وألحوا فى الزحف والقتال وكان صاحب القلعة لى شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فاتته نشابة من العسكر فقتلته وتسلم ألب أرسلان القلعة وصارت فى جملة ممالكه وكان عمه نخر الملك يغبو بن ميكائيل فى هراة فعصى أيضا عليه وطمع فى الملك لنفسه فسار اليه ألب أرسلان فى العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وأدام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه وأكرمه وأحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه ألب أرسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى أسيرا فامر بقتله فبذل فى نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية باسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

﴿ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان ألب أرسلان ببغداد﴾

فى هذه السنة أمر السلطان ألب أرسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد وأعلمها أنه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الرى بغير رضا الخليفة وأمر الامير أيتكين السليمانى بالمسير فى خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وأنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير فى الصحبة وأمر بالمخاطبة فى اقامة الخطبة له فمات فى الطريق مجدرا وهذا أبو سهل مدرس أصحاب الشافعى بنيسابور وكان يحضر طعامه فى رمضان كل ليلة أربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا فى الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة بن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم وافترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجاس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد ألب أرسلان للسلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبى فوصلوا اليه وهو بتقجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة

﴿ذكر الحرب بين ألب أرسلان وقتلمش﴾

سمع ألب أرسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية أيضا وهو جد الملوك أصحاب قونية وقيصرية وأقصرا وملطية ومناهذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الرى ليستولى عليها فجهز ألب أرسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الرى فسبقوا قتلمش اليها وسار ألب أرسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان أرسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فأجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الرى وأجرى الماء على وادى الملح وهى سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطى وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من أعظم اعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبأ الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى ان أطالعه فى ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد

ولیعقوب بن اللیث الصفار وعمرو بن اللیث أخیه سیر وسیاسات عجیبة وحیل ومکاید فی الحروب قد أتینا علی ذکرها وما انتظم لناقی وصفها فی کتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذکر فی هذا الکتاب منها لمعا لم نعرض لذکرها فیما سلف من کتبنا (وفی سنة أربع وستین ومائتین) وذلک فی خلافة المعتمد کانت وفاة موسی بن بغا وفیه یقول بعض الشعراء وکان قد امتدحه فلم یصله بشیء

مات موسی فهان ذاک علینا
لم یضرنی اذ قبل قد مات شیبا
وکذا لا یضرنی من مضی لم
یسد خیرا الی اذ کان حیا

(وفی هذه السنة) وهی سنة أربع وستین ومائتین مات أبو ابراهیم اسمعیل ابن یحیی المزنی صاحب المختصر من علم محمد بن ادریس الشافعی یوم الخمیس لست بقین من شهر ربیع الاول من هذه السنة بمصر (وفیها) مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخی عبد الله بن وهب وکان وصاحب مالک ابن أنس وقد روی عن عمه عبد الله بن وهب عن مالک (وفیها) مات یونس ابن عبد الاعلی الصدفی بمصر وهو ابن اثنتین وتسعین سنة (وفیها) مات أبو خالد یزید بن سنان بمصر وصلی

لمحاجزة وجعل السبخة بينه وبين ألب أرسلان ليمتنع من اللقاء فسلك ألب أرسلان طريقا في الماء وخاض غمرته وتبعه العسكر فطلع سالما هو وعسكره فصار وامع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا لساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهي من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لا يدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله أعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل ألب أرسلان الى مدينة الري آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركي ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان أولاده من بعده لم يزالوا يدنون هذه العلوم الاولية ويقربون أهلها فاضلهم بهذا غضاضة في دينهم وسيرد من أخبارهم ما يعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم

﴿ (ذكر فتح ألب أرسلان مدينة آني وغيرها من بلاد المصرانية) ﴾

ثم سار السلطان من الري أول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند أتاه أمير من أمراء الاتركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين رمعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر في مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى تفجوان فامر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان بمكان خوي وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فاطاعوا وصار وا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر ما لا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه في عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم فئة كثيرة فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل أمير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرماري وهي قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وأنزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هي ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلم هذه القلاع الى أمير تفجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل هذه البلدة وهي مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصابة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير فاعد نظام الملك لقتالها ما يحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها واصل قتاله ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى اعلاه لان المعاول كلت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك في أعضادهم وسقط في أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها وأسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى ألب أرسلان اليه ابنه ونظام الملك وفرح بما يسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه في طريقه عدة من القلاع والحصون وأسر من النصارى ما لا يحصون كثرة وساروا الى سبيذ شهر فجرى

سنة سبع وستين ومائتين وقدم الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر الى سوق الخميس وقد كان الشعراني صاحب العلوي قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ففتح هذا الموضع وغنم جميع ما كان فيه وفتح مواضع كثيرة وقتل من كان فيها من الزنج وسار الموفق الى الاهواز فأصلح ما أفسده الزنج ثم عاد الى البصرة فلم يزل منازلا لصاحب الزنج حتى قتل فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر يقتل الصغير والكبير والذكر والانثى ويحرق ويخرب وقد كان أتى بالبصرة في وقعة واحدة على قتل ثلثمائة ألف من الناس (وقد كان المهايي) من عليسة أصحاب علي بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة فنصب منبرا بالموضع المعروف بعقبرة بني يشكر وكان يصلي يوم الجمعة بالناس ويخطب على ذلك المنبر لعلي بن محمد ويترحم بعد ذلك على أبي بكر وعمر ولا يذكر عثمان ولا عليا في خطبته ويلعن جبابرة بني العباس وأبا موسى الاشعري وعمرو ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان على ما قدمنا من قوله في هذا الكتاب وأنه كان يذهب الى رأي الازارقة من الخوارج ولما ركن من بني بالبصرة الى هذا الفعل من المهايي فاجتمعوا في بعض الجمع

بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها ألب ارسلان وسار منها الى مدينة أعال لال وهى حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهى من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التى ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جماعة صالحا فلما جاز والا فصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلى فأتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها فى برج من أبراج المدينة فقاتلهم المسلمون فأمر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة مالا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقى من تلك النار التى أحرق بها البر بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة بأسرها وذلك فى رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آنى وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل وردة ونورة فخرج أهلها مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آنى فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لاتزام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الجارة الصم وهى بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد أيسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب وكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فاتاهم من لطف الله ما لم يكن فى حسابهم فانه سقطت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى وأسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح فى البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد فى دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا فى عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج فى الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما رحل السلطان عائدا قصد أصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغرى بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ماوراء النهر وزفت اليه فى هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقى والبيت المحمودى واتفقت الكلمة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا فى البرية خياما سودا وسمعوا منها الطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول

فوضع فيهم السيف فى ناج سالم ومن مقتول ومن غريق واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها والفيران والسنانير فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شئ فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه عدموا مع ذلك الماء العذب (وذكر) عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعها أختها وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلون لحمها فقالت المرأة لها ما تت حتى ابتدرنا فقطعناها وأكلناها ولقد حضرت أختها وقد جالت على النهر وهى تبكى ومعها رأس أختها فقيل لها ويحك مالك تبكين فقالت اجتمعوا على أختى فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيأ الا رأسها هذا وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا (وبلغ) من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة وينادى عليها ينسبها هذه ابنة فلان الفلانى

ليكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون يطؤهن الزنج ويخدم النساء الزنجيات كما تخدم

قدمات سيدولك ملك الجن وأى بلد لم يلطم أهله عليه ويعملون له العزاء قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن ويصحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى في أيامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا وذلك ان الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما أصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا أم عنقود اعذرينا قد مات عنقود مادرينا وكان النساء يلطمن وكذلك الاوباش وفيهم اولى أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي نقابة العلويين ببغداد وامارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفي أسامة بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها في جمادى الآخرة توفي أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الاسدي النحوي المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشي في الاسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيأ وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوي عظيم ثم غاب

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر الحرب بين بني حماد والعرب)﴾

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدي والاثبج وبين رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلاف وموت باديس محاصرا قلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لاخذ سريعا وانما امتنع هو وأولاده بعده بها وهي من أمنع الحصون وكذلك ما استمر بين حماد والمعز ابن باديس ودخول حماد في طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز يمنعه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصيرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم يرثه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه وتميم صابر يداري ويتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبني هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده أرسل الى امراء بني رياح فاحضرهم اليه وقال أنتم تعلمون ان المهدية حصن منيع أكثره في البحر لا يقاتل منه في البر غير أربعة ابراج يحميها أربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا له الذي تقوله حق ونحب منك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا قومهم

كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه فقال هو مولاك وأولى بك من غيره (وقد تكلم) الناس في مقدار ما قتل في هذه السنين من الناس فكثر ومقلل فأما المكثر فانه يقول أفنى من الناس ما لا يدركه العد ولا يقع عليه الاحصاء ولا يعلم ذلك الا عالم الغيب فيما فتح من هذه الامصار والبلدان والضياع وأباد أهلها والمقلل يقول أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف وكلا الفريقين يقول في ذلك ظنا وحدسا اذ كان شيأ لا يدرك ولا يضبط (وكان مقتله) ما بيننا آنفا سنة سبعين ومائتين وذلك في خلافة المعتمد (وقد كان الموفق) بعد ذلك وجه بصاعد بن مخلد في سنة اثنتين وسبعين ومائتين الى حرب الصفار فأمره على من معه من الجيوش وشيعه الموفق فلما صار الى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه وانصرف من المدائن في بعض الايام فاحتجم في حفة وأذنة عليه ونمى ذلك الى الموفق وما هو عليه من التجبر فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطربلي الكاتب

في قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما نذكره وهو بكتم لما طعن * ودان بدين العجم وأصبح في حفة * وفي أذنة محتجم

فأشخصه الموفق الى واسط أخيه عبدون النصراني وماتت جارية لصاعد بعد حبسه وكانت الغالبة على أمره وكان يقال لها جعفر وماتت بعدها بأيام أم الموفق ففي ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعيد مر أبيات له

أخذت جعفر برأس القطار ثم قالت آذنتكم بالبوار

فأجابت أم الامير وقالت

قد أتيناك أول الزوار وسيأتيك صاعد عن قريب

كتبه للتلاق والاشكدار

وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات في خاصة نفسه دون ما وجد لاخيه عبدون فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار وكان مبلغ غلته في سائر ضياعه الف ألف وثلثمائة ألف (ومات صاعد) في الحبس وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة أبي سليمان بن وهب الكاتب وأحمد بن طولون وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذي القعدة من سنة سبعين ومائتين وله خمس وستون سنة (وكانت) ولاية أحمد ابن طولون سبع عشرة سنة وكان ابن المظفر يصاحب الزنج ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ولما يئس أحمد بن طولون من نفسه بايع لابنه أبي الجيش بالامر من بعده فلما توفي جدد أبو الجيش خمارويه بعض



ونحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وأرسل الى من مع الناصر من بني هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوي وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلاف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا اجعلوا أول حملة تحملونها عليه انحن نهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وأرسل المعز بن زيري الزناتي الى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك فوعدوه أيضا ان ينهزموا فحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبني هلال فالتقت العساكر بمدينة سبتة فحملت رياح على بني هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعة وعشرين ألفا وسلم الناصر في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قد موها في ضيق وفقر وقلة دواب فلما تغنموا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامي عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابها الى تميم فردها وقال يقبح لي ان آخذ سلاب ابن عمي فارضى العرب بذلك

## (ذكر بناء مدينة بجاية)

لما كانت هذه الوقعة بين بني حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك وأصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر بن أبي الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم أشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكما لو اتفقتما لاخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لامر ما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب في الاصلاح فقبل تميم قوله وأراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار أصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعيع وقالوا له هذا رجل غريب وقد أحسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فأحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعيع وقال في نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما أوصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر معي وصية اليك وأحب ان تخلي المجلس فقال الناصر انا لا اخفي عن وزيري شيأ فقال بهذا أمرني الامير تميم فقام الوزير أبو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاي ان الوزير مخامر عليك هواه مع الامير تميم لا يخفى عنه من أمورك شيأ وتميم مشغول مع عبيده فداستبدبهم واطرح صنهاجة وغيرهم ولا ولو وصلت بعسكرك ما بت الا فيها لبغض الجند والرعية لتميم وانا أشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا أنتقل اليك باهلي وادبر دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية أراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء والعمل وسر بذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد أشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فاكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر ان يرسل معه

بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شئ قبل سؤاله عن بنائه بجاية وقد عظم أمرها عليه وانتم مني فانظروا الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فاني سائرا اليهم مسرعا وقد أخذت عهد زويلة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره وأثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عنه انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وأرسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم وكتابا منه يذكر له الحال من أوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي يتوقع له سببا يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض أولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف الفهري وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعيع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال انا في ذمامك أحب أن تعرفني مع من اخرج من المهدية فسمعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وأمره باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يأمره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعيع سقطت الكتب منه فاذا عنوان أحدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من أين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعيع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وأمر به فقتل وغرقت جثته

## ﴿ ذكر ملك ألب ارسلان جند وصيران ﴾

في هذه السنة عبر ألب ارسلان جيحون وصار الى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند وأطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير ألب ارسلان عليه شيأ وأقره على ما بيده وعاد عنه بعد ان أحسن اليه وأكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له شعاع كثير أكثر من شعاع القمر وسمع له صوت مزعج وفيها توفي محمد بن أحمد أبو الحسين بن الابنوسي روى عن الدارقطني وغيره

## ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ﴾

## ﴿ ذكر عهد ألب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه ﴾

في هذه السنة سار ألب ارسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك وقطع البلاد فاقطع ماوراء النهر لابن اخيه سليمان بن داود جغربك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الآخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولايه بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

## ﴿ ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس ﴾

في هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان قد أظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس أباتميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل الجيش خمارويه في سنة احدى وسبعين ومائتين فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثا لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال من هذه السنة وكانت الهزيمة على أبي الجيش واحتوى أبو العباس على جميع عسكره وأفلت أبو الجيش في جماعة من قواده حتى أتى الفسطاط وتحالف غلامه سعيد الاعشر فواقع أبا العباس فهزمه واستباح عسكره وقتل رؤساء قواده وجلة أصحابه ومضى أبو العباس لا يلوي على شئ حتى أتى العراق وقلد أبو الجيش أمر وزارته علي بن أحمد المادراني وأبو بكر محمد بن علي بن أحمد المادراني هو المعتقل في يد الاخشيد أحمد بن طغج في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان علي وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد فلما استوزر الاخشيد أبا الحسن علي بن خلف بن طباب وانفصل من دمشق الى الفسطاط قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم بن خلف واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب (وفي سنة) سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادي المؤذن صاحب محمد بن ادريس الشافعي والراوي لاكثر كتبه عنه بمصر وأخبرنا أبو عبد الله

الحسن بن مروان المصرى شيأ من كتبه فلم يبعث بها اليه فكتب اليه الشافعى ياقل لمن لم ترعه
ن من رآه مثله
من كان من قدراه
ما قدر أى من قبله
ومن كلا مناله
حيث عقلنا عقله
لان ما يجنيه
فاق الكمال كله
العلم ينهى أهله
أن يمنعوه أهله
لعله يبذله
لاهله لعله

فبعث اليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التى سأل عنها (وبايع المعتمد) لابنه جعفر وسماه المفوض الى الله وقد كان المعتمد آثر اللذة وغلب الملاهى وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الامور يدبرها ثم حصر على المعتمد وحبسه فكان أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به فلم الصلح وقد كان قبل ذلك هرب وصار الى حديثة الموصل فبعث الموفق بصاعد الى سامرا وكتب الى اسحق بن كنداج فرده من الموصل (وفى سنة) أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهرا للغزو فى عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين فقبل وصوله الى دمشق مات ماجور التركى وقد كان عليها فدخلها أحمد واحتوى

وغيره عن الربيع بن سليمان قال استعار الشافعى من محمد بن الحسن الكوفى

الى المهدية على ماذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجى وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولى الملك تميم بن المعز بعد أبيه رده اليها وأقام عليها الى الآن ثم أظهر الخلاف على تميم والتجأ الى طاعة الناصر بن علناس بن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم أطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه أقام عند الناصر ثم أرسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

## ﴿(ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما)﴾

فى هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان ألب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير فى الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهرى وخلع عليه الخليفة

## ﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهى ممتدة الى وسط السماء وبقى الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر أيضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقى عشرة أيام ثم اضمحل وفيها فى جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد أياما تصدعت منها الجبال وأهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هناك وفيها فى جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الجريد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين وأربع أيد على بدن واحد وفى جمادى الآخرة توفى الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان اماما فى الحديث والفقه على مذهب الشافعى وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفى شهر رمضان منها توفى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب أحمد رضى الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات أتى فيه بكل عجيبة وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمى الحنبلى يقول لقد خرى أبو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

## ﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة﴾

## ﴿(ذكر عصيان ملك كرمان على ألب ارسلان وعوده الى طاعته)﴾

فى هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قراارسلان على السلطان ألب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب ارسلان فسار الى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قراارسلان فانهزمت طليعة قراارسلان بعد قتال فلما سمع قراارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لا يلوى احد على آخر فدخل قراارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب

ارسلان

ارسلان يظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فاكرمه وبكى وأبكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيأ من حاله فقال للسلطان ان لى بنات تجيزهن اليك واموزهن اليك فاجابه الى ذلك وأعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى اصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالى هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منون من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس وبقى قلعة يقال لها بنزاد فسار نظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا نفيسا ففتح القلعة فى اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فأعلى منزلته وزاد فى تحكيمه

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى المحرم منها توفى الاغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالرى وعقدت البصرة وواسط على هزار سب بثلاثمائة الف دينار وفى صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفى وبنى على مشهد أبى حنيفة رضى الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف أبو جعفر بن البياضى على القبة التى احدثها

ألم تر أن العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل العميد أبى سعد

وفيها فى جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهى زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ وفيها فى ذى القعدة احترقت تربة معروف الكرخى رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطلح لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبورى كانت هناك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة اباسعد الصوفى شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها فى ذى القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ أبى اسحق الشيرازى فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فاذا به وجد وكان سبب تأخره انه لقيه صبى فقال له كيف تدرس فى مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وأيس الناس من حضوره اشار الشيخ أبو منصور ابن يوسف بابى نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجاس أبو نصر للدرس وطهر الشيخ أبو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد أبى سعد ولم يزل يرفق بالشيخ أبى اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها فى ذى القعدة قتل الصليحى أمير اليمن بمدينة المهجم قتله أحد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هناك وكان قد ملك مكة على ماذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحاج فى أيامه فائتوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصينى وردّ حلى البيت اليه وكان بنو حسن قد أخذوه وحملوه الى اليمن فابتاعه الصليحى منهم وفيها توفى عمر بن اسمعيل بن محمد أبو على الطوسى قاضيها وكان يلقب العراقى لطول مقامه ببغداد وتفقه على أبى طاهر الاسفرايينى الشافعى وأبى محمد الشاشى وغيرهما

## ﴿ ثم دخلت سنة ستين واربعمائة ﴾

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بنى كلاب بالرحبة وهم فى طاعة

الاسكندرية من شاطئ بحر الروم ووصل هو الى الموضع المعروف سفواس من جبل الاكام وقد تقدمته المطوعة والغزاة الى الثغر الشامى ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم الى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة انطاكية وفيها يومئذ سيما الطويل فى عدة منيعة من الاتراك وغيرهم وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء انطاكية وقصة سورها والملك الباني لها وصفة سورها فى السهل والجبل وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على انطاكية وقع بين سيما وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جندقنسرين والعواصم من أرض الشأم وكان سيما الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر الى الساحل مستأمنا فأتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ماقد مناذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج وكادت الحال أن تنفرج بينهم فى ذلك اليوم حتى قيل فى عسكر الموفق كيفما شئتم فقولوا * انما الفتح للولو فكان ابن طولون على

العلوى المصرى وكسرهم شرف الدولة وأحد اسلابهم وأرسل أعلاما كانت معهم عليها سمات المصرى الى بغداد وكسرت وطيف بها فى البلد وأرسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها فى جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألف نسمة واشتقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم ينزل الناس الى أرضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها فى رجب ورد أبو العباس الخوافى بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وأرسل الخليفة الى أبى يعلى والد الوزير أبى شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب بن بنكبر فسار فادركه أجله فى الطريق فمات ثم شفع نور الدولة فى فخر الدولة بن جهير فأعيد الى الوزارة سنة احدى وستين فى صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين وأربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وأمن أهلها وفيها فى المحرم توفى الشيخ أبو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء وعم مصابه المسلمين وكان من أعيان الزمان فن أفعاله أنه تسلم المارستان العضدى وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجدد فى عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب فى زمانه أحد بالشيخ الاجل سواه وفى المحرم أيضا توفى أبو جعفر الطوسى فقيه الامامية بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

﴿ثم دخلت سنة احدى وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى صفر أعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما عاد مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه * وأنت من كل الورى أولى به
ما كنت الا السيف سلته يد * ثم أعادته الى قـــرابه

وهى طويلة وفى شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة أصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دار المجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر وأتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أقبل ملك الروم من القسطنطينية فى عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل أهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبنى كلاب وابن حسان الطائى ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر فى عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضى عين الدولة بن أبى عقيل فلما حصره أرسل القاضى الى الامير بدر لما قدم الاتراك المقيمين بالشام يستحثه فسار فى اثنى عشر الف فارس فحصر مدينة صيدا وهى لامير الجيوش

انطاكية فى آخر سنة أربع وستين ومائتين وكان افتتاحه اياها فى سنة خمس وستين ومائتين بالحيلة من داخلها من بعض أهلها بالليل وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلى الجبل وباب فارس فأتى ابن طولون وقد يئس من فتحها لمنعها وحصانة سورها فوعدوه فتحها فصعد اليه عدة من رجاله فتسلقوا من حيث نزلوا واستعدهو فى عسكره وأخذ أهبته وسيما فى داره فاانفرج عمود الصبح الا والطولونية قد كبروا على سورها ونزلوا منحدرين اليها وارتفع الصوت وكثر الضجيج وركب سيما فيمن يسرع معه من خواصه فأرسلت عليه امرأة من أعالى سطح حجرا فأتت عليه وأخذ بعض من عرفه رأسه فأتى به ابن طولون وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضى المعروف بابن الصابونى الانطاكى الحنفى فمات أصحاب ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس أذاهم ثم رفع ذلك ساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامى فأتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس وفيها مازنار الخادم فلم يكن له فى فتحها حيلة فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل والله أعلم

لامر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه وفزع أن يحال بينه وبين مصر فحث فى السير ودخل الفسطاط ولحق بدر

بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الاتراك فعاود بدر حصر صور براو بحرا سنة وضيق على أهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها صارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب اسم والي العهد على الدينار وسمي الاميري ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الاذان بحي على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلع عليه نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل أمير المدينة معنا كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالري وعاد الى بغداد وفيها في شهر رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبنى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من هذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية فورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيري وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج الديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن النضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصري ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أي ايجاس

في أبيات وفيها توفي أبو الحوائج الحسن بن علي بن محمد الواسطي كان أديبا شاعرا أحسن القول في قوله

واحسرتي من قولها * خان عهودي ولها
وحق من صيرني * وقفا عليها ولها
ما خطرت بخاطري * الا كسيتني ولها

وتوفي محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطي الاديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر فمنه في الزهد

يا شائد القصور كم هلا * أقصرت فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا فصار اهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضي دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي النجائز الخطيب بدمشق

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر الخطبة للقائم بأمر الله والسلطان بحلب﴾

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله وللسلطان

وقد أتينا على ما جرى بين أحمد بن طولون وولده العباس من المراسلات في كتابنا أخبار الزمان وكانت وفاة مازنار الخادم في أرض النصرانية غازيا في جيش الاسلام تحت الحصن المعروف بكوكب وكان مولى للفتح بن خاقان فحمل الى طرسوس فدفن بباب الجهاد وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيفي وابن أبي عيسى وكان على امرة طرسوس وكان مازنار في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر وكان معه رجال من البحريين لم ير مثلهم ولا أشد منهم وكان له في العدو نكاية عظيمة وكان العدو يهابه وتفزع منه النصرانية في حصونها ولم ير في الثغور الشامية والجزرية بعد عمرو بن عبيد الله الاقطع صاحب ملطية وعلي بن يحيى الارمني صاحب الثغور الشامية أشد أقداما على الروم من مازنار الخادم (وكانت) وفاة عمرو بن عبيد الله الاقطع وعلي بن يحيى الارمني في سنة واحدة استشهدا جميعا وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين في خلافة المستعين بالله وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا في تلك السنة في الملطيين فلقي ملك الروم في خمسين ألفا فصبر الفريقان

ألب أرسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها وانتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأى ان نقيم الخطبة قبل ان يأتى وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر على بن أبى طالب فلما أتت أبو بكر بحصر يصلى عليها الناس وأرسل الخليفة الى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجى وأبو الفتيان بن حبوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم * تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير باذعان الحجاز وذا * داعى دمشق وذا المبعوث من حلبا

## ﴿ ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب ﴾

فى هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة الف دينار وحمل اليه اقامة عرف السلطان انه قسطها على البلاد فامر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسألك الخروج الى السلطان واستعفاءه لى من الحضور عنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بانه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أى شئ تساوى خطبتهم وهم يؤذنون حى على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطى فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وضرب من البلد فوقع حجر منجنيق فى فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميرى فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدى فافعل به ما تحب فلقاهما بالجميل وخلع على محمود وعاده الى بلده فانفذ الى السلطان مالا جزيلا

## ﴿ ذكر خروج ملك الروم الى خلاط وأمره ﴾

فى هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم فى مائتى الف من الروم والفرنج والغرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا فى تجمل كثير وزى عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوى من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد فى السير وقال لهم انى أقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابنى ملكشاه ولى عهدى وسار وا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية فى نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وأمره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالرى فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى الحنفى انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وأرجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى

جميعا فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين الا اليسير وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان على بن يحيى الارمنى انصرف من الثغر الشامى وولى أرمينية ثم صرف عنها فلما صار الى بلاد ميافارقين من ديار بكر عدل الى ضياع له هنالك ووقع التغيير فخرج مسرعا وقد أغارت جيوش الروم فقتل على ابن يحيى مقدار أربعمائة نفس والروم لا تعلم أنه على ابن يحيى الارمنى (وأخبرنى) بعض الروم ممن كان قد أسلم وحسن اسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس فى بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد فى النصرانية والحيلة من المسلمين منهم الرجل الذى بعث به معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية فأفادمنه بالضرب وردّه الى القسطنطينية وعبد الله البطال وعمرو بن عبيد الله وعلى بن يحيى الارمنى والعربل بن بكار وأحمد بن أبى قطيعة وقرماس السلقانى صاحب مدينة ابريق وهى اليوم للروم وكان بطريق البيالقة وكانت وفاته فى سنة تسع وأربعين ومائتين وحرس حارس أخت قرماس ومازنار الخادم فى موكبه والرجال حوله وأبو القاسم ابن عبد الباقى وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية وقد دخلوا فى هذا الوقت تكون

تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فلينصرف فها هنا سلطان يأمر وينهى والقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفنى وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون فى وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى وأسر ملك الروم أسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استصغارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان يأتينا ملك الروم أسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما أحضر ضربه السلطان ألب ارسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له الم أرسل اليك فى الهدنة فابيت فقال دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بى ان أسرتنى فقال أفعل القبيح قال له فما تظن انى افعل بك قال اما ان تقتلنى واما ان تشهرنى فى بلاد الاسلام والاخرى بعيده وهى العفو وقبول الاموال واصطناعى نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا فداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم أى وقت طلبها وان يطلق كل أسير فى بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله فى خيمة وأرسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم أين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه وأومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرجعوا واما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة فملك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وأرسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان فى ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال فكان مائتى ألف دينار فارسله الى السلطان وطيب قلبه باعليه جواهر بتسعين ألف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على أعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

## ﴿ ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس ﴾

فى هذه السنة قصد اتسز بن أوق الخوارزمى وهو من أمراء السلطان ملكشاه بلاد الشام فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورها من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة توفى أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى الفقيه الشافعى مصنف كتاب الابانة وغيرها وفى هذه السنة فى ذى الحجة توفى الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن

خبر الرجل الذى أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا فى أيام معاوية فأسروا جماعة منهم فأوقفوا بين يدى الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدى الملك فلطم حر وجهه فاكله وكان رجلا من قريش فصاح واسلاماه اين أنت عنا يا معاوية ادحملتنا وضيعت ثغورنا وحكمت العدو فى ديارنا ودمائنا وأعراضنا فمضى الخبر الى معاوية فاكله وامتنع من لذيذ الطعام والشراب فخلا بنفسه وامتنع من الناس ولم يظهر ذلك لاحد من المخلوقين ثم أجمل الامر فى أعمال الحيلة باقامة الفداء للمسلمين فلما صار الرجل الى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن اليه ثم قال له لم نهملك ولم نضيعك ولا أبحنا دمك وعرضك ومعاوية مع ذلك يجيل الرأى ويعمل الحيلة ثم بعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفا كثير الغزوات فى البحر مبل من الرجال مرطان بالرومية فاحضره وخلا به وأخبره بما قد عزم عليه وسأله أعماله الحيلة فيه والنابى له فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من الطرف والملح

ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا فى زمانه وممن حمل جنازته الشيخ أبو اسحق الشيرازى وتوفى أبو ضافيها فى شهر رمضان أبو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعى المخزومى من أهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبهجتها وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به وأكثر من بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت أيضا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد للصحيح الى ان جاء أبو الوقت ﴿ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية ببغداد)﴾

فى ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه وأقام أياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه أنه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك الدارية فانفذ فيه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى بالسليمانى فاضاف الى اقطاعه تكريت فكوتب والهامن ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليمانى عنها اتباعا لما أمر به الخليفة القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة

﴿(ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان)﴾

فى هذه السنة أرسل الامام القائم بأمر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده ملكشاه وكان السلطان قد أرسل يطلب من الخليفة ان يأذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى عهده فاذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وأمر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان ألب ارسلان من سنرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة

﴿(ذكر ولاية أبى الحسن بن عمار طرابلس)﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى أبو طالب بن عمار قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها واستبد بالامر فيها فلما توفى قام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار فضبط البلد احسن ضبط ولم يظهر افقد عمه أثرا لكفايته

﴿(ذكر ملك السلطان ألب ارسلان قلعة فضلون بفارس)﴾

فى هذه السنة سير السلطان ألب ارسلان وزيره نظام الملك فى عسكر الى بلاد فارس وكان بها حصن من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطى الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله له غرضا فلما رأى الحصن وارتفاعه فلم يطل

والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك وابتنى له مركب لا يلحق فى جريه سرعة ولا يدرك فى مسيره بنيانا عجيبا فسار الرجل حتى أتى مدينة قبرس فاتصل برئيسها وأخبره أن معه جارية للملك وأنه يريد التجارة الى القسطنطينية قاصدا الى الملك وخواصه بذلك فرد الملك بذلك واعلم بحال الرجل فأذن له فى الدخول فدخل خليج القسطنطينية وسار فيه حتى انتهى الى القسطنطينية وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومى وبحر مانطس عند ذكر البحار فيما سلف من هذا الكتاب فلما وصل الى القسطنطينية أهدى للملك وجميع بطارقته وبابهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذى اطعم وجه القرشى شيأ وقصده الى ذلك البطريق الذى لطم الرجل القرشى وتأنى الصورى فى الامر على حسب ما رسمه معاوية وأقبل الرجل من القسطنطينية الى الشأم وقد أمره البطارقة والملك بابتياع حوائج ذكروها وأنواع من الامتعة وصفوها فلما صار الى الشام سار الى معاوية سرا وذكر له من الامر ما جرى فابتيع له جميع ما طلب منه وما علم أن رغبتهم فيه وتقدم اليه فقال ان ذلك البطريق اذا عدت الى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر

مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان أمنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون الى قلة القلعة وهي أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه وينهبوا مالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فخافهم فتفرق من معه واختفى في نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فاخذه أسيرا وحمله الى نظام الملك فاخذه وسار به الى السلطان فأمنه وأطلقه

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة توفي القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها أبو محمد بن السمال

## ﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة ﴾

## ﴿ ذكر قتل السلطان ألب أرسلان ﴾

في أول هذه السنة قصد السلطان ألب أرسلان واسمه محمد وانما غلب عليه ألب أرسلان ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس فاتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة أوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خليا وه ورماه السلطان بسهم فاخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف أيضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لا سيما بخارا اجتمعوا واخترطوا اختمات وسألوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد علي فحزني الله تعالى باضعف خلقه وأنا أستغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الاول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند أبيه ومولده سنة أربع وعشرين وأربعمائة وبلغ من العمر أربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل تسع سنين وستة أشهر وأياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام

## ﴿ ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته ﴾

هو ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا

الشأم فان منزلتك ستعلو وأحوالك تزداد عندهم فاذا أتقنت جميع ما أمرتك به وعلمت غرض البطريق منك وأي شيء يأمرك بابتياعه لتكون الحيلة بحسب ذلك فلما رجع الصوري الى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية فلما كان في بعض الايام وهو يريد الدخول الى الملك قبض عليه ذلك البطريق في دار الملك وقال له ماذا بي اليك وبماذا استحق غيري أن تقصده وتقضي حوائجه وتعرض عني فقال له الصوري أكثر من ذكرت ابتداني وأنا غريب أدخل الى هذا الملك والبلد كالمتنكر من أساري المسلمين وجواسيسهم لئلا يعلموا بخبري ويعلموا بأمري الى المسلمين فيكون في ذلك فقدي واذ قد علمت ميلك الى فلست أحب أن يعتني أمري سواك ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك فأمرني بجميع حوائجك وجميع ما يعرض من أمورك

والبطريق وغيره الحوائج والحيلة لا تتوجه لمعاوية حتى مضى على ذلك سنين فلما كان في بعضها قال البطريق للصوري وقد أراد الخروج الى دار الاسلام قد اشتهيت أن تغمرني بقضاء حاجة وتمن بها على أن تبتاع لي بساطا سوسحرى بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الالوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ويكون من صفته كذا وكذا ولو بلغ ثمنه كل مبلغ فأنعم له بذلك وكان من شأن الصوري اذا ورد الى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنتزه حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج وكان البطريق أكثر أوقاته في ذلك المنتزه وكانت الضيعة مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية فانصرف الصوري الى معاوية سرا وأخبره بالحال فأحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجلس فانصرف به الصوري مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام وقد تقدم اليه معاوية بالحيلة وكيفية ايقاعها وكان الصوري فيما وصفنا من هذه المدة قد صار كاحدهم في المؤانسة

بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه اجتاز يوما بمر وعلى فقراء الخرائين فبكى وسأل الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار وكان في ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الادارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في مماليكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فاخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب أخلاقك واصلح أحوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلاتهم واشغلهم بهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حاله لا يذكر عن أحد من الملوك أحسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ما وراء النهر الى أقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فاخذ المملوك وسلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف ألب أرسلان من الاولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده وايازا وتكش وبوري برش وتتش وأرسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا أخرى

## ﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه﴾

لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وأمر ان يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه أيضا ان يعطي أخاه قاورت بك بن داود اعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وان يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان وأوصى أن يعطي ابنه ايازا بن ألب أرسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد في معايشهم سبعمائة ألف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه وأقام ايازا أرسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور الى الري

## ﴿ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه وفاة ألب أرسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع في البلاد المجاورة له فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان ايازا بن ألب أرسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان لخلاف أهل بلخ فارسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فأمنهم فخطبوا له فيها ورد اليها فنهب عسكره شيأ من أموال الناس وعاد الى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من أصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وأمر باحراق المدينة فخرج اليه أعيان أهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه أخذ أموال التجار فغنم شيأ عظيما فلما وصل الخبر الى ايازا عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه أهلها وسار عنها الى ترمذ في عشرة آلاف

فارس فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره فى سيحون أكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

﴿ ذكر قصد صاحب غزنة سمكاكند ﴾

وفى هذه السنة أيضا فى جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سمكاكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فاخذوه أسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الامير كشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه ألف تكين جد ملوك خوارزم فى زماننا فنهبوا مدينة سمكاكند

﴿ ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك ﴾

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة أخيه ألب أرسلان سار طالبا للرى يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالتوب من همذان فى شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه الى حاشل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غير ظانين انهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى رسول الخليفة وجاء رجل سوادى الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك فى بعض القرى فارسل من أخذه وأحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه وأقر كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع وأقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه فى الوقعة وكان السبب فى حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان ألب أرسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وساربه الى ألب أرسلان ليشفع فيه عند الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة ألب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فقصدا اليه وأما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال أرسله به أبوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

﴿ ذكر تفويض الامور الى نظام الملك ﴾

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ومدوا أيديهم فى أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا الاموال الا نظام الملك فنال الرعية اذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما فى هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل فى هذا ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكننى أن أفعل الا باصرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وخلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقابا من جملتها أتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور فمن ذلك أن امرأة ضعيفة استغاثت اليه وقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامتثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

﴿ ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان ﴾

وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصورى خبر البطريق من أصحاب القوارب والمراكب فأخبر أن البطريق فى ضيعته وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما الرومى وما نطس على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب والضياع والعمائر على هذا الخليج من حافتيه والمراكب تختلف والقوارب بأنواع المتاع والاقوات الى القسطنطينية وهذه المراكب لا تحصى فى هذا الخليج كثرة فلما علم الصورى ان البطريق فى ضيعته فرش ذلك البساط ونضد ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد فى صحن المركب ومجلسه والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذف مشكلة قاعة غير قاذفين بها ولا يعلم بهم أنهم فى بطن المركب الا من ظهر منهم فى المركب عمله والريح فى القلع والمركب ما رفى الخليج كأنه سهم قد خرج من كبد قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة سيره واستقامته فى جريه فأشرف على قصر البطريق وهو جالس فى مستشرفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب وذهب به الفرح والسرور فلما رأى البطريق مركب

فى هذه السنة قتل ناصر الدولة أبو على الحسن بن حمدان وهو من أولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيها تقدما عظيما ونذكر ههنا الاسباب الموجبة لقتله فانها تتبع بعضها بعضا فى حروب وتجارب وكان أول ذلك اختلال أمر الخلافة وفساد أحوال المستنصر بالله العلوى صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على أمره وقد اصطنعت أبا سعيد ابراهيم التسترى اليهودى وصار وزيرا لها فاشار عليها بوزارة أبى نصر الفلاحى فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحى ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحى أن يفسد أمره مع أم المستنصر فاصطنع الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد فى أرزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودى فقتلوه فعظم الامر على أم المستنصر وأغرت به ولدها فقبض عليه وأرسلت من قتله تلك الليلة وكان بينهما فى القتل تسعة أشهر ووزر بعده أبو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك فافسد أحوالهم وشرع يشترى العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعته أم المستنصر ليغرى العبيد المجردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم أنه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة وولى بعده الوزارة أبو محمد اليازورى من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته أيضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده أبو عبد الله الحسين بن اليازلى فامرته بما أمرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب ليشيع الحجاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه أحدهم فجرحه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح اليهم واستحكمت المداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا فى محلتهم وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو أكبر قائد بمصر وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوى الاتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد ليجتمعوا هناك فانصاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين الف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعاد الجواب انه لا علم له بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم ثم قوى الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فاجفل الاتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان بعضهم قد كمن فى خيمة فارس فلما انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب فى باقى العسكر فانهزموا وعاد عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا وكان يوما مشهودا وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأى المستنصر فيهم وتجمعوا وحشدوا فاقتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقى العسكر من الشام وغيره الى الصعيد فاجتمع مع العبيد فصار واحمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة فخرج عليهم الاتراك ومن معهم واقتتلوا فى الماء عدة أيام ثم عبر الاتراك لنيل اليهم مع ناصر الدولة بن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم ان العبيد اجتمعوا بالصعيد فى خمسة عشر ألف فارس وراجل فقاتل الاتراك لذلك فحضر مقدموهم دار المستنصر لشكوى حالهم فأمرت أم المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين والفتك بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر البلد واجتمع الاتراك اليه

البطريق على المركب فنظر الى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كانه رياض تزهر فلم يستطع اللبث فى موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصورى من مركبه اليه فطلع المركب فلما استقرت قدمه فى المركب ودنا من المجلس ضرب الصورى بعقبه على من تحت البساط من الوقوف وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين فى بطن المركب فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاديف فاذا هو فى وسط البحر لا يلوى على شئ وارتفع الصوت ولم يدر ما الخبر لمعاجلة الامر فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر وقد أوثق البطريق كما قال وطابت له الريح وأسعده الجد وحملة المجاديف فى ذلك الخليج فتعلق اليوم السابع بساحل الشأم ورأى البر وحمل الرجل فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين يدى معاوية بالفرح والسرور لانلاجه بالامر وتمام الحيلة وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد فقال على بالرجل القرشى فأتى به وقد حضره خواص الناس فأخذوا مجالسهم وانقض المجلس بأهله فقال له معاوية انظر لا تتعدى ما جرى عليك منه

ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان انه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة أيام ثم ظفر بهم ناصر الدولة وأكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا وأخذت منهم الاسكندرية وبقي العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طلبوا المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ ألبتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فأخرجت اليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان في الشهر عشرين ألف دينار فصار الآن في الشهر أربعمائة ألف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم أفسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة في عسكر كثير فمضى العبيد من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل اليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد ومن بقي منهم الباقون وزالت دولتهم وعظم أمر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتنعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ أكثره له ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه يأمره بالخروج ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه وأصحابه فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادي فقبل رجله وقال اصطنعني فقال افعل لخالفه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز والوزير الخطير وقال ناصر الدولة الشادي تركب في أصحابك وتسير بين القصرين فاذا أمكنتك الفرصة فيهما فاقتلهما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادي ما أمره فركب الدكز الى القصر فرأى شادي في جمعه فانكره وأسرع فدخل القصر ففاته ثم أقبل الوزير في موكبه فقتله شادي وأرسل الى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت أنت ونحن فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا للقتال فحمل الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من أصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه لا يلوي على شئ وتبعه قل أصحابه فوصل الى بني سنبس فأقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فسار واحتى قربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فأراد أحد المقدمين أن يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه أسيرا وأكثر القتل في أصحابه وعبر العسكر الثاني ولم يشعروا بما جرى على أصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا وقتل أكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمه وأكثر القتل فيهم وأسر مقدمهم وعظم أمره ونهب الريف فاقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت أيدي الجند بالقاهرة الى النهب

لطمات وكزه في حلقه ثم اذكب القرشي على يد معاوية وأطرافه يقبلها وقال ما أضاعك من سوء ذلك ولا خاب فيك أمل من أملك أنت ملك لا تضام تمنع حماك وتصون رعيتك وأغرق في دعائه ووصفه وأحسن معاوية الى البطريق وخلع عليه وبره وحمل معه البساط وأضاف الى ذلك أمورا كثيرة وهدايا الى الملك وقال له ارجع الى ملكك وقل له تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ويقتص لرعيته في دار مملكتك وسلطانك وقال للصوري سر معه حتى تأتي الخليج فتطرحه فيه ومن كان أسر معه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته فحملوا الى صور مكرمين وحملوا في المركب فطابت لهم الريح وكانوا في اليوم الحادي عشر متعلقين ببلاد الروم وقربوا من فم الخليج واذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به فطرح البطريق ومن معه وانصرف الصوري راجعا وحمل البطريق من ساعته الى الملك ومعه الهدايا والامتعة فتباشرت الروم بقدومه وتلقوه مهنين له من الاسر فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا فلم يكن يستضام أسير من المسلمين في أيامه وقال الملك هذا أمكر الملوك

والقتل وعظم الوباء حتى ان أهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم فى ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكى ان امرأة أكلت رغيفا بألف دينار فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها حنطة وحملها الجمال على ظهره فنهبت الحنطة فى الطريق فنهبت هى مع الناس فكان لذى حمل لها متاعه رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من القاهرة ناصر الدولة فى الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادى نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة يحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيأ فصار ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادى وغيره من مقدمى الاتراك فخرجوا اليه الا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتى مصر وأحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وأرسل الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة اليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفى ناصر الدولة ان أجلس فى مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها وأذل السلطان وأصحابه وكان الذى حمل على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك وأعانوه على ما أراد وقبض على أم المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى المغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت سنة أربع وستين وما قبلها بالغلاء وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر الدولة فى اهانة المستنصر وفرق عنه عامة أصحابه وكان يقول لاحدهم انى أريد ان أوليك عمل كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم فنطن لفعله فاتد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى ما أراد تمكن منه ومن أصحابه فأطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر الدولة وكان قد أمن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا الليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهى التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة فى رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان اليه فقال للحاجب استأذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فاذن له وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كانه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له أردفها خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما كان سنة ست وستين وأربعمائة ولى الامر بمصر بدر الجمالى أمير الجيوش وقتل الدكز والوزير ابن كدينة وجماعة من المسلحية وتمكن من الدولة الى أن مات وولى بعده ابنه الافضل وسيرد

على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الامصار فيما سلف من كتبنا وان كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا ولملوك الروم وبطارقتها ممن سلف وخلف الى هذا الوقت أخبار حسان مع ملوك بنى أمية والخلفاء من بنى العباس فى المغازى والسرايا وغيرها وكذلك لاهل الثغور الشامية والجزرية الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا وقدمنا فى هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ولمعا من سيرهم وكذلك أخبرنا عن ملوك الامم وسيرهم (قال المسعودى) وكان المعتمد مشغوفا بالطرب والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهى وذكر عبد الله بن حرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم وفى المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى فقال له أخبرنى عن أول من اتخذ العود قال ابن حرداذبه قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة أول من اتخذ اللهو لملك بن متوشلخ بن محويل بن عادين

ذكرهم ان شاء الله تعالى

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ايتكين منصور صدقة ابن الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المأمون ببغداد وكان موته فى شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى الحجة توفى الشريف أبو الحسين محمد بن على بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف بابن الغريق وكان يسمى راهب بنى العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطنى وابن شاهين وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة أبو على الحسين بن حمدان بعصر قتله الذكر التركى وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفى الامام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها أصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له فرس قد أهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيأ فعاش أسبوعا ومات وفيها أيضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل أبو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر وكان نظام الملك قال له أنت ابن صردر لا صربعر فبقى ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين وهجاه ابن البياضى فقال

لئن نزا الناس قدما أبالك * فسموه من شعره صربعرا
فانك تنظم ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضى فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

تزاورن عن أدرعات بميا * ثوشزليس يطقن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياش * أحذن لصد عليها عينا
وأقسمن يحملن الاثقيلا * اليه ويبلغن الاحزينا
فلما استمع زمير المشوق * ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بابة الواديين * وأرخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من أجلهن * ملاء الدجى والضحى قد طوينا
وقد أنبأتهم مياه الجفون * بأن بقلبك داء دفينا

﴿ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه﴾

فى هذه السنة فى صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولى العهد المقتدى بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه أيضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع يومئذ أحد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهم نفسه ليتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة

﴿ذكر غرق بغداد﴾

فى هذه السنة غرق الجانب الشرقى وبعض الغربى من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء فى الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من اللالمع والآبار بالجانب الشرقى وهلك خلق

فتقطعت أوصاله حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والاصابع فأخذ خشبا فرقه وألصقه فجعل سدر العود كالفخذ وعنقه كالساق ورأسه كالقدم والملاوى كالاصابع والاوتار كالعروق ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود قال الحمدونى وناطق بلسان لا ضمير له
كانه فخذ نيطت الى قدمى
بيدى ضمير سواه فى الحديث كما
بيدى ضمير سواه منطق القدم
واتخذ موسى بن لمك الطبول والدفوف وعملت صلال بنت لمك المعازف ثم اتخذ قوم الطنابير يستميلون بها الغلمان والاكراد نوعا مما يصفر به فكانت أغنامهم اذا تفرقت صفروا فاجتمعت ثم اتخذ الفرس النای للعود والثانى للطبلاوت والسريانى للطبل والسنج والصنج وكان غناء الفرس بالعيدان والصنوج وهى لهم ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطروق الملوكية وهى سبع طرق فأولها سكاف وهو أكثرها استعمالا لانفعل الانهار وهو أفصحها مقاطع وأمرسه وهو أجمعها لمحاسن النغم وأكثرها

تصعدا وانحدارا ومادار وسنان وهو أثقلها وسابكاد وهو المحبوب للارواح وسسم وهو الجليس المنقل وحوبران

كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب وأتى أيتكين السليماني من عكبرا فقال للوزيران الملاحين يؤذون الناس في المعابر فأحضرهم وتهددهم بالقتل وأمر باخذ ما جرت به العادة وجمع الناس وأقيمت الخطبة للجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد ومشهد باب التبن وتهدم سوره فاطلق شرف الدولة ألف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق ان الناس في العام الماضي كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمور فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندي فثار به الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومعهم كثير من الائمة منهم أبو اسحق الشيرازي واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا هدم المواخير والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق أن غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك أمر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف أبو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكنوا الى ان يرد الجواب فقال له أبو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاء جوابنا قبل جوابكم يعني انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

## ﴿ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند﴾

قد ذكرنا ان خافان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان ألب أرسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فأمنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها أخ لخافان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه وأحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويضرع الى نظام الملك في اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها توفي زعيم الدولة أبو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفيها توفي اياز أخو السلطان ملكشاه وكفى شره كما كفى شر عمه قاورت بك وفيها في ربيع الاول توفي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السمناني حموقاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني وولى ابنه أبو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وأبوه من المغالين في مذهب الاشعري ولابيه فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفي اشعريا وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد العزيز أحمد بن محمد بن علي أبو محمد الكتاني الدمشقي الحافظ وكان مكثرا في الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادي

## ﴿ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته﴾

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بامر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه

---

وهو الدرج الموقوف على نغمة وكان غناء أهل خراسان وماوالاها بالزنج وعليها سبعة أوتار وايقاعه يشبه ايقاع الصنج وكان غناء أهل الري وطبرستان والديلم بالطنابير وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير من الملاهي وكان غناء النبط والجرامقة بالعيدان وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير وقال قندروس الرومي جعلت الاوتار أربعة بازاء الطبائع فجعلت الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة السوداء وللروم من الملاهي الاوعروعليه ستة عشر وتراوله صوت بعيد المذهب وهو من صنعة اليونانيين والسلبار وله أربعة وعشرون وترا وتفسيره الغصون ولهم اللوزاوهي الرباب وهي من خشب ولها خمسة أوتار ولهم القشاوة ولها اثنا عشر وترا ولهم الصليح وهو من جلود العجاجيل وكل هذه معازف مختلفة الصفة ولهم الارغن وهو منافخ من الجلود والحديد وللهند الكيكاة وهو وتر واحد يمتد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج قال وكان الحداء في العرب قبل الغناء وقد كان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعير في بعض أسفاره فانكسرت يده فجعل يقول يا يداه يا يداه وكان من أحسن الناس صوتا فاستوسقت الابل وطاب لها السير فاتخذه العرب حداء بر جز الشعر

عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد وكان سبب موته أنه كان قد أصابه ماشرا فاقتصد وتمام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فأيقن بالموت فاحضر ولى العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضى القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولى عهده ولما توفى غسله الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمى وصلى عليه المقتدى بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وخلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيام وقيل كان مولده ثامن عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وأمه أم ولد تسمى قطر الندى أرمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت فى رجب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه أبيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوى اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضى أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد قضاء حوائج الناس لا يرى المنع من شئ يطلب منه قال محمد بن على بن عامر الوكيل دخلت يوما الى الخزن فلم يبق أحد الا اعطانى قصة فامتلأت أكمامى منها فقلت فى نفسى لو كان الخليفة أخى لا عرض عن هذه كلها فالقيتها فى بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لى ياعامى ما حملك على هذا فقلت خوف الحجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من أموالنا شيأ انما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغانى

## ﴿ ذكر خلافة المقتدى بأمر الله ﴾

لما توفى القائم بامر الله بويع المقتدى بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الهاشمى فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وانشده

* اذا سيد منا مضى قام سيد * قؤول بما قال الكرام فعول *

ثم ارتج عليه فقال المقتدى فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه فان الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفى أيام أبيه ولم يكن له غيره فايقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادرى الى غيره ولم يشكوا فى اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادرى كانوا يخالطون العامة فى البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها أرجوان وكان يلم بها فلما توفى ورأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت أنها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدى فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ فى الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان عادة البساسيرى كان للمقتدى قريب

فى العرب ثم اشتق الغناء من الحداء ونحن نساء العرب على موتاها ولم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع بالملاهى والطرب من العرب وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس الركبانى والسناد الثقيل والهزج الخفيف (وكان أول) من غنى من العرب الجرادتان وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العلقمى وكانت العرب تسمى القينة الكرينة والعود المزهر وكان غناء أهل اليمن بالمعازف وايقاعها جنسا من واحد وغناؤهم جنسان حنفى وحميرى والحنفى أحسنهما ولم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى من العراق وافدا على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلم أهلها فاتخذوا القينات (والغناء) يرق الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ويسرها ويشجع القلب ويسخى البخيل وهو مع النبيذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ويحدثان له نشاطا ويفرجان الكرب والغناء على الانفراد يفعل ذلك وفضل الغناء على المنطق كفضل المنطق

أربع سنين فاخفاه أهله وحمله أبو القاسم بن المحتبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدي اليه فلما بلغ الحلم جعله ولي عهد ولما ولى الخلافة أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية من القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره في شهر رمضان وأرسل معه من أنواع الهدايا ما يجل عن الوصف

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شوال وقعت نار ببغداد في دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار في المأمونية ثم في الظفرية ثم في درب المطبخ ثم في دار الخليفة ثم في حمام السمرقندي ثم في باب الازج ودرب خراسان ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى وفيها أرسل المستنصر بالله العلوي صاحب مصر الى صاحب مكة بن أبي هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان أيمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان ألب أرسلان وقد ما تا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدي وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين وخمسة أشهر ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بني رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم وأخرجوهم من البلاد وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من أعيان المنجمين في عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وأبو المظفر الاسفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقي الرصد دائرا الى أن مات السلطان سنة خمس وثمانين وأربعمائة فبطل بعد موته

﴿ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك الافسيس دمشق﴾

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك افسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد أعمالها كل سنة عند ادراك الغلات فيأخذها ويقوى هو وعسكره ويضعف أهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها وأميرها المعلى ابن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها في شوال فهرب أميرها المعلى في ذي الحجة وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثاربه العسكر وأعانهم العامة فهرب منهما الى بانياس ثم منها الى صور ثم أخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودي المعروف بر زين الدولة وغلت الاسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلف بين المصامدة وأحداث البلد وعرف افسيس ذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها في شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت بأكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بأمان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة بافا من الساحل ودخلها هو وعسكره في ذي القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة للمقتدي بأمر الله الخليفة العباسي وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على أكثر الشام ومنع الاذان بحي على خير العمل ففرح أهلها فرحا عظيما وظلم أهلها وأساء السيرة فيهم

فلله در حكيم استنبطه وفيلسوف استخرجه أي غامض أظهر وأي مكنون كشف وعلى أي فن دل والى أي علم وفضيلة سبق فذلك نسيج وحده وقريع دهره (وقد كانت الملوك) تنام على الغناء ليسري في عروقها السرور وكانت ملوك الاعاجم لا تنام الا على غناء مطرب أو سهر لذيذ والعربية لا تقوم ولدها وهو يبكي خوف أن يسري الهم في جسده ويدب في عرقه ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء ويستبدل ببكائه ضحكا وقد قال يحيى ابن خالد بن برمك الغناء ما أطربك فأرقصك وأبكاك فأشجاك وما سوى ذلك فبلاء وهم (قال المعتمد) قد قلت فأحسنت ووصفت فأطنبت وأتيت في هذا اليوم سوقا للغناء وعلم أنواع الملاهي وان كان كلامك لمثل الثوب الموشي يجمع فيه الاحمر والاصفر والاخضر وسائر الالوان فما صفة المغني الحاذق قال ابن حرداذبه المغني الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ولطف في اختلاسه وتفرغ في أجناسه (قال المعتمد) فعلى كم تنقسم أنواع الطرب قال على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين ذكر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج وأخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد أبو نصر ناظرا فى أعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على أميرها أبى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من ملكه والذخائر والاموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شئ وصار نزيارعلى كوهرائين شحنة العراق وفيها انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى أن سده عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفى هذه السنة توفى أبو على الحسن بن القاسم بن محمد المقرى المعروف بغلام الهراس الواسطى بها وكان محدثا علامة فى كثير من العلوم وفى شعبان توفى القاضى أبو الحسين محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان يدرس الفقه بدرب السلولى بالكرخ وهو زوج ابنة القاضى أبى الطيب الطبرى وعبد الرحمن بن محمد بن المظفر ابن محمد بن داود أبو الحسن بن أبى طلحة الداودى راوى صحيح البخارى ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعى على أبى بكر القفال وأبى حامد الاسفرايينى وصحب أبا على الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمى وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان فى قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سألك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفى أبو الحسن بن على بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدى المفسر صنف الوسيط والبسيط والوجيز فى التفسير وهو نيسابورى امام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفى بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابورى الفقيه الشافعى تفقه على أبى محمد الجوينى وسمع من الحاكم أبى عبد الله وأبى عبد الرحمن السلمى وغيرهما وفيها توفى مسعود بن الحسن بن الحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضى الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يامن لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت * أجفان عينى كيف كان رقادى
ان كان يوسف بالجمال مقطع الأ * يدى فانت مفتت الاكباد

﴿ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة﴾

﴿ذكر حصر افسيس مصر وعوده عنها﴾

فى هذه السنة سار الافسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير ان يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهرى الواعظ فى الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الافسيس من غير قتال وعاد على أقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا محلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قبضوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم فى محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فاكثر حتى قتل من التجأ الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم افسيس والصحيح انه اتسز وهو اسم تركى وقد ذكر بعض مؤرخى الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع أمير الجيوش بدرب العساكر واستمد العرب وغيرهم من أهل

اذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب والشوق الى الاوطان والمراثى لمن عدم الصبر من الاحباب وطرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس لاسيما عند سماع جودة التأليف واحكام الصنعة اذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه لا يسره بل تراه متشاغلا عنه فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلد سواء وجوده وعدمه وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من حكماء اليونانيين من عرضت له آفة فى حاسة الشم كره رائحة الطيب ومن غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه (قال المعتمد) فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء قال قد قال فى ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم ان منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر وقد أوضحوا الايقاع ورسموه برسمات ولقبوه بألقاب وهو أربعة أجناس ثقيل الاول وخفيفه وثقيل الثانى وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه والايقاع هو الوزن ومعنى أوقع وزن ولم يوقع خرج من الوزن والخروج ابطاء عن الوزن أو سرعة فالثقيل الاول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة وخفيف

كل زوج وقفة والهزج نقره واحدة واحدة مستويتان ممكنة وخفيف الهزج نقره واحدة واحدة متساويتان فى نسق واحد أخف قدرا من الهزج والطرائق ثمان الثقيلان الاول والثانى وخفيفاهما وخفيف الثقيل منهما يسمى بالماخورى وانما سمى بذلك لان ابراهيم بن ميمون المولى وكان من أبناء فارس وسكن الموصل كان كثير الغناء فى هذه المواخير بهذه الطريقة والرمل وخفيفه ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مرموم ومطلق وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقابا تميزها كالمحصور والمخبول والمجثوث والمخدوع والارواح والعود عند أكثر الامم وجل الحكماء يونانى صنعة أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان فان اعتدلت أوتاره على الاقدار الشريفة جانس الطبائع فأطرب والطرب رد النفس الى الحال الطبيعية دفعة وكل وتر مثل الذى يليه ومثل ثلثه والرسان الذى يلى الانف موضوع على خط التسع من جملة الوتر فهذه يا أمير المؤمنين جوامع فى صفة الايقاع ومنتهى حدوده ففرح المعتمد فى هذا اليوم وخلع على ابن حرداديه وعلى من حضره من ندمائه وفضله عليهم وكان يوم لهو وسرور

البلاد فاجتمع معه خلق كثير وافتتلوا فانهزم اتامش وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد منهزما الى الشام فى نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق * وحكى الى من اثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتامش لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة اساء أصحابه السيرة فى الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فارسل رؤساء القرى ومقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد أمنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج أنت اليه فيمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة فمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى أهل مصر شره وظلمه

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ورد بغداد أبو نصر ابن الاستاذ أبى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية بعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ أبو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة وفيها ترقى الامير على بن أبى منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرداس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * ولا افترقت ما ذب عن ناظر شعر
ضمير لك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

وكان لمحمود أبو نصر مهيبة * وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التقارب كله * ولكن سعيد لا يقاس بمحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وأمر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وأنيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين أبو أحمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف أبو جعفر بن أبى

موسى الهاشمى الحنبلى ورزق الله بن محمد بن أحمد بن على أبو سعد الانبارى الخطيب الفقيه الحنفى سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى المصرى توفى فى رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن أحمد المعروف بابن هزارمرد الصريفينى راوية أحاديث على بن الجعد وهو آخر من رواها وكان ثقة صالحا من طريقه سمعناها

﴿ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة وردمؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بنى حماد عم جده وزوّجه تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية فى عسكر واصحبها من الحلى والجهاز مالا يحد وحمل الناصر ثلاثين ألف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقى وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد فى هذه السنة فتنة بين أهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التى عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضروا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة وانتهبوا وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى القاضى أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد البيضاوى الفقيه الشافعى وكان القاضى أبو الطيب الطبرى جده لامه وفيها توفى أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن النقور أبو الحسين البزاز فى رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة فى الرواية وأحمد بن عبد الملك بن على أبو صالح المؤذن النيسابورى كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهانى أبو القاسم بن أبى عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ أصبهان وله طائفة ينتمون اليه فى الاعتقاد من أهل أصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفى شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولدمات من يومه ودفنا بدار الخلافه ولم تجر بذلك عادة لاحد فعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء فى دار بباب العامة ثلاثة أيام

﴿ثم دخلت سنة احدى وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة﴾

فى هذه السنة عزل فخر الدولة أبو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بامر الله ووزر بعده أبو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب فى ذلك ان أبا نصر بن القشيرى ورد الى بغداد على ماتقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم وفعلت الحنابلة ومن معهم ماذكرناه فنسب أصحاب نظام الملك ماجرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الواسطى الفقيه الشافعى الى نظام الملك

يانظام الملك قد حل ببغداد النظام ... وبقى القاطن فيها * مستهام مستضام
وبها أودى له قتـ * ـلى غلام وغلام ... والذى منهم تبقى * سالما فيه سهام
ياقوام الدين لم يبـ * ـق ببغداد مقام ... عظم الخطب وللصبـ * ـر اتصال ودوام
فتى لم تحسم الدا * ء اياديك الحسام ... ويكف القوم فى بغـ * ـداد قتل وانتقام

من ندمائه صف لى الرقص وأنواعه والصفة المحمودة من الرقاص واذكر لى شمائله فقال المسؤل ياأمير المؤمنين أهل الاقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم من أهل خراسان وغيرهم فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية أجناس الخفيف والهزج والرمل وخفيف الرمل وثقيل الثانى وخفيفه وخفيف الثقيل الاول وثقيله والرقاص يحتاج الى أشياء فى طباعه وأشياء فى خلقته وأشياء فى عمله فأما مايحتاج اليه فى طباعه فخفة الروح وحسن الطبع على الايقاع وأن يكون طالبه مرحا الى التدبير فى رقصه والتصرف فيه وأما مايحتاج اليه فى خلقته فطول العنق والسوالف وحسن الدل والشمائل والتمايل فى الاعطاف ودقة الخصر وحسن أقسام الخلق واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ولطافة الاقدام ولين الاصابع وامكان لينها فى نقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الابل ورقص البكرة وغيره ولين المفاصل وسرعة الانتقال فى الدوران ولين الاعطاف وأما مايحتاج اليه فى عمله فكثرة التصرف فى ألوان الرقص واحكام كل جزء من حدوده وحسن الاستدارة وثبات

وجهان أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع والآخر أن يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء وأما ما يتثبط به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن فليكن ما يوافق الايقاع منه فاما وما يتثبط به متساويا (قال المسعودى) وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الادب منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن غيبته والتداعى فى المنادمات والمراسلات فى ذلك وعدد أنواع الشرب فى الكثرة وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه وأصول الغناء ومباديه فى العرب وغيرها من الامم وأخبار الاعلام من مشهورى المغنين المتقدمين والمحدثين وهيئة المجالس ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم ونعبية مجالس الندماء والتحيات كما قال العطوى فى ذلك

حى التحية أصحاب التحيات القائلين اذا لم تسقهم هات
أما الغداة فسكرى فى نعيمهم وبالعشى فصرعى غير أموات
وبين ذلك قصف لا يعادله قصف الخليفة فى لهو ولذات

وقد أتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب والاستعمال لانواع النقل اذا وضع ذلك

فعلى مدرسة فيه * ها ومن فيها السلام واعتصام بحريم * لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها عظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدى بامر الله يتضمن الشكوى من بنى جهير وسأل عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ أصحاب بنى جهير وايصال المكروه اليهم والى حواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه ويتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين ويناله فيها اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطانى ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة له وعاد الى بغداد فى العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اباه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزر اباشجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة فى اعادة بنى جهير الى الوزارة وشفع فى ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة فى فتح بابه وكان ذلك فى صفر سنة اثنتين وسبعين

## ﴿ذكر استيلاء تتش على دمشق﴾

فى هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان دمشق وسبب ذلك ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يتحد فى تلك النواحى سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجمعوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاط منه تتش حيث لم يعد فى تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بأمور لم يقبلها تتش فقبض عليه فى الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة فى أهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذانى وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى فى كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه وفيها فى المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره أوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفى سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردى الجاوانى فى شهر ربيع الاول ودفن بطسوج وفى رجب توفى أبو على بن البناء المقرى الحنبلى وله مصنفات كثيرة وسليم الجورى بناحية جور من دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف أحدا حاجة وأقام بطبزة من ديار بكر وهى كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة

## ﴿ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة﴾

## ﴿ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة فى بلاد الهند﴾

فى هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجودوهى على مائة وعشرين فرسخا من لهاور وهى قلعة حصينة فى غاية الحصانة كبيرة

تحوى عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض اشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالنبلة المقاتلة وبها من رجال الحرب الوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل أجدادهم فيها أفراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم أحد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبي واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره يشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو برزخ بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها أحجار ملتفة فأقام هناك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق العزوة حتى أنزل الله نصره على أوليائه وذله على أعدائه وعاد الى غزنة سالما ظافرا وهذه العزوات لم أعرف تاريخها وأما الاولى وكانت هذه السنة فلهذا أوردتها متتابعة في هذه السنة

## ﴿ ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب ﴾

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان حصرها مرة بعد أخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياما ورحل عنها وملك براعة والبيرة وأحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربها امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فأسره أحد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وأرسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا أطلقه فأجاب الى ذلك فأطلقه فعاد الى حلب واجتمع بأبيه وعرفه ما استقر فأذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضياعها وسأل ان يقرر عليه الضمان فأجابه السلطان الى ما طلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس

## ﴿ ذكر مسير ملكشاه الى كرمان ﴾

في أول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه والقيه وحمل له الهدايا الكثيرة وخدمه وبالغ في الخدمة فأقره السلطان على البلاد وأحسن اليه وعاد عنه في المحرم سنة ثلاث وسبعين الى أصبهان

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة ولد للخليفة المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه أبا جعفر وزينت بغداد سبعة أيام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه

معرفته والاريب الى قيمته من المولدات في معرفة الالوان ومقادير التوابل والابزار وأنواع المحادثات وغسل اليدين بحضرة الرئيس والمقام عن مجلسه وادارات الكاسات وما حكي في ذلك عن الاسلاف من ملوك الامم وغيرهم وما قيل في الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد في ذلك من الاخبار وطلب الحاجات والاستماحات من أهل الرياسة على المعاقرات وهيئة النديم ومايلزمه لنفسه ومايلزم الرئيس لنديمه والفرق بين التابع والمتبوع والنديم والمنادم وما قال الناس في العلة التي من أجلها سمي النديم نديما وكيفية الادب في لعب الشطرنج والنرد بينها وبين النرد وما ورد في ذلك من الاخبار وانتظمت فيه من الدلائل والآثار وما ورد عن العرب في أسماء الخمر وورود التحريم فيها وتنازع الناس في رد غيرها من أنواع الاشربة عليها قياسا ووصف أنواع آنيتها ومن كان يشربها في الجاهلية ومن حرمها ووصف السكر وما قال الناس في ذلك وكيفية وقوعه أمن الله أم من خلقه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني وغنا

نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا (وكان أبو العباس) المعتضد محبوسا فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار

خمارتكين وكوهرائين فى قتل ابن عـلان اليهودى ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابى وكوهرائين عـداوة فسعيا باليهودى لذلك فأمر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة أيام وأغلق بابه ثم أشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها أشياء كثيرة وعاتبه على فعـله فاعتذر اليه وكان أمر اليهودى قد عظم الى حـد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من فى البصرة الا القاضى وكان له نعمة عظيمة وأموال كثيرة فأخـذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة ألف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة أذرع فخربت بعض دواليب هيت وخرب فوهـة نهر عيسى وزاد تامرا نيما وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتى طراستان وخانقين الكسر ويتين فقطعهما وفيها فى ذى الحجة توفى نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانبارى وفيها توفى أبو منصور محمد بن عبد العزيز المكبرى ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحـدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبـة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبى القاسم الطبرى اللالكائى وولد سنة تسع وأربعمائة وحـدث عن هلال الحفار وغـيره وتوفى فى جمادى الاولى وفيها توفى أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لامه القاضى أبى نصر محمد بن هرون بن الجندى

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه﴾

فى هذه السنة فى شعبان سار السلطان ملكشاه الى الرى وعرض العسكر فأسقط منهم سبعة آلاف رجـل لم يرض حالهم فمضوا الى أخيـه تكش وهو ببوشنج فقوى بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما أمر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعـة غير الجندية فاذا أسقطوا لا نأمن ان يقيموا منهـم رجلا ويقالوا هـذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا اضعاف مالهم من الجارى الى أن نظفر بهـم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى أخيه وأظهر العصيان ندم على مخالفـة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولى تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد أسر جماعـة من أصحاب السلطان فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى أخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هـذه السنة تسلم مؤيد الملك ابن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفى أبو على ابن شبل الشاعر المشهور ومن شعره فى الزهد

أهـم بـترك الذنب ثم يردنى * طموح شباب بالغرام موكل
فمن لى اذا أخرت ذا اليوم توبة * بان المنايا الى الشيب تعجل
أأعجز ضعفا عن أداحق خالقى * واحـمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها أيضا توفى العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفى عبد السلام بن أحـمد بن محـمد بن جعفر أبو الفتح الصوفى من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحـديث بالعراق والشام ومصر واصبهان

الوزير اسمعيل بن بلبل وكان الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحرير وفى أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فتحمله للرجال على أكتافها نوائب وكان وصـوله الى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سـنة ثمان وسبعين ومائتين فأقام بمدينة السلام أياما فاشتدت علتـه وأرجفت بمـوته وانصرف اسمعيل بن بلبل وقد يئس منه فوجه اسمعيل ابن بلبل الى كفهمن وقيل الى بكمن وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل من يوم من مدينة السلام ان ينصرف بالمعتضد والمفوض الى الله الى بغداد فدخل المعتضد اليها فى يومه واتصل باسمعيل صلاح الموفق فانحدر ومعه المعتضد والمفوض فى طيار الى ولده وقد كان يأنس الخادم ومؤنس الخادم وصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وعلمانه أخرجوا أبا العباس من الموضع الذى كان فيـه محبوسا وساروا به الى الموفق ولما أحضر اسمعيل ابن بلبل الموفق والمعتضد معه وكثر اضطراب القواد والموالى وأسرعت العامة وسائر الخـدم فى النهب فانتهبوا دار اسمعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيـل الا انتهبوها وفتحت الجسور وأبواب السجون ولم يبق أحد فى المطبق ولا فى الحديد الا أخرج وكان أمرا فظيعا غليظا وخلع وغيرها

وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم النفكرى الزنجانى ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من أبى نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبى اسحق الشيرازى وادرك أبا الطيب الطبرى وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

﴿ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه)﴾

فى هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير الى السلطان يخطب ابنته لنفسه فسار فخر الدولة الى أصبهان الى السلطان يخطب ابنته فامر نظام الملك أن يمضى معه الى خاتون زوجة السلطان فى المعنى فمضيا اليها فخاطباها فقالت ان ملكشاه غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها الا ولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها ارسلان خاتون التى كانت زوجة القائم بامر الله ما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه المال فاجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وانه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فاجيبت الى ذلك فاعطى السلطان يده وعاد فخر الدولة الى بغداد

﴿(ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور)﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى نور الدولة أبو الاغر دبيس بن على بن مزيد الاسدى بطيرابا ذو كان عمره ثمانين سنة وامارته ستا وخمسين سنة ومازال ممدحا فى كل زمان مذكورا بالتفضل والاحسان ورثاه الشعراء فاكثروا وولى بعده ما كان اليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء الدولة فاحسن السيرة واعتمد الجميل وسار الى السلطان ملكشاه فى ذى القعدة واستقر له الامر وعاد فى صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه

﴿(ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس)﴾

فى هذه السنة حصر الامير تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينة قابس حصارا شديدا وضيق على أهلها وعاث عساكره فى بساتينها المعروفة بالغابة فافسدوها

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة سار تتش بعد عوده شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامى فافتتح انطرطوس وبعض ما الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران وأخذها من بنى وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر القائمى بشق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى أن سده ظفر وفيها أرسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذى وزر للخليفة بعد بنى جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يامره بالرضا عن أبى شجاع فرضى عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من أخذه وغسله حتى تغيرت رائحته وأراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وأمر بالنياحة عليه فى البلد ففعل ذلك عدة أيام جلس له وزير الخليفة فى العزاء ببغداد وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن رضوان أبو القاسم وهو من أعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقى ثلاث سنين فى بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتا ولا

اليه الشاه بن ميكال ما قعد عليه وقام بأمر طعامه وشرابه وقد كان اسمعيل أسرع فى بيوت الاموال وأسرف فى النفقات والجوائز والخلع وأمد العرب وأجزل لهم الانزال والارزاق واصطنع بنى شيبان من العرب وغيرهم من ربيعة وكان يزعم أنه رجل من بنى شيبان وطالب بخراج سنة مبهمة فثقل على الرعية وكثر الداعى عليه ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ثم توفى يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ومات وله تسع وأربعون سنة وأمه أم ولد رومية يقال لها اسحق وكان اسم الموفق طلحة وفيه يقول الشاعر

لما استقل بظل الملك واجتمعت
له الامور فنقاد ومقسور
حطت عليه لمقدار منيته
كذلك تصنع بالناس المقادير

فلما مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس فى التدبير مكان أبيه الناصر وهو الموفق وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد وقام اسمعيل بن بلبل فى الوزارة بعد شغب كثير كان فى مدينة السلام وكان لابى عبد الله بن أبى الساج

 ولخادمه وصيف خطب جليل وفيد اسمعيل بن بلبل ووجه أبو العباس الى أبى عبد الله بن سليمان بن

وهب فأحضره وخلع عليه ومائتين ولم يزل اسمعيل بن بلبل يعذب بأنواع العذاب وجعل فى عنقه غلافيه رمانة حديد والغل والرمانة مائة وعشرون رطلا وألبس جبة صوف قد صيرت فى ودك الاكارع وعلق معه رأس ميت فلم يزل على ذلك حتى مات فى جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفن بغله وقيوده وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التى كانت فى خزانته فضربت وفرقت فى الجند (قال المسعودى) وقد كان المعتمد قعد للغداء واصطبح يوم الاثنين لاحدى عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين فلما كان عند العصر قدم الطعام فقال يا موشكيره للموكل به ما فعلت الرؤس بأرقابها وقد كان قدم من الليل أن يقدم له رأسا جالين وقد فصل فيهما أرقابهما فقدما وكان معه على المائدة رجل من ندمائه يعرف بقف الملقم ورجل آخر يعرف بخلف المضحك فأول من ضرب بيده الى الرؤس الملقم فانتزع أذن واحد منهما وأما المضحك فانه يقتلع اللهازم والاعين فأكلوا وأكل المعتمد وأتموا يومهم فأما الملقم صاحب اللقمة الاولى فانه تهرى فى الليل وأما المضحك فانه مات قبل الصباح وأما المعتمد فأصبح مينا فلحق بالقوم ودخل الى



بمصر ضوأ وفيها فى ذى الحجة توفى أبو محمد بن أبى عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بجامعه بنهر القلائين وتوفى على بن أحمد بن على أبو القاسم البسرى البندار ومولده سنة ست وثمانين ومائتين سمع الخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفى أبو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشى النحوى

## ﴿ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة﴾

### ﴿(ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك)﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد فى شعبان فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وأرسل الخليفة اليه فى اليوم الثالث فأقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكى نظام الملك ويذكره فى خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ وأعمالها فسار من وقته يطوى المراحل الى والده والسلطان وهما بأصبهان فاستقبله أخواه فخر الملك ومؤيد الملك وأغلظ لهما القول فى اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يسارره فانتهره وقال منلك يفعل هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان فى هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وأمر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وأبيه الى خراسان وأقاموا بنيسابور مدة ثم أرادوا العود الى أصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما أحب لك رأسك أم رأس جمال الملك فقال بل رأسى فقال لئن لم تعمل فى قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظ نعمتكم ومناصبكم وتدبروا فى قتل جمال الملك فان السلطان يريد أن يأخذه ويقتله ولان تقتلوه أنتم سرا أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سمانى كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فاعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وأنت أولى من صبر واحتسب

### ﴿(ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة)﴾

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكرى المغربى لواعظ وكان أشعرى المذهب وكان قد قصد نظام الملك فاحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كثروا ثم انه قصد يوما دار قاضى القضاة أبى عبد الله الدامغانى بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة ادّت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء وأخذ كتبهم وأحرق منها كتاب الصفات لابى يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسى للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن واغب البكرى من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبى الحسن الاشعرى

### ﴿(ذكر مسير الشيخ أبى اسحق الى السلطان فى رسالة)﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة أوصل الخليفة المقتدى بامر الله الشيخ أبا اسحق الشيرازى الى حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح ابن أبى الليث عميد العراق وأمره ان ينهى ما يجرى على البلاد من النظار فسار فكان كلما وصل الى

الى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها اليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع أهلها وسألوه وقهاوها كل منهم أن يدخل بيته فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو بنهاهم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل الاطفال ونثروها وكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لاصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال أما أنا فعطيت بالحفة وهو يضحك فاكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين أمام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد أهدى العميد وكبر عما كان يعتمده ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه السهلكي ألقى نفسه من دابته كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق فقبل أبو اسحق رجله وأقعده موضعه وجلس أبو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيأ من حنطة ذكر أنها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح بها أبو اسحق

## ﴿ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها﴾

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فجمع أيضا العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده ذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها أول المحرم سنة ست وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الاسر وتراجع اليه أصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا أن مصر لم يصل اليه منها عسكر وأتاه عن بلاده الخبر بان أهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده وأظهر أنه يريد البلاد بفلسطين فرحل أولا الى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شئ كثير وانقطع خلق كثير

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من أصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول أوقات الصلوات الثلاث فأعطى مالا جليلا حتى قطعه وأرسل الطبول الى تكريت وفيها توفي أبو عمر وعبد الوهاب بن محمد بن اسحق بن منده الاصبهاني في جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين وأربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله مماليكه الاتراك بكرمان وأخذوا ماله

## ﴿ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة﴾

وربيع أبو العباس أحمد بن طليحة المعتضد بالله في اليوم الذي مات فيه المعتمد على الله عمه وهو يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت

الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول هل ترون به من بأس وأثرمات فجأة وقتلته مداومته لشرب النبيذ فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل في تابوت فدفن بها الى سامرا (وذكروا) والله أعلم أن سبب وفاته أنه سقي نوعا من السم في شرابهم الذي كانوا يشربونه وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه في سنبل الطيب وهو ألوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة (وللمعتمد) أخبار حسان وما كان في أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار وما كان بديار بكر من بلاء وأسر وغيرهما من أحمد بن عيسى ابن الشيخ وما كان باليمن قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث في كل سنة من أيامه من الحوادث في كتابنا أخبار الزمان والاوسط فأغنى ذلك عن أعادته في هذا الكتاب

## ﴿ذكر خلافة المعتضد بالله﴾

شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وماتين فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين وتوفى بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة وقيل انه ولى الخلافة وهو ابن احدى وثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثمانين على ماذكرنا وله أربعون سنة وأشهر على تباين أصحاب التواريخ فى كتبهم وما أرخوه فى أيامهم والله الموفق

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المعتضد بالله سكنت الفتن وصلحت البلدان وارتفعت الحروب ورخصت الاسعار وهدأ الهرج وسالمه كل مخالف وان كان مظفرا قد دانت له الامور وانفتح له الشرق والغرب وأذيل له فى أكثر المخالفين عليه والمنابذين له وظفر بهرون الشارى وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة بدره ولاه واليه جميع المعارف فى جميع الآفاق واليه أحمل الجيوش وسائر القواد وخلف المعتضد فى بيوت الاموال تسعة آلاف ألف دينار ومن الورق أربعون ألف ألف درهم والدواب والبغال والحير والجمال اثنى عشر ألف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام (وحكى عبد الله بن حمدون) وكان نديمه وخاصته

﴿ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر﴾

فى هذه السنة فى صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان أن يرسل اليهما بنى جهير فاذن لهما فى ذلك وساروا بجميع أهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه وأعطاه الكوسات وسيره مع العساكر وأمره أن يقصدها ويأخذها من مروان وأن يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب فى الديوان أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على أبنية الدار وغيرها

﴿ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها﴾

فى هذه السنة عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش وأطاعوا قاضيهم ابن حلبة وأرادوا هم وابن عطير النميرى تسليم البلد الى حبق أمير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد فى جمادى الاولى وأخذ القاضى ومعه ابنين له فصلبهم على السور

﴿ذكر وزارة أبى شجاع محمد بن الحسين للخليفة﴾

فى هذه السنة عزل الخليفة أبا الفتح بن رئيس الرؤساء عن الديوان واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة فى شعبان ولقبه طهير الدين ومدحه الشعراء فاكثروا فمن مدحه وهنأه أبو المظفر محمد بن العباس الابيوردى بالقصيدة المشهورة التى أولها

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

ومنها

فانهل اسراب الدموع كأنها * منح بثامنها طهير الدين

﴿ذكر قتل أبى المحاسن بن أبى الرضا﴾

فى هذه السنة فى شوال قتل سديد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبى الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربا عظيما وكان أبوه يكتب بالطغراء فقتل أبو المحاسن للسلطان سلم الى نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم اليك منهم ألف ألف دينار فانهم يأكلون الاموال ويقتطعون الاعمال وعظم عنده خطرهم وبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطا عظيما وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الاتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له انى قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولى حق خدمة وقد بلغك أخذى لعشر أموالك وصدق هذا أنا آخذه وأصرفه الى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضا الى الصدقات والصلات والوقوف التى أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأموالى وجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعة وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبى المحاسن وأن تسمل عيناه وأنفذه الى قلعة ساوة وسمع أبو كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتى ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

﴿ذكر استيلاء مالك بن علوى على القيروان وأخذها منه﴾

فى هذه السنة جمع مالك بن علوى الصحرى العرب فاكثر وسار الى المهدية فحصرها فقام الامير تميم

تميم بن المعز قياما تاما ورحله عنها ولم يظفر منها بشئ فسار مالك منها الى القيروان فحصرها وملكها فجرد اليه تميم العساكر العظيمة فحصروه بها فلما رأى مالك انه لا طاقة له بتميم خرج عنها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت الى ملكه كما كانت

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة الجيدة ببغداد عشرة دنانير وفيها فى جمادى الاخرة توفى الشيخ أبو اسحق الشيرازى وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وأكثر الشعراء مراثيه فمنهم أبو الحسن الحباز والبندنيجى وغيرهما وكان رحمة الله عليه واحد عصره علما وزهدا وعبادة وسخاء وصلى عليه فى جامع القصر وجلس أصحابه للعزاء فى المدرسة النظامية ثلاثة أيام ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب فى التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولى فلما بلغ ذلك نظام الملك أنكره وقال كان يجب ان تغلق المدرسة بعد الشيخ أبى اسحق سنة وصلى عليه بباب الفردوس وهذا لم يفعل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدى بأمر الله وتقدم فى الصلاة عليه أبو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو ينوب فى الوزارة ثم صلى عليه بجامع القصر ودفن بباب أبرز

﴿ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)﴾

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير فى العساكر السلطانية الى ديار بكر فلما كانت هذه السنة سير السلطان اليه أيضا جيشا فيهم الامير ارتق بن أكسب وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وسأله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لا أوثر ان يحمل بالعرب بلاء على يدى فعرف التركمان ما عزم عليه فركبوا ليلا وأتوا الى العرب وأحاطوا بهم فى ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق وغنم التركمان حمل العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى قصيل آمد وحصر فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير أرتق وبذل له مالا وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق ما بذل له شرف الدولة أذن له فى الخروج فخرج منها فى الحادى والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وأرسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة فنازلوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطانى على حمل العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد الاموال وافتك اسرى بنى عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل أمرا عظيما وأسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء فى ذلك فأكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسى يذكر ذلك فى قصيدة

كما أحرزت شكر بنى عقيل * بأمديوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب فى حوافلها أزورار

حيزه لان للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا وأكثر من ذلك قال ابن حمدون فتعجبت من ذلك فى أول أمره ثم تبينت القصة فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم وتقدم الى خزانه أن يختار له من الثياب التسترية والديبقية أحسنها التقطيعها لنفسه (وكان) مع ذلك قليل الرحمة كثير الاقدام سفاكا للدماء شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله (وكان) اذا غضب على القائد النبيل والذى يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ويطرح التراب عليه ونصفه الاسفل ظاهر على التراب ويداس التراب فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره (وذكر) من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد فيؤخذ القطن فيحشى فى أذنه وخيشومه وفمه وتوضع المناقع فى دبره حتى يتفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشئ من القطن ثم يقصد وقد صار كالجمل العظيم من العرقين اللذين فوق الحاجبين فتخرج النفس من ذلك الموضع وربما كان يقتل الرجل فى أعلى القصر مجردا ويتقاذف به الى الارض حتى يموت (واتخذ) المطامير وجعل فيها صنوف العذاب وجعل عليها الحرس المتولى لعذاب

فاجبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
مغلب عليهم وهلكت عنهم * وفي أثنائه حبلهم انتشار
ولولا أنت لم ينفك منهم * أسير حين أعلقه الاسار

في أبيات كثيرة وذكر أيضا البندنيجي أبياتا أحسن ولولا خوف التطويل لذكرت أبياته

## ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك في اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره في جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء اقسنقر قسيم الدولة جد ملوك أصحاب الموصل وهو الذي أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير أرتق قد قصد السلطان فعاد صحبته عميد الدولة من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل وأرسل الى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ما ذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فأرسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فأعطاه العهود والمواثيق وأحضره عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت أمواله قد ذهبت فاقترض ما خدم به وحمل للسلطان خيلا رائعة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من المعركة ومن آمد أيضا وكان سابقا لا يجارى فأمر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فسماه السلطان فائقا لما تقدم ذكره من العجب وأرسل الخليفة المقتفي طراد الزينبي في ارتقي شرف الدولة ومقيه بالموصل فزاد أمر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان وأقره على بلاده وعاد الى خراسان لحرب أخيه

## ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان وكان أصحابه يؤثرون الاختلاط بحسنواله مفارقة طاعة أخيه فأجابهم وسار معهم فملك مرو الروذ وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهي لمسعود ابن الامير ياخز وقد حصنها جهده فحصروه بها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن ياخز وكان خط أبي الفتوح أشبه شيء بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو في ليلة كذا واستدعيا فيجابيثقون به وأعطياه دنانير صالحة وقالا سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلاني فأقم به ونم وأخف هذا الملطف في بعض حيطانه فستأخذ طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يصربوك فاذا فعلوا ذلك وبلغوا فأخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالري وذلك صباح الجمعة والكرامة تفعل ذلك وجرى الامر على ما وصفا وأحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فأظهر الملطف وسلمه اليهم وأخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر فلما وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل سالموا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة ونج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود وأخذ ما في المعسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة أشهر ولولا هذا الفعل لذهب تكش الى باب الري ولما وصل

الناس ولم يكن له رغبة الا في النساء والبناء فانه أنفق على قصره المعروف بالثريا أربعمائة ألف دينار وكان طول قصره المعروف بالثريا ثلاثة فراسخ (وأقر عبيد الله) بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم ابن عبيد الله (وقد كان المعتضد) في هذه السنة وهي سنة تسع وسبعين ومائتين ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين الى مصلى اتخذه بالقرب من داره وكبر في الركعة الاولى ست تكبيرات وفي الآخرة تكبيرة واحدة ثم صعد المنبر فخصر ولم تسمع له خطبة (ففي ذلك) يقول بعض الشعراء

حصر الامام ولم يبين خطبة
للناس في حل ولا احرام
ماذاك الا امر حيام لم يكن
ما كان من عجب ولا احكام

(وفي هذه السنة) قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسولا من مصر لخمارويه ابن أحمد ومعه هدايا كثيرة وأموال جليلة فوصل الى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ثم سعى في تزويج ابنة خمارويه من علي المكتفي فقال المعتضد انما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد في تشريفه أنا أتزوجها فتزوجها وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها فيقال انه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط

السلطان

السلطان قصد تكش وأخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله منه مكروه فافتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده أحمد ففعل ذلك فامر أحمد بكحله فكحل وسجن

﴿ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية﴾

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية وانصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشام فملك مدينة انطاكية من أرض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها شحنة وكان الفردوس مسيئا الى أهلها والى جنده أيضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للوعد فنصب السلاليم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة وأخذ البلد في شعبان فقاتله أهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من أهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان وأخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وأمرهم بعمارة ما خرب ومنع أصحابه من النزول في دورهم ومحالاتهم ولما ملك سليمان انطاكية أرسل الى السلطان ملكشاه يبشره بملكه وينسب هذا الفتح اليه لانه من أهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فممن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر * نار بمعتلج الكثيب الاعفر
وفصمت انطاكية الروم التي * نشرت صماخها على الاسكندر
وطئت مساكبها اجيادك فانثنت * تلقي اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

﴿ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم﴾

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها أرسل اليه شرف الدولة مسلم ابن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فاجابه أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد وأعمال الكفار وأما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه وأصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا أحمل شيأ فنهب شرف الدولة بلد انطاكية ونهب سليمان أيضا بلد حلب فلقيه أهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت أشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم أحوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمته الشريعة وأمر أصحابه باعادة ما أخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق أمير التركمان في أصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة في طرف من أعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا لتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان أحول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة والموصل وحلب

عنده فكان ذلك سبب غناه واستقلاله وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك في أيام المقتدر وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الاموال بهذا السبب وغيره وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد الى أبي الجيش وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق وكان مما خص به أبا الجيش في نفسه وحباه به بدرة من الجوهر لم تثمن فيها در وياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج واكليل وقيل قلنسوة وكردف وكان وصولهم الى مصر في رجب سنة ثمانين ومائتين وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا الى مدينة السلام في الماء (وحدث أبو سعيد) أحمد بن الحسين ابن منقذ قال دخلت يوما على الحسين بن الجصاص واذا بين يديه سفط خيار مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه سبح فرأيت شيأ حسنا ووقع في نفسي ان عدد حباها يجاوز العشرين فقلت له جعلني الله فداك كم عدد كل سبحة فقال لي مائة حبة وزن كل حبة كوزن صاحبتها لا تزيد ولا تنقص قد عددت كل سبحة وزن صاحبتها واذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب فلما خرجت من عنده تلقاني

وما كان لابيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن فى بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيأ وكان له فى كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ولما قتل قصد بنو عقيل أخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه أمرهم وكان قد مكث فى الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشى والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤده فى نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من أرض الجزيرة مقارب الموصل بينهما يوم ان عند نزول السلطان بها واسماه أحمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التى ولد فيها وأمه أم ولد وفى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد ابن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعى صاحب الشامل والكامل وكفاية المسائل وغيرها من التصانيف بعد أن أضر عدة سنين وكان مولده سنة أربعمائة والقاضى أبو عبد الله الحسين بن على البغدادى المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعى وكان اليه القضاء بباب الازج وحج لما انقطع الحج على سبيل التجريد واسمعيل بن سعده بن اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم أبو القاسم الاسماعيلى الجرجانى ومولده سنة أربع وأربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا اديبا وداره مجمع العلماء

## ﴿ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة﴾

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس وأخذوها من المسلمين وهى من أكبر البلاد وأحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوى شأنه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم وأخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذى النون وعرف من أين يؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين وأخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله أبو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك أكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدى الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويتملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التى فى الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول فى جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق أصحابه على قواد عسكره ثم أمر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة

أبو العيناء فقال لى يا أبا سعيد على أى حال تركت هذا الرجل فوصفت له ما رأيت فقال رافعا رأسه الى السماء اللهم انك لم تساو بينى وبينه فى العمى ثم اندفع يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما شأنك فقال لا تنكر ما رأيت منى لو رأيت ما رأيت لسعفت ثم قال الحمد لله على هذه الحالة وقال يا أبا سعيد ما حمدت الله تعالى على العمى الا فى وقتى هذا فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص بأى شئ ختم هذه السبح فقال ياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها

(وكانت وفاة أبى العيناء) سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة فى جمادى الآخرة وكان يكنى بأبى عبيد الله وكان قد انحدر من مدينة السلام الى البصرة فى زورق فيه ثمانون نفسا فى هذه السنة فغرق الزورق ولم يتخلص مما كان فيه الا أبو العيناء وكان ضريرا تعلق بطلال الزورق فأخرج حيا ونافر كل من كان معه فبعد أن سلم ودخل البصرة مات

(وكان) لابى العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبى البصير وغيره وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (وحضر) مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابى العيناء وقد كان آمعن فى وصفهم

ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

﴿ ذكر استيلاء ابن جهير على آمد ﴾

فى المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد أنفذ اليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وأرادوا قلع كروما وبساتينها ولم يطمع مع ذلك فى فتحها لحصانتها فمع أهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابى الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فاتاهم وملك البلد واتفق أهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بنى مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم

﴿ ذكر ملكه ايضا ميافارقين ﴾

وفى هذه السنة أيضا فى سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين فى عسكره نجدة له فجد فى القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى أهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة وأخذ جميع ما استولى عليه من أموال بنى مروان وأنفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فاتحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها فى شوال ووصل ما معه الى السلطان

﴿ ذكر ملك جزيرة ابن عمر ﴾

فى هذه السنة ارسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهى لبنى مروان أيضا فحصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا بابا للبلد صغيرا يقال له باب البويبة لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وأدخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بنى مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيأ وانما بتلك الحركة يؤخذون الى الآن

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول وصل أمير الجيوش فى عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشئ فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد وأحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وأرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ونهاهم عن سفك الدماء فتحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافى الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بأرّجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها فى ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل أحمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم فى أطراف السماء وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالتهبت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق فى كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها فى ربيع الآخر توفى امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ومولده

المحسنين فقال له أبو العيناء فلم لا يكذب الورّاقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود فأمسك عنه الوزير وتعجب الناس من اقدامه عليه (واستأذن) يوما على الوزير صاعد بن مخلد فقال له الحاجب الوزير مشغول فانتظر فلما أبطأ أذنه قال للحاجب ما صنع الوزير قال يصلى قال صدقت لكل جديد لذة يعيره بأنه حديث عهد بالاسلام (وقد كان أبو العيناء) دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين فقال له كيف قولك فى دارنا هذه فقال ان الناس بنوا الدور فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك فاستحسن ذلك ثم قال له كيف شربك النبيذ فقال أعجز عن قليله وأفتضح من كثيره فقال له دع هذا عنك وناد منا فقال أنا امرؤ محجوب والمحجوب تخطرف اشارته ويجور قصده وينظر منه الى ما لا ينظر اليه وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا أحب أن أخدم وأخرى لست آمن أن تنظر الىّ بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار

سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الامام المشهور فى الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبى محمد الجوهرى وغيره وفيها فى ذى الحجة توفى محمد بن أحمد بن عبد الله بن احمد بن الوليد أبو على المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وأئمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على أن يخرج منه من علة بغداد وأخذ الكلام عن أبى الحسين البصرى وعبد الجبار الهمذانى القاضى ومع جملة تلاميذه ابن برهان وهو أكبر منه وفى هذه السنة توفى القاضى أبو الحسن هبة الله بن محمد ابن السيبى قاضى الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان يذاكر الامام المقتدى بامر الله وولى ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدى قاضى القضاة ابن الدامغانى وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف الدولة وسجنه بالرحبة فهرب منها الى بغداد فمات بعد وصوله الى مأمنه باربعة أشهر وكان كريما متواضعا لم تغيره الولاية عن اخوانه وفيها فى رجب توفى قاضى القضاة أبو عبد الله بن الدامغانى ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب القاضى أبا العلاء بن صاعد وحضر بمجلس أبى الحسين القدورى وولى قضاء القضاة بعده القاضى أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامى وهو من أكبر أصحاب القاضى أبى الطيب الطبرى وفيها توفى عبد الرحمن بن مأمون بن على أبو سعد المتولى مدرس النظامية وهو من أصحاب القاضى حسين المروزى وتم كتاب الابانة

## ﴿ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة﴾

### ﴿(ذكر قتل سليمان بن قتلمش)﴾

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل الى ابن الحتيتى العباسى مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها اليه فانفذ اليه واستمهله الى ان يكاتب السلطان ملكشاه وأرسل ابن الحتيتى الى تتش صاحب دمشق بعده ان يسلم اليه حلب فسار تتش طالبا لحلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجدا فوصل الى تتش وقت السحر على غير تعبية فلم يعلم به حتى قرب منه فعبى أصحابه وكان الامير ارتق بن أكسب مع تتش وكان منصورا لم يشهد حربا الا وكان الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد واطلاقه شرف الدولة من آمد فلما فعل ذلك خاف ان ينهى ابن جهير ذلك الى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش فاقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فابلى فيها بلاء حسنا وحرض العرب على القتال فانهزم أصحاب سليمان وثبت هو فى القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكينا معه فقتل نفسه وقيل بل قتل فى المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش فى السنة الماضية فى صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة الى حلب على بغل ملفوفة فى ازار وطلب من أهلها ان يسلموها اليه وفى هذه السنة فى صفر أرسل تتش جثة سليمان فى ازار ليسلموها اليه فاجابه ابن الحتيتى انه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله وكان ابن الحتيتى قد سلم كل برج من ابراجها الى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجا فيها الى انسان يعرف بابن الرعوى ثم ان ابن الحتيتى أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك الى ان أرسل الى تتش يستدعيه ووعده ليلة يرفع الرجال الى السور فى الحبال فأتى تتش للميعاد الذى ذكره فاصعد الرجال فى الحبال والسلالم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتى بالامير ارتق فشفع فيه واما القلعة فكان بها سالم بن مالك بن

---

نعم العبد انه أواب وقال جل ذكره ... هما زمشاء بنميم الآية فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبى والذمى فلا ضير فى ذلك قال الشاعر

اذا أنا لم المعروف لم أك صادقا ... ولم أشتم الندس اللئيم المذمما

فقيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لى الله المسامع والفما

قال من أين أنت قال من البصرة قال ما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه قال ما تقول فى عبد الله بن يحيى بن خاقان قال نعم العبد منقسم بين طاعة الله تعالى وخدمتك ودخل ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد فقال له ما تقول فى ميمون قال يد تسرق واست تضرط وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف خزينة له اقدام ومعه احجام احسانه تكليف واساءته طبيعة فأضحك ذلك منه ووصله وصرفه (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو ابن الليث الصفار مائة دابة من مهارى خراسان وحمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف درهم وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان من فضة مرصعان بالجوهر الاحمر والابيض وبين يدى هذا المثال أصنام صغار لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر وكان هذا التمثال بدران

بدوان وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فاقام تتش يحصر القلعة سبعة عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها

﴿ذكر ملك السلطان حلب وغيرها﴾

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق وبوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى وولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق ويلجؤن الهائم عبر الفرات الى مدينة حلب فذلك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها أخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه أخي الذي أنا مستظل بظله فانه يعود بالوهن علي أولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده وبيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر بن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده وأقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة اقسنقر فعمرها وأحسن السيرة فيها واما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وأرسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

﴿ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة﴾

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات أجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع بذكائه في الذي استفاد منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لها ما ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه * غداة أنادي للقفار وأنتمي

وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان أودى خدننا وند يمنا * أبو مالك فالنائبات تنوب
فكل ابن أنثى لامحالة ميت * وفي كل حي للمنون نصيب
ولو رد حزن أو بكاء لهالك * بكيناه ما هبت صبا وجنوب

ولما توفي أرسل الخليفة الى ولده سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف

الجانب الشرقي فنصب للناس ثلاثة أيام ثم رد الى دار المعتضد وذلك يوم الخميس لاربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر اليه عدة هذه الايام وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار وهي ثغور في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مما يليها من الاكابر والامم المختلفة حضر وبدو فمن الحضر بلاد كابل وبلاد ماجان وهي بلاد متصلة ببلاد رابلستان والرج وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الامم الماضية والملوك الغابرة أن رابلستان تعرف ببلاد فيروز بن كنك ملك رابلستان (وقد كان) عيسى ابن علي بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد الى السند وجبالها والقندهار والرج ورابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها في تلك الديار (في ذلك يقول) الاعمى الشاعر المعروف بابن القذاذ القمي

كاد عيسى يكون ذا القرنين * بلغ المغربين والمشرقين لم يدع كابلا ولا رابلستا * ن فما حولها الى الرجين وقد قدمنا فيها

الدولة الى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لابيه وأكثر الشعراء مراثى بهاء الدولة

## ﴿ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج﴾

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الاذفونش ملك الفرنج وعود المعتمد الى اشبيلية فلما عاد اليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا القليل وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت وساروا الى القاضى عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد ان كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا نكتب الى عرب افريقية ونبذل لهم اذا وصلوا الينا قاعمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين فى سبيل الله قال نخاف اذا وصلوا الينا يخربون بلادنا كما فعلوا بافريقية ويتركون الفرنج ويبدؤن بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب الينا فقالوا له فكاتب أمير المسلمين وارغب اليه ليعبر الينا ويرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم فى ذلك فعرض عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولى اليه فى ذلك فامتنع وانما أراد ان يبرئ نفسه من تهمة فالح عليه المعتمد فسار الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فابلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الاذفونش وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة فى الحال أمر بعبور العساكر الى الاندلس وأرسل الى مراكش فى طلب من بقى من عساكره فاقبلت اليه يتلو بعضها بعضا فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد باشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ووصلت الاخبار الى الاذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب الى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب فى الكتاب فأمر أمير المسلمين أبا بكر بن القصيرة ان يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فاجاد فلما قرأه على أمير المسلمين قال هذا كتاب طويل أحضر كتاب الاذفونش واكتب فى ظهره الذى يكون ستراه فلما عاد الكتاب الى الاذفونش ارتاع لذلك وعلم انه بلى برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى فى منامه كأنه راكب فيل وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه وقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها فاحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة وقوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فاعجبته فأحضر ذلك المعبر وقال له بهذا الجيش ألقى الله محمدا صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه واعجاب المرء بنفسه وسار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس وأتى الاذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لامير المسلمين ان ابن عباد رجل لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه أمير المسلمين يأمره ان يكون فى المقدمة ففعل ذلك وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه فى خلف جبل والمعتمد فى سفح جبل يتراءون وينزل أمير المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذى يراه وكان الفرنج فى خمسين

ذوى العناية والتنقير ومن أكثر فى الارض المسير أحصن منها ولا أمنع ولا أعلى فى الجو ولا أكثر عجائب منها وذكرنا عجائب تلك الديار الى بلاد الطمسيس وبلاد خراسان واتصالها بسجستان وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر وما فى العامر من الامم المختلفة الخلق والخلق (وقد كان) أهل البصرة وردوا على المعتضد فى مراكب بحرية بيض مشحمة بالشحم والنورة على ما فى بحرهم ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل الرياسة والشرف والعلم منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى وكان مولى آل جمح من قريش وكان ولى القضاء بعد ذلك يشكون الى المعتضد ما نزل بهم من محن الزمان وجدب لحقهم وجور من العمال اعتورهم وألحوا بالصياح والضجيج فى مراكبهم فى دجلة فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب وأمر الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث يسمع المعتضد خطابهم فيقضون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ثم أذن للبصريين فدخلوا وأبو خليفة فى أولهم عليهم الطيالسة الزرق والاقناع على رؤسهم ذوو عوارض جميلة وهيئة حسنة فاستحسن المعتضد ما رأى منهم وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة فقال عمر الفا

ألفا فتيقنوا الغلب وأرسل الاذفونش الى المعتمد فى ميقات القتال وقصده الملك فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فانهزم فرقا على الهزيمة وكان المعتمد قد أرسل الى أمير المسلمين يعلمه بمجيء الفرنج للحرب فقال احملوني الى خيام الفرنج فسار اليها فبيناهم فى القتال وصل أمير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج ذلك لم تملكوا أن انهزموا وأخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم أمير المسلمين من بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم أحد ونجا الاذفونش فى نفر يسير وجعل المسلمون من رؤس القتلى كوما كثيرا فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة فى العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات فى وجهه وظهرت ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبد الله بن بلكين الصنهاجى صاحب غرناطة فى عسكره وسار واحتى نزلوا على لبط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم أحد من الفرنج لما أصابهم فى العام الماضى فعاد ابن عباد الى اشبيلية وعاد أمير المسلمين على غرناطة وهى طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به أمير المسلمين وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى فى قصوره من الاموال والذخائر مالم يحوه ملك قبله بالاندلس ومن جملة ماوجده سبحة فيها أربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبد الله واخاه تميما ابنى بلكين الى مراكش فكانت غرناطة أول ماملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المغرب افريقية وكان آخر من بقى منهم بالاندلس هذا عبد الله وأخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع أمير المسلمين الى مراكش اطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدى وقال له علماء الاندلس انه ليست طاعته واجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدى بأمر الله ببغداد فاتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

## ﴿ذكر دخول السلطان الى بغداد﴾

فى هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد فى ذى الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد الشام والجزيرة وهى أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب بالجوكان والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرهما من القبور المعروفة فقال ابن زكريه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * ارضت مضاجع من بها مدفون
فكانك الغيث استهل بتربها * وكأنها بك روضة ومعين

فى طلمة واصطلمت الضباع وانخفضت القلاع فانظر المنابعين الامام تستقيم لك الايام وتنقاد لك الانام والافتحص البصريون لاندفع عن فضيلة ولا تنافس عن جليلة وسمح فى كلامه وأغرق فى خطابه فقال له الوزير أحسبك مؤديا أيها الشيخ فقال له أيها الوزير المؤدبون أجلسوك هذا المجلس قال له الوزير كم فى خمس من الابل قال له أبو خليفة للصبير سألت فى خمس من الابل شاة وفى العشر شاتان ثم مضى فى وصف فرائض الابل واصفا لما يجب فيها ذاكرا للتنازع فى موضعه منها ثم شرع فى البقر والغنم بلسان فصيح وخطاب حسن فى ايجاز من خطاب وبيان من الوصف فبعث المعتضد وقد أعجبه ماسمع وأكثر لذلك من الضحك بخادم الى الوزير فقال له اكتب لهم عما يريدون وأجبهم الى ماسألوه ولا تصرفهم الا شاكرين فهذا شيطان قذف به البحر ومثله فليقذف على الملوك

(وكان) أبو خليفة لا يتكلف الاعراب بل قد صار له كالطبع لدوام استعماله اياه من غير وان حداثته وكان

ذا محل من الاسناد (وله أخبار) ونوادر حسان قد دونت (منها) أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان معتمرا فامن عمله وأبو خليفة

فازت قداحك بالثواب وانجحت * ولك الاله على النجاح ضمين

وهي مشهورة وطلب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فمضى في الزبزب وعاد من ليلته ومضى السلطان ونظام الملك الى الصيد في البرية فزار المشهدين مشهد أمير المؤمنين علي ومشهد الحسين عليه السلام ودخل السلطان البر فاصطاد شيأ كثيرا من الغزلان وغيرها وأمر ببناء منارة القرون بالسبيعي وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم أميرا أميرا الى الخليفة وكلما قدم أميرا يقول هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان أتى على آخر الامراء وفوض الخليفة الى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبل خاتمه فاعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وأمره الخليفة بالعود فعاد وخلع الخليفة أيضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس في خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزأ آخر وأقام السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب أصابه سهم فمات منه ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد فسار بخيله ورجله الى القنطرة العتيقة وأعان أهل الكرخ ثم حرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها فاعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ الناس الى درب اللؤلؤ وكاد أهل الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن بن برغوث العلوي الى مقدم الاحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء المطر يومين ببغداد وفيها في ربيع الاول أرسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بني عقيل وخرجت من أيديهم وفيها في ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر واذن فيها وفيها في جمادى الاولى ورد الشريف أبو القاسم علي بن أبي يعلى الحسني الدبوسي الى بغداد في تجمل عظيم لم يرمثله لفقيه ورتب مدرسا بالنظامية بعد أبي سعد المتولي وفيها أمر السلطان ان يزاد في اقطاع وكلاء الخليفة نهر برزى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة واعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد صاعقتان فكسرت احداهما اسطوانتين واحرقت قطنا في صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وسلمها السلطان الى العميد أبي علي البلخي وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصري من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدي بامر الله وفيها اسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتي قابس وسفاقس في وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها في ربيع الاول توفي أبو الحسن بن فضال

الى بعض الانهار والبساتين فأتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا وسألوه الحضور معهم فجلسوا في سمارية متفكهين قد غيروا ظواهرهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم اليهم ما حملوا معهم من الطعام وكان أيام البادي وهي الايام التي يثمر فيها التمر والرطب فيكبسونه في القواصر تمرا وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل في التمر من الاكرة وهم الزراع وغيرهم فلما أكلوا قال بعضهم لابي خليفة غير ممكن له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الاكرة والعمال في النخل أخبرني أطال الله بقاءك عن قول الله عز وجل قوا أنفسكم وأهليكم نارا هذه الواو ما موقعها من الاعراب قال أبو خليفة موقعها رفع وقوله قوا هو أمر للجماعة من الرجال قال له كيف تقول للواحد من الرجال وللاثنين قال يقال للواحد من الرجال ق وللاثنين قيا وللجماعة قوا قال كيف تقول للواحدة من النساء وللاثنتين منهن وللجماعة منهن قال أبو خليفة يقال للواحدة قي وللاثنتين قيا وللجماعة قين قال فأسألك أن تجعل بالجملة كيف يقال للواحد من الرجال والاثنين والجماعة والواحدة من النساء والاثنتين منهن والجماعة منهن قال المجاشعي

المجاشعي النحوي المقرئ وفي ربيع الآخر توفي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي النيسابوري وهو الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالي الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وحدد تربة معروف الكرخي بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا وفيها توفي أبو علي محمد بن أحمد الشيري البصري وكان خيرا حافظا للقرآن دامال كثير وهو آخر من روى سنن أبي داود السجستاني عن أبي عمر الهاشمي وفيها توفي الشريف أبو نصر الزينبي العباسي نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالي الاسناد

﴿ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة﴾

في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا محملة بالديباج الرومي وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا محملة بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن في نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله حكى ان فيه أربعين ألف صنف من السكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر في العسكر وأرسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذي خطب له بالمملكة بعد وفيها سلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى مملوكه اقسنقر فولها وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهي التي تحضنه وتربيه وماتت بحلب سنة أربع وثمانين وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان فضلي والآخر للامير قماج مرعوشي فسبق ساعي السلطان وقد تقدم ذكر الفضلي والمرعوشي أيام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان لي عهده ولده أبا شجاع أحمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل

أنتم تقرؤن القرآن بحرف الدجاج وغدوا عليهم فصفعوهم فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم الا بعد كد طويل (وقد أتينا) على نوادر أبي خليفة وأخباره ومخاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص الى داره وغير ذلك في كتابنا الاوسط (وكانت) وفاة أبي خليفة بالبصرة في سنة خمس وثلثمائة (وفي سنة) ست وثمانين وماتتين في ربيع الاول نزل المعتضد على آمد وذلك بعد وفاة أحمد ابن عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق فبث جيوشه حولها وحاصرها فحدث علقمة بن عبد الرزاق قال حدثنا واحة بن عيسى ابن عبد الملك عن شعلة بن شهاب اليشكري قال وجه بي المعتضد الى محمد بن أحمد ابن عيسى ابن الشيخ لآخذ بالحجة عليه فلما سرت اليه واتصل الخبر بأم الشريف أرسلت الى فقالت يا شهاب كيف خلفت أمير المؤمنين قال فقلت خلفته والله ملكا جذلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير نعزرا على أهل الباطل متذللا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم قال فقالت لي هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه وكيف

الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له في شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها في شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة ابن ابي الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها في ذي القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه أبا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستاني عميد العراق على مدينة هيت أخذها صلحا ومضى اليها وعاد عنها في ذي القعدة وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرهامن المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفي الامير أبو منصور قتلغ أمير الحاج وحج أمير انتى عشرة سنة وكانت له في العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم ألف رجل وولي امارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها في جمادى الاولى توفي اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوي سمع الحديث الكثير من أبي سعيد الصيرفي وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين أبو الوفا البندنيجي الهمذاني كان شاعرا أديبا وكان يمدح لالعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت علي المؤدب المعروفة ببنت الاقرع الكاتبة كانت من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث وأسمعته وفيها في ذي القعدة توفي غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابي صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

## ﴿ثم دخلت سنة احدى وثمانين وأربعمائة﴾

### ﴿ذكر الفتنة ببغداد﴾

في هذه السنة في صفر شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر في اطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدبادب واجتمع اليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الازج في خلق لايحصى واتفق ان كوهرائين سار في سميرية وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بسيره فوقف أهل باب الازج على امرأة كانت تسقي الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء للسبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين استغاثت به فامر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فألقاه في الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذي طعنه فلم يصلوا اليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع اعضاء ثلاثة نفر وأرسل قباءه الى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يستنفر على اهل باب الازج ثم ان أهل الكرخ عقدوا لانفسهم طاقا آخر على باب طاق الحراني وفعلوا كفعل أهل باب البصرة

### ﴿ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر أمر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخليفة وسبب ذلك أن تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فتماكس فشتم الطواف التركي فاخذ التركي صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك

شريعته ثم قالت لي وكيف رأيت صاحبنا تعني ابن أخيها محمد بن أحمد قال فقلت رأيت غلاما حدثا معجبا قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم وأنصت لاقوالهم فهم يزخرفون له الكلام ويوردونه النادم فقالت لي فهل لك أن ترجع اليه بكتاب فلعلنا أن نحل ماعقده السفهاء قال قلت أجل فكتبت اليه كتابا لطيفا حسنا أجزلت فيه الموعظة وأخلصت فيه النصيحة وكتبت في آخره هذه الابيات اقبل نصيحة أم قلبها وجع عليك خوفا واشفاقا وقل سددا

واستعمل الفكر في قولي فانك ان

فكرت ألفيت في قولي لك الرشدا

ولا تثق برجال في قلوبهم ضغائن تبعث الشنآن والحسدا

مثل النعاج تحول في بيوتهم حتى اذا امنوا ألفيتهم أسدا

وداو ذلك والادواء ممكنة واذ طبيبك قد ألقى اليك يدا

واعط الخليفة مايرضيه منك ولا

تمنعه مالا ولا أهلا ولا ولدا

واردد أخا يشكر ردا يكون له

ردا من السوء لاتشمت به

أحدا قال فأخذت الكتاب وسرت به الى محمد بن أحمد فلما نظر فيه رمى به الي ثم قال يا أخا يشكر ما يا آراء النساء تساس فاخرجوا

فأخرجوا عن آخرهم في ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة

﴿ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها﴾

في هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من افريقية وهي بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم في البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشواني لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة في أربعمائة قطعة فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذي له ليمنعهم من النزول فمنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وارسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار وردّ جميع ما حووه من السبي وكان تميم يبذل المال الكثير في العرض الحقير فكيف في الغرض الكبير حكي عنه انه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثني عشر ألف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف في المال فقال هو شرف في الحال

﴿ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور﴾

في هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولي بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

﴿ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود﴾

في هذه السنة توفي الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا رأي متين فمن آرائه ان السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي جمع عساكره وسار بريد غزنة ونزل باسفرار فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر لهم عما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من الظفر به وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فأخذ وأحضر عند السلطان فسأله عن حاله فانكره فامر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تحيل من امرائه وعاد ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيأ خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان يقول لو كنت موضع أبي مسعود بعد وفاة جدي محمود لما انقصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن أسترد ما أخذوه واستولى عليه ملوك قد اتسعت مملكتهم وعظمت عساكرهم ولما توفي ملكشاه بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد تزوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجاج من الخفارة وفيها

أم الشريف قال فأظهرته فلما عرض عليه أعجبه شعرها وعقلها ثم قال والله اني لارجو أن أشفعها في كثير من القوم فلما كان في فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الامان لما عظم القتال وجه الى أمير المؤمنين فقال ياشعلة بن شهاب هل عندكم علم من أم الشريف قال قلت لا والله يا أمير المؤمنين قال امض مع هذا الخادم فانك تجدها في جملة نسائها قال فمضيت فلما بصرت بي أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول

ريب الزمان وصرفه
وعتوه كشف القناعا
وأذل بعد العز منا
الصعب والبطل الشجاعا
ولقد نصحت فما أطعـ
ـت وكم حرمت بان أطاعا
فأبى بنا المقدور الا
أن نقسم أو نباعا
ياليت شعري هل نرى
يوما الفرقتنا اجتماعا

قال ثم بكت وضربت بيدها على الاخرى ثم قالت لي ياشهاب كاني والله كنت أرى ما أرى فانا لله وانا اليه راجعون قال فقلت لها ان أمير المؤمنين قد وجهني اليك وماذا لك الا الحسن رأى منه فيك قالت فهل لك أن توصل اليه كتابي

٨ ابن الاثير عاشر هذا بما فيه قلت نعم فكتبت اليه بهذه الابيات قل للخليفة والامام المرتضى * رأس الخلائق من قريش الابطح

جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدي المهلبي راويا جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما أبو الفتح الكروخي وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو اسمعيل الانصاري الهروي شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفي المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت وفي شعبان توفي عبد العزيز العكبراوي الزاهد وفيها توفي الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن في الاسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة﴾

﴿(ذكر الفتنة ببغداد بين العامة)﴾

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهي بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

﴿(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر)﴾

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان ابن خضر خان أخو شمس الملك الذي كان قبله وهو ابن أخي تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن عبد الله الشافعي عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه في البلاد فتحركت دواعي السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه رهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك في العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا في التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية وأوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحبه مسعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من اصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت

جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد بن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدي المهلبي راويا جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما أبو الفتح الكروخي وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو اسمعيل الانصاري الهروي شيخ الاسلام ومولده سنة خمس وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفي المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت وفي شعبان توفي عبد العزيز العكبراوي الزاهد وفيها توفي الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن في الاسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين واربعمائة﴾

﴿(ذكر الفتنة ببغداد بين العامة)﴾

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فاغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهي بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين فارسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فارسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

﴿(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر)﴾

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان ابن خضر خان أخو شمس الملك الذي كان قبله وهو ابن أخي تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن عبد الله الشافعي عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه في البلاد فتحركت دواعي السلطان الى ملكها فسار من أصبهان وكان قد وصل اليه رهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك في العود الى بلاده وقال أحب ان يذكر عنا في التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية وأوصلها الى باب كاشغر لينهى الى صاحبه مسعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من اصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت

وأراك ربك ما تحب فلا ترى
مالا يحب فجد بعفوك واصفح
يا حجة الدنيا وبدرا لاحها
هب ظالمي ومفسدي لمصلح

قال فأخذت الكتاب وسرت به الى أمير المؤمنين فلما عرضت عليه الابيات أعجبته وأمر أن يحمل اليها تخوت من الثياب وجملة من المال والى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك وشفعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه (وكتب) المعتضد الى أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف بواقعة رافع بن هرثمة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين فسار أحمد بن عبد العزيز الى رافع والتقوا بالري لسبع بقين من ذي القعدة من هذه السنة وأقامت الحرب بينهم أياما ثم كانت على رافع بن هرثمة فولى وركب أصحاب ابن أبي دلف أكتافهم واستولوا على عسكرهم وكان وصول هذا الخبر الى بغداد لست خلون من ذي الحجة من هذه السنة (وفي سنة) ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن سهل ابن أخي ذي الرياستين الفضل بن سهل يلقب بشميلة ومعه عبيد الله بن المهتدي ولمحمد ابن الحسن بن سهل هذا تصنيفات في أخبار المبيضة وله كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج على حسب

الملطفات قد قدمها الى أهل البلد بعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق أحمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوى كان مختصا به فنهض فى القتال فاتفق ان ولدا لهذا العلوى أخذ أسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ثم بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى فى بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفى رقبته حبل فاكرمه السلطان وأطلقه وأرسله الى أصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أباطاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى بوزكند وهو بلد يجرى على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يأمره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما أبعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد أبى طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

## ﴿ذكر عصيان سمرقند﴾

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أحد ملك كاشغر ومملكته تعرف بآب نباشى وبيده قلعتها واستحضره فحضر عنده بسمرقند واتفقا ثم ان يعقوب علم ان أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان أساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم وأخذ الفتاوى عليه وقتله واتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

## ﴿ذكر فتح سمرقند الفتح الثانى﴾

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولى على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابروسار فى أثر يعقوب حتى نزل ببوزكند وأرسل العساكر الى سائر الاكناف فى طلبه وأرسل السلطان الى ملك كاشغر وهو أخو يعقوب ليجد فى أمره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى أخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصيرها والعدو نخاف ان يمنع السلطان وأنف ان يسلم أخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة فى الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فاداه اجتهاده الى ان قبض على أخيه يعقوب وأظهر انه كان فى طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه وكلهم بيعقوب وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وأمر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضى السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه ويفذفيه ما أمره به أبوه فتقدم فكتفه وألقاه على الارض ففعلوا به ذلك فبينما هم على تلك الحال وقد أحوا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم

رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل أبى طالب وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد فى يوم بعينه ويقتلوا المعتضد فادخلوا الى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقروا وقالوا أما الرجل الطالبى فانا لا نعرفه وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره وهذا كان الواسطة بيننا وبينه يعنون محمد بن الحسن فأمر بهم فقتلوا واستبقى شميلة طمعا فى أن يدله على الطالبى وخلى عبيد الله بن المهتدى لعلمه ببراءته ثم أراد المعتضد بالله محمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدله على الطالبى الذى أخذ له العهد على الرجال فأبى وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل وكان فى مخاطبته للمعتضد أن قال لو شويتنى على النار ما زدتك على ما سمعت منى ولم أقر على من دعوت الناس الى طاعته وأقررت بامامته فاصنع ما أنت له صانع فقال له المعتضد لسنا نعذبك الا بما ذكرت فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت فى دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة المعتضد وهو يسبه

ويقول فيه العظائم والاشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد أطرافها وكتف وجعل فوق النار من غير أن يمسها وهو فى الحياة يدار

يعقوب أخبروني عن حالكم وما ينوبكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم بي شيأ رجعت عليه فقيل له ان طغرل بن ينال اسري من ثمانين فرسخا في عشرات ألوف من العساكر وكبس أخاك بكاشغر فاخذه أسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر أخي وقد زال أمره ووعدهم الاحسان فاطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال وتسييره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف ان يخل بعض أمره وتزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب أخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها فوضع تاج الملك على ان يسعى في اصلاح أمر يعقوب معه ففعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

﴿ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى أبيها﴾

وفي هذه السنة أرسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لا بد منه وسبب ذلك انها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر أنه كثير الاطراح لها والاعراض عنها وأذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما سائر أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الاكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى أصبهان فاقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزا سبعة أيام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

﴿ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام﴾

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي وولي بها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيدا فنازلوها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على أهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

﴿ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية﴾

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها وأحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله ورجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل أهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من أعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى أهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب أهل السنة فأجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك أتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان أهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فمضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب أهل الكرخ

عليها ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها الى أن تفرقع جسمه وأخرج فصلب بين الجسرين من الجانب الغربي (وفي هذه السنة) كان خروج المعتضد في طلب الاعراب من بني شيبان وكانوا عتوا وأكثروا الفساد وأوقع بهم مما يلي الجزيرة والدواب في الموضع المعروف بوادي الذئاب فقتل وأسر وساق الذراري وسار الى الموصل (وفي هذه السنة) افتتح أبو عبيد الله بن أبي الساج المراغة من بلاد اذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك (وفي هذه السنة) كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (وفي هذه السنة) افتتح أحمد بن ثور عمان وكان مسيره اليها من بلاد البحرين فواقع الشراة من الاباضية وكانوا في نحو من مائتي ألف وكان امامهم الصلت بن مالك ببلاد دبر وامن أرض عمان وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيرا من رؤسهم الى بغداد (وفيها) دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة (وفي هذه السنة) كان دخول عمرو بن الليث نيسابور (وفي هذه السنة) نقلت ابنة محمد بن أبي الساج الى بدر غلام المعتضد وقد أتينا على خبر ابن أبي الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد وما كان من خبر ابن أبي الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها الى اذربيجان في الكتاب الاوسط (وفي هذه السنة) على

على أبواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ومن عند هذا اليوم نار أهل الكرخ وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته وأكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الازج بسهم أصابه فثار العامة هناك بعلوي كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد أمور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وأمن الناس

## ﴿ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا﴾

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكرولي سيد قبيلة كزولة ومالك جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة وبينه وبين امير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة أرسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خافه على نفسه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما أراد به الا الخير ولم يحدث نفسه بغدر فلم يركن محمد اليه فدعا يوسف حجاما وأعطاه مائة دينار وضمن له مائتي دينار أخرى ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحجام ومعه مشارط مسمومة فصعد الجبل فلما كان الغد خرج ينادي أصناعته بالقرب من مساكن محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا الحجام من بلدنا فقيل له غريب فقال أراه يكثر الصياح وقد ارتبت بذلك ائتوني به فأحضر عنده فاستدعى حجاما آخر وأمره ان يحجمه بمشارطه التي معه فامتنع الحجام الغريب فأمسك وحجم فمات وتعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج في السعي في أذى يوصله اليه فاستمال قوما من أصحاب محمد فسألوا اليه فأرسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا عند محمد وقالوا قد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل أحسن ما يكون وأردنا التحافك به وأحضروها بين يديه فلما رآها أمر باحضار خبز وأمر أولئك الذين أهدوا اليه العسل ان يأكلوا منه فامتنعوا واستعفوه من أكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن آخرهم فكتب الى يوسف بن تاشفين انك قد أردت قتلي بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك فقد أعطاك الله المغرب بأسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في النور الاسود فلم تقنع بما أعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه

## ﴿ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم﴾

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس أمير افريقية من العهد وسار في جمع من عشيرته العرب فوصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية وأهلها غارون لم يعلموا به فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال قتل من الطائفتين جماعة وكثر القتل في أصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال فغادرها وخرج منها الى حلته من الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي كذلك الى سنة أربع وثمانين وصلحت أحوال أهلها وأخصبت البلاد ورخصت الاسعار وأكثر أهلها الزرع

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

مدنهم بدار الملك وأسر خاتون زوجة الملك وأسر خمسة عشر ألفا من الترك وقتل منهم عشرة آلاف ويقال ان هذا الملك يقال له طفكس وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم وأراه من الجنس المعروفين بالخدلجية وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جمل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم وكذلك فيما سلف من كتبنا (وفي سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا وكان المعتضد خرج في هذه السنة الى الجبل لامور بلغته منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسيني صاحب بلاد طبرستان فولى ولده عليا المكتفي الري وأنزله بها وأضاف اليه قزوين وزنجان وأبهر وقم همذان وانصرف المعتضد الى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز اصبهان وكرخ بعد ابن أبي دلف وفيها استأمن الى المكتفي على كوره وسار الى المعتضد في عدة كثيرة وفيها سار طغج

ابن شبث بن الاخشيد صاحب مصر في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في عساكر كثيرة من دمشق فدخل طرسوس

فى هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب اقسنقر فى جماعة من عسكره وتبعهم ولم يزل حتى أخذهم وقتلهم فأمنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاغر أبو المحاسن عبد الجليل بن على الدهستانى الى بغداد عميدا وعزل أخوه كمال الملك على ماذكرناه وفيها درس الامام أبو بكر الشاشى فى المدرسة التى بناها تاج الملك مستوفى السلطان بباب ابرز من بغداد وهى المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفى الخطيب أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الواحد بن أبى الحديد السلمى خطيب دمشق فى ذى الحجة وفيها توفى احمد بن محمد بن صاعد بن محمد أبو نصر النيسابورى رئيسها ومولده سنة عشر وأربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن على بن عاصم العاصمى البغدادى من أهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لو زارنى فأبثه اشواقى
وأبوح بالشكوى اليه تذلل * وافض ختم الدمع من آماقى
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
امر الفؤاد ولم يرق لموثق * ماضره لو جاد بالاطلاق
ان كان قد لسبت عقارب صدغه * فلسبى فان رضابه درياقى

وقال أيضا

قد بت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
سمعته يتغنى وهو مصطبح * افديه مصطحبا منه ومغتبقا
وأخلفتك ابنة البكرى ماوعدت * واصبح الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف أبو القاسم العلوى الدبونى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

## (ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة)

## (ذكر وفاة فخر الدولة أبى نصر بن جهير)

فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الذى كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتزوج الى أبى العقارب شيخها ونظر فى املاك جارية قرواش المعروفة بسرهتك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على أخيه قرواش وحبسه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم أنا استحق التقدم عليه لان صاحبه يؤدى الخراج الى صاحبى فلما عاد الى قريش بن بدران اراد القبض عليه فاستجار بأبى الشداد وكانت عقيل تجير على أمرائها وسار الى حلب فوزر لعز الدولة أبى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتنى وقد فعلت برسولى ما فعلت عند ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة الخليفة على ماذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بنى مروان على ماذكرناه أيضا ثم أخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفى بها

## (ذكر نهب العرب البصرة)

المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران وسار ع اسحق ابن ايوب العنبرى ومن كان معه من أصحابه الى المعتضد وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعود الجبل الجودى وعبوره دجلة وكاتبه النصرانى ودخول عسكر المعتضد ليلا الى اسحق بن يعقوب حتى أتى به الى المعتضد واخراب المعتضد لهذه القلعة وقد كان حمدان أنفق عليها أموالا جليلة وهو حمدان بن حمدون ابن الحرث بن منصور بن لقمان وهو جد أبى محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وما كان من الحسن بن حمدان فى طلبه هرون الشارى وما كان من أخذ الحسين بن حمدان اياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب (قال المسعودى) وفى سنة اثنتين وثمانين وماتتين ذبح ابو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون بدمشق فى ذى القعدة وقد كان بنى فى سفح الجبل أسفل من دير مروان قصرا وكان يشرب فيه فى تلك الليلة وعنده طفج وكان الذى تولى ذلك خادما من خدمهم وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ومنهم من رمى بالنشاب ومنهم من شرح لحمه من أفخاذه وعجيزته

وفي هذه السنة في جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى بغداد في بعض السنين رجل أشقر من سواد النيل يدعى الادب والنجوم ويستجري الناس فلقبه أهل بغداد تليا وكان نازلا في بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها في خلفا وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فنعوه من السفر اتهاما له وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى أمير من أمراء العرب من بني عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له أنت تملك الارض وقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ وحسن له نهب البصرة وأخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذا عرولان الناس في جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم في أصحابه وحاربهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاه من أخبره ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف فرارهم وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل فلما علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا وأصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا وأحرقوا مواضع عدة وفي جملة ما أحرقوا داران للكتب احداهما وقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهي أول دار وقفت في الاسلام والاخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب وأعيانها وأحرقوا أيضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الحمال الدائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التي تحمل الماء وترقيه الى قني الرصاص الجارية الى المصانع وهي على فراسخ من البلد وهي من عمل محمد بن سليمان الهاشمي وغيره وكان فعل العرب بالبصرة أول خرق جرى في أيام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح أمورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا أخذ بالبحرين وأرسل الى السلطان فشهره ببغداد سنة أربع وثمانين على جمل وعلى رأسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبهم ثم أمر به فصلب

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم الامام أبو عبد الله الطبري بغداد في المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليته تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده في شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي وهو أيضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبري يوما

## ﴿ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير﴾

في هذه السنة في ربيع الاول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن رأسه فأخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب في فعله فقال هو وضعني على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودي الى العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبي شجاع فلما سار أخرج توقيع الخليفة بالزام أهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهربوا

وذلك أن أهل الصين يخصون كثيرا من أولادهم كفعل الروم بأولادهم وما اجتمع عليه الخصيان من التضاد وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو في كتابنا أخبار الزمان وما أحدثته الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكروه من الصفات (وذكر المدائني) أن معاوية ابن أبي سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاختة وكانت ذات عقل وحزم ومعه خصي وكانت مكشوفة الرأس فلما رأت معه الخصي غطت رأسها فقال لها معاوية انه خصي فقالت يا أمير المؤمنين أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه فاسترجع معاوية وعلم أن الحق ما قالته فلم يدخل بعد ذلك على حرمه خادما وان كان كبيرا فانيا (وقد تكلم) الناس فيهم وذكروا الفرق بين المجبوب والمسلوب وأنهم رجال مع النساء ونساء مع الرجال وهذا خلف من الكلام وفاسد من المقال بل هم رجال وليس في عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب الحاقهم بما ذكروا ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر عن تغيير فعل الباري جل وعز لانه خلقهم رجالا ذكرانا لا اناثا وليس في الجناية عليهم ما يقلب أعيانهم ويزيل خلق

كل مهرب وأسلم بعضهم فمن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن أخيه أبو نصر هبة الله بن الحسن بن علي صاحب الخبر أسلما على يدي الخليفة ونقل أيضا عنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل أتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن وابن سمعا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من اغراضهما أرسلا الى الخليفة في عزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الخميس فلما أمر بذلك انشد

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فأمر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وأرسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعي عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير اليه فاستوزره في ذي الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة في داره وأكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

## ﴿ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الاندلس التي للمسلمين﴾

في هذه السنة في رجب ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ما هو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الداني من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها بديعونا القصر بالدوام ولملكه بتراخي الايام فأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستحالت صبرته وتجهمت اسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت أن لا ترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أي حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية أخرى بالغناء فغنت

يا لهف نفسي على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذاري الى من جاء يسألني * ما ليس عندي من أحدى المصيبات

قال ابن اللبانة فلا في بت الحال بأن قمت فقلت

محل مكرمة لاهت مبناه * وشمل مأثرة لاشتته الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتمد كناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل في سبيل الله مثواه

حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

بأس توقد فاجرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري قد بسطت من نفسه وأعدت عليه بعض أنسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل

الخادم بطيء لا يوجد لا باطه رائحة وهذا من فضائل الخدم (وحمل أبو الجيش) في تابوت الى مصر وورد الخبر بذلك الى مصر فأخرج من التابوت وجعل على السرير وذلك على باب مصر وخرج ولده الامير جيش وسائر الامراء والاولياء فتقدم القاضي أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبداني وصلى عليه وذلك في الليل فحكى أبو بشر الدولابي عن أبي عبد الله النجاري وكان شيخا من أهل العراق وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم أنه كان بات في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر وقد قدم أبو الجيش ليدلى في القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فأحدر من السرير ودلى في القبر وانتهينا من السورة في هذا الوقت الى قوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم قال فخفضنا أصواتنا وأذعرنا حياء ممن حضر (ومما ذكر) من خبر المعتضد وحزمه في الامور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر فحملت الى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم فنقب منزله في تلك الليلة وأخذت بقولي

بقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا ان تزم الركائب

فايقنا ان هذه الطير تعقب الغير فلما أراد أمير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن أبى بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فاتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها وأخرجوا صاحبها أبا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوهما وكانت بالنسبة قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما سمعوا بوقعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين وكانوا قد ملكوا غرناطة نوبة الزلاقة فقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقى فى نفسه المواقف التى لا يرجى خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن اذا نفدت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا أكثر واوساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبى بكر مقدم المرابطين بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهب جميع ما فيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بايديهم وسبى المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد اسيرا ومعه أولاده الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع مالهم فلم يحجبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه وأهله وماله وعبيده وجميع ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوهم اسراء ومالهم غنيمة وسير المعتمد وأهله الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل أمير المسلمين بهم أفعالا لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتى بعده الا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة وذلك أنه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على أنفسهم وذكر ذلك المعتمد فى أبيات ترد عند ذكر وفاته فابان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة فى سفح جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عندما مونه سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله قال أبو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد أسره باغمات وقلت ابياتا عند دخولى اليه منها

لم أقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
* انما أنت درة للعالى * ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما تحجب الدنان السلافا
أنت للفضل كعبة ولو أنى * كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب وأشهى من رشفات الحبيب وادل على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا فقال فى ذلك

أتاه فقال له ان هذا المال للسلطان والجند ومتى لم تأت به أو بالذى نقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه فجد فى طلبه وطالب اللص الذى جسر على هذا الفعل فصار الى مجلسه وأحضر النوابين والشرط والنوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا فاذا جرت حادثة علموا من فعل من هى فدلوا عليه وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه فتقدم اليهم فى الطلب وتهددهم وأوعدهم وطالبهم فتفرق القوم فى الدروب والاسواق والغرف والمواخير ودوركاكين الرواسين ودور القمار فالبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة هين الحالة فقالوا ياسيدى هذا صاحب الفعلة وهو غريب من غير هذا البلد وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب واللص فاقبل عليه مؤنس المجلى فقال له ويلك من كان معك ومن أعانك وأين أصحابك ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك فى ليلة ما كنتم الا عشرة وأقل ذلك خمسة فاقر لى بالمال ان كان مجتمعا وعلى أصحابك ان كان المال قد قسم فازاده على الانكار شيأ فأقبل يترفق به ويعده أن يثيبه ويرزقه

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سأبكر وابكي ما تطاول من عمري
افتح لقد فتحت لي باب رحمة * كما يزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكا المقدار عني ولم أمت * فادعي وفيا قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود في الثرى * اذا أنقما أبصر تماني في الاسر
أبا خالد أورثتني البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له و يذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى اغمات

جرى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير
لقد أصحبت بيض الظبي في غمودها * اناثا الترك الضرب وهي ذكور
ولما رحلتم بالهدى في أكفكم * وقافل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد أتت * ألا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة في حادثته أيضا

تبكي السماء بدمع رائح غادي * على الهمالين من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منها تحت أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ولما استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الاندلس وأخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد بالغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده ما دام المعتمد باشبيلية فلا تبالي بالمرابطين فلما سمع بملكهم لها وما جرى للمعتمد مات في تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب وأهله في مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بني حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن أعان سير على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه وأخذ بلده منه وأخذه أسيرا هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين أرادوا قتله قدموا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم وأموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بني هود فانه لم يقصد بلادهم وهي شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد أعد كل ما يحتاج اليه في الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادي أمير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس و يملكها و يواصله و يكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه أوصى ابنه علي بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بني هود وقال اتركهم بينك و بين العدو فانهم شجعان

## ﴿ ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية ﴾

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية أعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة أبا الفتوح يوسف ابن عبد الله بن محمد بن أبي الحسين ولاه عليها العزيز العلوي صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه

وأنكره ويئس من اقراره أخذ في عقوبته ومساءلته فضربه بالسوط والقلوس والمقارع والدرة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه وأسفل رجليه وكعابه وعضله حتى لم يكن للضرب فيه موضع وبلغ به ذلك الى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق فلم يقر بشئ فبلغ ذلك المعتضد فأحضر صاحب الجيش فقال له ما صنعت في المال فاخبره الخبر فقال له ويلك تأخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك الرجل و يضيع المال فاين حيل الرجال فأتى به وقد حمل في جل فوضع بين يديه وقد عقل فسأله فانكر فقال له ويلك ان مت لم ينفعك وان برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل اليه فلك الامان والضمان على ما تصلح به حالتك ويحمد به أمرك فابى الا الانكار فقال على بأهل الطب فأحضروا فقال خذوا هذا الرجل اليكم فعالجوه بأرفق المعالج وواظبوا عليه بالمراهم والغذاء والتعاهد واجتهدوا أن تبرؤه في أسرع وقت فأخذوه اليهم وأخرج ما الامكان المال وأمر بتفريقه على الجند فيقال انه برئ وصح في أيام يسيرة ثم واظبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب

حتى صح وقوى جسمه وظهر لونه ورجعت اليه نفسه ثم ذكر به فامر باحضاره فلما حضر بين يديه سأله عن حاله فدعا

السنة فالج فتعطل جانبه الايسر وضعف الجانب الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقى كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة فى أهلها الى سنة خمس وأربعمائة فخالف عليه أخوه على واعانه جمع من البربر والعبيد فاخرج اليه أخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير وهرب من بقى منهم وأخذ على أسيرا فقتله أخوه جعفر وعظم قتله على أبيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام وأمر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربرى بالجزيرة فنفوا الى افريقية وأمر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة فى الامراء فلم يمض الا يسير حتى ثار به أهل صقلية وأخرجوه وخلعوه وأرادوا قتله وسبب ذلك انه ولى عليهم انسانا صادرهم وأخذ الاعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر الا وقد زحف اليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه فى قصره فى المحرم سنة عشر واربعمائة وأشرفوا على أخذه فخرج اليهم أبوه يوسف فى محفة وكانوا له محبين فلطف بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره فى مركب الى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له الا ابنة واحدة ولما ولى الاكحل أخذ أمره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه فى بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد وأطاعه جميع قلاع صقلية التى للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر فخالف سيرة أبيه ثم ان الاكحل جمع أهل صقلية وقال أحب ان أشليكم على الافريقيين الذين قد شاركوكم فى بلادكم والرأى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيأ واحدا فصرفهم ثم أرسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما أراد فجمعهم حوله فكان يحمى أملاكهم ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلية فسار من أهل صقلية جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب ان نكون فى طاعتك والاسلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين وأربعمائة فسير معهم ولده عبد الله فى عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل فى الخلاصة ثم اختلف أهل صقلية وأراد بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين أحضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا أدخلتم غيركم علينا والله لا كانت عاقبة أمركم فيه الى خير فعزموا على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا فى المراكب الى افريقية وولى أهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام أخا الاكحل فاضطربت أحوالهم واستولى الارذال وانفرد كل انسان ببلد وأخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنة وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينها وبين زوجها كلام أغاظ كل منهما الصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بقصدها فى عضديها وتركها لتموت فجمع ولده ابراهيم فحضر وأحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت قوتها ولما أصبح أبوه ندم واعتذر اليها بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد مدة ان تزور أخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل بها فحلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على

وشكر وقال أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ثم سأله عن المال فعاد الى الانكار فقال له ويلك لست تخلو من أن تكون أخذته وحدك كله أو وصل اليك بعضه فان كنت أخذته كله فانك تنفقه فى أكل وشرب ولهو ولا أظنك تفنيه قبل موتك وان مت فعليك وزره وان كنت أخذت بعضه سمحنا لك به فاقر على أصحابك فانى أقتلك ان لم تقر ولا ينفعك بقاء المال بعدك ولا يبالى أصحابك بقتلك ومتى أقررت دفعت اليك عشرة آلاف درهم وأخذت لك من أصحاب الجمر مثل ذلك ورسمتك من التوابين وأجريت لك فى كل شهر عشرة دنانير تكفيك لاكلك وشربك وكسوتك وطيبك وتكون عزيزا وتنجو من القتل وتتخلص من الاثم فأبى الا الانكار فاستحلفه بالله وأظهر له مصحفا فحلف عليه فقال انى سأظهر على المال فان أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك فأبى الا الانكار فقال له فضع يدك على رأسى واحلف بحياتى فوضع يده على رأسه وحلف بحياته أنه ما أخذه

وانه مظلوم منهم وان التوابين قد تبرؤا به فقال له المعتضد فان كنت قد كذبت قتلتك وأنا برىء من دمك قال نعم فامر باحضار ثلاثين

أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينته قطانية وعاد عنه بعد ان قتل من أصحابه فاكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تمزقت سولت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي فى جمع الفرنج فوصل اليهم ابن الثمنة وقال انا أملككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فسار وامعه فى رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به فى طريقهم وقصدهم الى قصريانة فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع الى الحصن فرحلوا عنه وساروا فى الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فسار وا الى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فلذلك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم أحد واشتغل صاحب افريقية بعاداتهم من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولى ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل على جرجنت ثم انتقل أيوب الى جرجنت فامر على بن الحواس ان ينزل فى قصره وأرسل هدية كثيرة فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه فى عسكره وقاتله فشد أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فلذلك العسكر عليهم أيوب ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلي أخوه ورجعا فى الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والاسطولية ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فاشتد الامر على أهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما أهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم أذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج امنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لاحد من أهلها حاما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والاربعمائة وملك بعده ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيأ منه وجعل له ديوان المظالم ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فاحبوه وعمر اسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجربة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ما نذكره ان شاء الله

## ﴿ ذكر وصول السلطان الى بغداد ﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب

أسود بحيث يراهم ويرونه وأمرهم أن يتناوبوا فى ملازمته فأتت عليه أيام وهو قاعد لا يتمكن ولا يستلقي ولا يضطجع وكلما خفق خفقة وجئ فكه وقمع رأسه حتى اذا ضعف وقارب التلف أمر باحضاره فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الايمان فحلف على ذلك كله وعلم لم يستحلفه به أنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه فقال المعتضد لمن حضر قابي يشهد أنه بري وأن ما يقول حق وان التوابين قد عرفوا صاحبه وقد أعفنا فى هذا الرجل وسأله أن يجعله فى حل ففعل ثم أمر باحضار مائدة عليها طعام وأحضر بارد الشراب وأمره بالجلوس والاكل والشرب فقيل يأكل ويشرب ويحث على الاكل ويلقمهم ويعاد الشراب عليه ويكرر حتى لم يبق للاكل والشرب موضع ثم أمر بخور وطيب فبخر وطيب وأتى له بحشية ريش فوطئ له ومهد فلما استقر واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة ايقاظه فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفى عينيه النوم فقال له حدثني كيف صنعت وكيف نقبت ومن أين خرجت والى أين ذهبت بالمال ومن كان معك قال ما كنت الا وحدي وخرجت من النقب الذي دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يوقد به فأخذت المال ورفعت وغيرهما

وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا فى عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله أبدا وأكثر الشعراء وصف تلك الليلة فممن قال المطرز

وكل نار على العشاق ضرمة * من نار قلبى أو من ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتهت * بسدفة الليل فيه غرة الغلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدّت على الارض بسطا من جواهرها * ما بين مجتمع وار ومفترق
* مثل المصابيح الا أنها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
اعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
فى مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح بقق
وللشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
انى لاعجب منها وهى وادعة * تبكى وعيشتها من ضربة العنق

وفى هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ فى عمارته فى المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دورلهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك فى باقى سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وماجمعوا شيأ فسبحان الدائم الذى لا يزول أمره

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة رحل ابن أبى هاشم من مكة مستغيثا من الترکمان وفى آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفى وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها فى تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها اثنتان وعشرون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها فى شوّال توفى أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعى وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذى تقدم ذكره فى فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم فى جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبى اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفى محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر الناصح الحنفى قاضى الرى وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته فى رجب وفيها فى شعبان توفى أبو الحسن على بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور

## ﴿ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان﴾

فى هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولا على المسلمين ثم ان الله تعالى رد لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش فى نفر يسير وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع بعد الزلاقة وأكثر الشعراء ذكرها فى أشعارهم

عليه ثم أمر باحضار المال فأحضر عن آخره وأحضر مؤنس الجملى وأحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال ببساط ناحية من المجلس ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى فى النوم وذهب عنه الوسن فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الاول فجحد وأنكر فأمر بكشف البساط وقال له ويلك أليس هذا المال أليس فعلت كذا وكذا وصف له ما كان حدثه به فأسقط فى يد اللص ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ثم أمر بمنفاخ فنفخ فى دبره وأتى بقطن فحشى فى أذنيه وفمه وخيشوما وأقبل ينفخ وخلى عن يديه ورجليه من الوثاق وأمسك بالايدى وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة وقد ورم سائر أعضائه وعظم جسمه وعيناه قد امتلأتا وبرزتا فلما كاد أن ينشق أمر بعض الاطباء فضربه فى عرقين فوق الحاجبين وهما فى الجبين فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولهما صوت وصفير الى أن خمد وتلف وكان ذلك أعظم منظر رؤى فى ذلك اليوم من العذاب وقيل ان البدر كانت عيناه وان عددها كان أكثر مما وصفنا (وقد كان ببغداد رجل) يتكلم على الطريق ويقص على الناس

﴿ ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام ﴾

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما أذن لهم السلطان في العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا معه عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسير وهم معه الى مصر ليملكها فساروا أجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضر ربه وباولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالامان فامنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فارسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم يرفهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسل ابن عمار فرأى عنده لينا فاتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا اقاتل من هذه المناشير بيده فاغلظ له تاج الدولة وقال هل أنت الا تابع لي فقال آقسنقر أنا أتابعك الا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

﴿ ذكر ملك السلطان اليمن ﴾

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فامره السلطان ان يسير هو وجماعة من أمراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدري فتوفي في سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه

﴿ ذكر مقتل نظام الملك ﴾

في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في أصبهان وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج في محفته الى خيمة حرمه أتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب ومر بطنب خيمة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمه فسكن عسكره وأصحابه وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان أيام عمه طغرلبك قبل ان يتولى السلطنة وكان قد علت سنه فانه كان مولده سنة ثمان وأربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء في دولته فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شئ فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه وأحرق به ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من

بأخبار ونوادر ومضاحك ٧٠ و يعرف بابن المغازلي وكان في نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك قال ابن المغازلي فوقفت يوما في خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر فحضر حلقتي بعض خدمة المعتضد فأخذت في حكاية الخادم فأعجب الخادم بحكايتي وأشغف بنوادري ثم انصرف عني فلم يلبث ان عاد وأخذ بيدي وقال اني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحك فرآني أمير المؤمنين فانكر ذلك مني وقال ويلك مالك فقلت يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي وخادم الا حكاها ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتصبي الحليم وقد أمرني باحضارك ولي نصف جائزتك فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية يا سيدي أنا ضعيف وعلي عيلة وقد من الله علي بك فما عليك ان أخذت بعضها سدسها أو ربعها فابى الا نصفها فطمعت في النصف وقنعت به فاخذ بيدي وأدخلني عليه فسلمت وأحسنت و وقفت في الموضع الذي أوقفت فيه فرد علي السلام وقد كان ينظر في كتاب فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه أرباب

أرباب دولته يقول له ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولى ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسل معهم الامير يلبرد وكان من خواصه وثقاته وقال له تعرفني مايقول فربما كتم هؤلاء شيأ فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم فانك ما تلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي أما تذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكر جماعة من خرج عليه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني ولا يخالفني فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسعى في السعايات قولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه وأطال فيما هذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عني مهما أردتم فقد أهنى ما لحقني من توبيخه وقت في عضدي فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا وانما قال كيت وكيت فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله في المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض علي جميع عملي لولا الحديدة التي أصبت بها يعني القتل

﴿ذكر ابتداء حاله وشيء من أخباره﴾

اما ابتداء حاله فكان من أبناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت أمه وهو رضيع وكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان ووصل الى غزنة في صحبة بعض المتصرفين ثم لزم أبا علي بن شاذان متولي الامور بملخ لداود والد السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما حضرت أبا علي بن شاذان الوفاة أوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه مشغله ثم صار وزيرا له الى ان ولي السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء سديدة فادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفي الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم ذكر هذه الجمل مستوفى مشروحا وقيل ان ابتداء أمره أنه كان يكتب للامير تاجر صاحب

وأنك تأتي بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة قلت نعم يا أمير المؤمنين الحاجة تفتق الحيلة أجمع بها الناس وأتقرب الى قلوبهم بحكايتها ألتمس برهم وأتعيش بما أناله منهم قال فهات ما عندك وخذ في فنك فان أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم وان لم أضحك فما لي عليك فقلت للجبن والخذلان ما مضى الا فتاي فاصنعه ما أحببت وكم شئت وعاشرت فقال لي قد أنصفت ان أضحكت فلك ما ضمنت وان أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عشر صفعات فقلت في نفسي ملك لا يصفع الا بشيء يسير وبشيء خفيف هين ثم التفت واذا أنا بجراب أدم ناعم في زاوية البيت فقلت في نفسي ما أخطأ حزري ولا أخاف طي وما عسى أن يكون من جراب فيه ريح ان أنا أضحكته ربحت وان أنا لم أضحكه فاصر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة فلم أدع حكاية أعرابي ولا نحوي ولا مخنث ولا فاض ولا زطي ولا نبطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا شطارة ولا عبارة ولا نادرة ولا حكاية الا أحضرتها وأتيت بها حتى نفد جميع ما عندي وتصدع رأسي ولم يبق ورائي خادم الا هرب ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم

لى الا نادرة واحدة فقال هاتها فقلت ياأمير المؤمنين وعدتني أن تصفعني عشرا وجعلتها مكان الجائزة فاسألك أن تضعف الجائزة وتضيف اليها عشرا فاراد أن يضحك فاستمسك ثم قال نفعل ياغلام خذ بيده فاخذ بيدي ومددت قفاي فصفعت بالجراب صفعة فكاد يسقط على قفاي قلمة واذا فيه حصى مدور كانه صنجات فصفعت به عشرا كادت أن تنفصل رقبتي وينكسر عنقي وطنت أذناي وقدح الشعاع من عيني فلما استوفيت العشرة صحت ياسيدي نصيحة فرفع الصفع عني بعد أن عزم على ايفاء ما كنت سألته من اضعاف جائزتي فقال ما نصيحتك قلت ياسيدي انه ليس في الدنيا أحسن من الامانة ولا أقبح من الخيانة وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضله وكرمه قد أضعفها فقد استوفيت نصفها وبقي نصفها فضحك حتى استلقى واستغزه ما كان قد سمعه مني أولا وتحامل له وصبر عليه فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بعراق بطنه حتى اذا سكن ضحكه ورجعت اليه نفسه قال على بغلان الخادم فاتى به وكان طوالا فامر بصفعه الخلع

بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ ما معه ويقول له قد سمنت ياحسن ويدفع اليه فرسا ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه أخفى أولاده نخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى جغري بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه في الطريق فقال اللهم اني اسألك فرسا تخلصني عليه فسار غير بعيد فلقيه تركماني وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه فاخذه التركماني وأعطاه فرسه فركبه وقال له لا تنسني ياحسن قال نظام الملك فقويت نفسي بذلك وعلمت انه ابتدا مسعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه وكان الامير تاجر لما سمع بهرب نظام الملك سار في أثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي فقال له داود حديثك مع محمد يعني الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه وعاد * وأما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح أمر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول اني لست من أهل هذا الشان لما تولاه ولكني أحب أن أجعل نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يأمره بالاذان وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة في حفظ الاوقات ولزوم الصلوات وأسقط المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندري قد حسن للسلطان طمر لبك التقدم بلعن الرافضة فامره بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وأبي القاسم القشيري وغيرهما فلما ولي الب ارسلان السلطنة أسقط نظام الملك ذلك جميعه وأعاد العلماء الى أوطانهم وكان نظام الملك اذا دخل عليه الامام أبو القاسم القشيري والامام أبو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل أبو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وأمثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي أنت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما آنا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وأرجع عن كثير مما أنا فيه وقال نظام الملك كنت أتمنى أن يكون لي قرية خالصة ومسجدا تفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت أن يكون لي قطعة أرض أتقوت بريعها ومسجد أعبد الله فيه وأما الآن فانا أتمنى أن يكون لي رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه أخوه أبو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم وأخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد

## ﴿ ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته ﴾

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من

الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوّال مريضا وأنشب الموت اظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فخم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفى ليلة الجمعة النصف من شوّال ولما نقل نقل أرباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدى بامر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وأرسلت قوام الدولة كربوقا الذى صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها وأظهر ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه أحد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين واربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن أقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت أيامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن افعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا طوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك باى شئ دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكى عنه ان سوادبا لقيه وهو يبكى فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لاأملك سواها فغلبنى عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه منى فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من وجده عنده فاحضره فساله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلمانى جاؤنى به فامر ان يجيء بهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادى خذ هذا المملوكى قد وهبته لك عوضا عن بطيخك وبحضر الذين أخذوه والله لئن أطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادى فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادى الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلثمائة دينار فقال أرضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا للسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسى شاهدت ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابنى غزال فاقياه فوقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمائة دينار وقد كسر ثنيتى أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدنا لتقتص لنا منه فان أخذت بحقنا كما أوجب الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد منكما بطرف كمى واصحبانى الى خواجه حسن يعنى نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فاقسم عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كميه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالى غدا عند الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفينى مثل هذا الموقف فان نال الراعية أذى فانت المطالب فانظر لى ولنفسك فقبل الارض ومشى فى خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما ثمانمائة دينار من عنده وأمرهما باثبات البينة انه قلع ثنيته ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات فخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدى الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه وكان الناس

فقال يا أمير المؤمنين أى شئ قضيتى وأى جناية جنايتى فقلت له هذه جائزتى وأنت شريكى وقد استوفيت نصفها وبقى نصيبك منها فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له أقول لك انى ضعيف معيل وشكوت اليك الحاجة والمسكنة وأقول يا سيدى لا تأخذ نصفها لك سدسها لك ربعها وأنت تقول ما آخذ الا نصفها ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صفع وهبتها لك كلها فعاد الى الضحك من قولى للخادم وعتابى له فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكائه صرة فكان أعدها فيها خمسمائة درهم ثم قال له وقد أراد الانصراف قف هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكا فيها ولعلى كنت أمنعه منها فقلت يا أمير المؤمنين وأين الامانة وقبح الخيانة ووددت أنك كنت تدفعها كلها اليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا

(وفى سنة) اثنتين وثمانين وماتتين كانت وفاة اسمعيل ابن اسحق القاضى والحرث ابن أبى أسامة وبلال بن العلاء الرقى (وفى سنة) ثلاث وثمانين وماتتين نزل

١٠ ابن الاثير عاشر المعتضد تكريت وسار الحسن بن حمدان فى الاولياء لحرب هرون الشارى فكانت بينهم

يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم أحد وأسقط المكوس والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المناوز وحفر الانهار الخراب وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبني البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعي بطريق مكة وبنى مثلها بعاوراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال انني خائف من الله تعالى كيف ازهقت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والاموال بين أصحابه مالا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيأ تصدق بعده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضا وقيل ان بعض أمراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد الاصنام من دون الله تعالى ويحلل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ السلطان السيف وقال له اصدقني عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره وزوجته فابعده السلطان وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

﴿ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك﴾

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور وأرسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضا فاجابها وشرط ان يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لزعامة الجيوش ورعاية البلد هو الامير أنز ويصدر عن رأي تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الاموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذي يدبر الامر بين يدي خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها في ذلك الغزالي فاذعنت له وأجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت تركان خاتون الى اصبهان في القبض على بركيارق ابن السلطان وهو أكبر أولاده خافته ان ينازع ولدها في السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فاخذوه وثاروا في البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتي بن داود وهي ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فاتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيأ فانه كان قد علم ما جرى فاستظهر وأخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره واما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الري فلقيهم ارغش النظامي في عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا قلعة طبرك

وقد نصبت له القباب وزينت له الطرقات وبنى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبية وأكمل هيئة فاشتقوا بغداد الى القصر المعروف بالحسني ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه بها وطوقه بطوق من ذهب وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله وشهرهم في الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ثم أمر بالشارى فاركب فيلا وعليه دراعة ديباج وعلى رأسه برنس خز طويل وخلفه أخوه على جمل فالج وهو ذو السنامين وعليه دراعة ديباج وبرنس خز وسيرهم في أثر الحسن بن حمدان وأصحابه ثم دخل المعتضد في أثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس ضاق عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق وخلفه بدر غلامه وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان ابن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله فاكثر الناس الدعاء له وتكاثف الناس في منصرفهم من الجانب الشرقي الى الغربي فانخسف بهم كرسي الجسر الاعلى وسقط على زورق مملوء ناسا فغرق في هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف واستخرج الناس من دجلة وأخذوها

وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين فى عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وصار بركيارق فى أثرهم فحصرهم باصبهان

## ﴿ذكر قتل تاج الملك﴾

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فاخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك فى اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى ألف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ مادبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه أجزاء وكان قتله فى المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد أحد أصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب واغاغطى جميع محاسنه مما لاته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ أبا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا وأربعين سنة

## ﴿ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة﴾

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فاوقعوا بهم وقتلوا اكثر الجند الذين معهم وانهزم بافيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا فى أهلها فرماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد ان نهبوا وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فادركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فيها فى ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدى بأمر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفى كما ذكرناه وفيها فى جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والخلطين والزيجانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم فى الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفى هذه السنة توفى عبد الباقى بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادى سمع الحديث وكان يتهم بأنه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * ارجى نجاتى من عذاب جهنم
وانى على خوفى من الله واثق * بانعامه والله أكرم منعم

وفيها توفى هبة الله بن عبد الوارث بن على بن أحمد أبو القاسم الشيرازى الحافظ أحد الرحالين فى طلب الحديث سمع وغرب وقدم الموصل من العراق وهو الذى أظهر سماع الجعديات لابى محمد

الغاصة صبيا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر فبصر به شيخ من النظارة طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمى أنفه ثم تمرغ فى التراب وأظهر أنه ابنه وجعل يقول يا سيدى لم تمت اذ أخرجوك صحيحا سويا لم يأكلك السمك ولم تمت حبيبى اذ كحلت عينى بك مرة قبل الموت وأخذه فحمله على حمار ثم مضى به فخرج القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك الا أن الصبى فى أيديهم وليس بهم ما كان عليه من حلى وثياب وانما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه فخبره الناس بالخبر فبقى هو ومن معه من التجار منجبين مبهوتين وسألوا عنه واستبحثوا فاذا الا عين ولا أثر وعرف توا بوهذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأيسوا أيما الغريق منه وذكروا أنه شيخ قد أعياهم أمره وحيرهم كيده وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح الى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياستين واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفأس وزنبيل فقام فى ثوب خلق ولم يتكلم حتى وضع الفأس فى الدكاكين التى على باب ذلك العدل فهدمها وجعل ينقى الآجر ويعزله

الصريفيني ولم يكن يعرف ذلك

﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة﴾

﴿(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق)﴾

كان عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها اليه المرجع في كل أمورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل أبوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل أبوه ومات السلطان فأقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان أكثر عسكره النظامية خرج من أصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيره

﴿(ذكر حال تتش بن الب ارسلان)﴾

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما حاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الاموال وسار نحو حلب وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وأرسل الى باغي سيان صاحب انطاكية والى يوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تتش حتى يريا ما يكون من أولاد ملكشاه ففعلوا وصار وا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها وسبب أهلها تاج الدولة ففتحها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فأكرمه واستوزره

﴿(ذكر وقعة المضيع وأخذ الموصل من العرب)﴾

كان ابراهيم بن قريش بن بدران أمير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وأنفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقي ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد أقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابنها علي وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة بأخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها علي فقصدها محمد بن شرف الدولة وأراد أخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه وأخرى مع صفية وابنها علي واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع ان الامير علي ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملكشاه فأقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فأقام به فلما ملك تتش نصيبين أرسل اليه يأمره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد ليمضي ويطالب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم أيضا نحوه فالتقوا بالمضيع من أعمال الموصل في ربيع الاول وكان ابراهيم في ثلاثين

فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع النأس والهدم فخرج لينظر فاذا الشيخ دائب بهدم دكا كينه التي على باب داره فقال يا عبد الله أي شيء تصنع ومن أمرك بهذا فجعل الشيخ يعمل عمله ولا يلتفت الى العدل ولا يكلمه فاجتمع الجيران وهما في المحاورة فاخذوا بيد الشيخ فوكزه هذا ودفعه هذا فالتفت اليهم فقال ويلكم أي شيء تريدون مني أما تستحيون تعبثون بي وأنا شيخ كبير فقالوا ما لنا والعبث بك ويحك من أمرك بهذا قال ويحكم أمرني صاحب الدار فقالوا وهذا صاحب الدار يكلمك قال لا والله ما هو هذا فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه وقالوا هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه وهم الذين حملوا هذا الشيخ على هذا الفعل فلما منعوه من الهدم مضى الى الجرة التي جاء بها وقد كان وضعها الى جانب الباب فأدخل يده فيها كأنه قد خبأ ثيابه فيها فصرخ وبكى فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه فقال وأي شيء ذهب لك قال قميص جديد اشتريته أمس وملحفة لبيتي وسراويل فرقوا له جميعا ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ووهب له الجيران دراهم كثيرة وانصرف غانما وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ويكنى بأبي البازل وله أخبار الفا

الفا وكان تتش فى عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب وأخذ ابراهيم أسيرا وجماعة من أمراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت أموال العرب وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من السبى والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها على بن شرف الدولة مسلم وأمه صفية عمة تتش وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله أنا أنتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

﴿ ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام ﴾

فلما فرغ تاج الدولة تتش من أمر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى ديار بكر فى ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى اذربيجان فانتهى خبره الى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الرى وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار فى عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقر لبوزان انما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه ونريد نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش ذلك علم انه لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوى أمره سار كوهرائين الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش وأعانه برسق وتعصب عليه كشتكين الجاندار فاخذ اقطاعه وأعطى الامير بلبرد زيادة وولى شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن كوهرائين أصحابه فكان ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها ﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوى صاحب مصر مدينة صور وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولى مدينة صور لامير يعرف بمنير الدولة الجيوشى فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصرى الى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم العسكر المصرى بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شئ كثير وأسر منير الدولة ومن معه من أصحابه وحملوا الى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فاجحفت بهم ولما وصل منير الدولة الى مصر ومعه الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

﴿ ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتى خال بركيارق ﴾

فى هذه السنة فى شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتى بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب قتله انه كان باذربيجان أميرا عليها فأرسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه ان تتزوج به وتدعوه الى محاربة بركيارق فاجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار أصحاب سر هنك ساوتكين فى خيله وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء فى عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج

ليال ذكرت من ذلك الشهر فعليه أن يحمل الى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار وان خرجت هذه الليالى ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها فى المبايعة فأتى بهذا الشيخ فى عنفوان شبابه الى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع شيأ لا ينكره وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها فى هذه الليالى فاحتال هذا الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة الى أن سرق بختيشوع وجعله فى صندوق وأتى به المتوكل فى خبر ظريف وأنه رسول لعيسى بن مريم نزل الى بختيشوع بشمع أسرجه وتخليط عمله وبخ فى طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره فى تلك الليلة وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وهذا الشيخ قد برز فى مكايده وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم (ولطلاب صنعة الكيمياء) من الذهب والفضة وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الاكسيرات من الاكسير المعروف بالفرار وغيره وافامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك ممن خدعهم وحيلهم فى القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق

أخبار الزمان وماذكروه في ذلك من الاشعار وما عزوه الى من سلف من اليونانيين والروم مثل قلوبطرة الملكة ومارية وماذكره خالد بن يزيد ابن معاوية في ذلك وهو عند أهل الصنعة من المتقدمين فيهم في شعره الذي يقول فيه

خذ الطلق مع الاشق
وما يوجد في الطرق
وشيأ يشبه البرقا
فدبره بلاحرق
فان أحببت مولاكا
فقد سودت في الخلق

(وقد صنف) يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنهما وقد نقض هذه الرسالة على الكندي أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الفيلسوف صاحب الكتاب المنصوري في صناعة الطب الذي هو عشر مقالات وأرى القول أن ماذكره الكندي فاسد وان ذلك قد يتأتى فعله ولابي بكر بن زكريا في هذا المعنى كتب قد صنفها وأفرد كل واحد منها بنوع من الكلام في هذه الصنعة في الاحجار المعدنية وغير ذلك

فانحاز الامير بلبرد الى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى أصبهان فأكرمته تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في الوصلة يتم بينهما فامتنع الامر امن ذلك لاسيما الامير آنز وهو مدبر الامر وصاحب الجيش وآثروا خروج اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة بركيارق في اللحاق بهم فاذنت له في ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم أياما يسيرة فخلابه تكشتكين الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فاطلعهم على سره وانه يريد السلطنة وقتل بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه

## (ذكر أخذ الحاج)

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لاسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع امير أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سار بن سير أمير مكة وهو محمد بن أبي هاشم عسكرا فلحقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من أموالهم وجمالهم فعادوا اليها ولقوه وسألوه ان يعيد عليهم ما أخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد بعض ما أخذ منهم فلما أيسوا منه سار وامن مكة عائدين على أقبح صورة فلما أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدة جهات فصانعوهم على مال اخذوه من الحاج بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على أقبح صورة

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور أبو الحسين الواعظ العبادي واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو مروزي وقدم بغداد قاصد اللحج وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالي وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الارض التي فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرون ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا وكان النساء أكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه من الوعظ أنه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو ربا فمنع من الوعظ وأخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربي وقتل أهل النصرية مصلحيا فارسل كوهرائين أحرقها واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاغر أبي المحاسن الدهستاني في اطفاء هذه الفتنة أثر حسن وفيها في شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد على الموصل فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمي الفضل وكني أبا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله وفيها في رمضان قتل الامير بلبرد قتله بركيارق وكان من الامراء الكبار مع أبيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فلما وصل الى دقوقا أعيد منها لانه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل اليه أصبح مقتولا وفيها في المحرم توفي علي بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القرشي الهكاري المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا أن الغرائب في حديثه كثيرة لا يدري ما سببها والامير أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر البجلي المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين وأربعمائة وكان حافظا وفيها في صفر توفي أبو محمد عامر الفشتيري وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلي في رمضان

رمضان بالامام المقتدى بامر الله وفى جمادى الاولى توفى الامير أبو الفضل جعفر بن المقتدى وأمه ابنة السلطان ملكشاه ومولده فى ذى القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفى رجب توفى الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن المحسن الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى أهل العلم وكان محمودا فى ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستانى الذى كان عميد بغداد وفى رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفى بالكميل من أرض الموصل وكان الخليفة قد أرسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند أبى حنيفة وفيه توفى القاضى أبو على يعقوب بن ابراهيم المرزبانى قاضى باب الازج وولى مكانه القاضى أبو المعالى عزيزى وكان أبو المعالى شافعيا أشعريا مغاليا وله مع أهل باب الازج أقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفى نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو الفتح التنكتى له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا روى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست وأربعمائة وفى ذى الحجة منها توفى أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

## ﴿ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر الخطبة للسلطان بركيارق﴾

فى هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قدمها أواخر سنة ست وثمانين وأرسل الى الخليفة المقتدى بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفى فجأة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وولى ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

## ﴿ذكر وفاة المقتدى بأمر الله﴾

فى هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الامام المقتدى بامر الله أبو القاسم عبد الله ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأة وكان قد أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التى دخلت على بغير أذن قالت فالتفت فلم أر شيأ ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته وسقط الى الارض فظننته اغشية قد لحقته فخلات ازراره به فوجدته قد ظهرت عليه أمارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت للجارية عندى ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك وأحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه وكان عمره ثمانا وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين وأمه أم ولد ارمنية تسمى ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة أبو نصر بن جهير ثم أبو شجاع ثم عميد الدولة أبو منصور بن جهير وقضاته أبو عبد الله الدامغانى ثم أبو بكر الشامى وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة ابن جرده وخربة

ويذهب بنور الابصار ويكسف الالوان من بخار التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كان الفداء بالاسرى بين المسلمين والروم فى شعبان وكان بدؤه يوم الثلاثاء وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشأم الى مصر فى جيوشه فخالفه طغج بدمشق بعد ذلك (وفيها) خرج عن جيش بن خمارويه خافان المعلمى ونيدفة بن كسجور وابن كنداج فساروا الى وادى القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد (وفيها) كان الشغب بمصر وقتل أحمد الماوردى بن محمد بن على الماردانى المقبوض عليه فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بمصر وقبض على جيش بن خمارويه ونصب أخوه هرون بن خمارويه مكانه وكانوا قد نقموا على جيش تقدمه لغلامه نجح المعروف بالطولونى وأخيه سلامة المعروف بالمؤنس وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صحب جماعة من الخلفاء منهم القاهر والراضى وأراه

مع المتقى فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة (وفى سنة) ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى عمر ومقدام بن عمرو

الزعيني بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان وكان من جملة الفقهاء ومن كبار أصحاب مالك (وفيها) ولى المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام وخلع عليه وانتدبه للجانب الشرقي (وفي هذه السنة) وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب ابن اسحق الكندي وسلمه الى بدر غلامه ووجه الى داره من قبض على جميع ماله وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمن الآلات خمسين ومائة ألف دينار وكان ابن الطيب قد ولى الحسبة ببغداد وكان موضعه من الفلسفة لا يجهل وله مصنفات حسان في أنواع من الفلسفة وفنون من الاخبار (وقد تنازع الناس) في كيفية قتله والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد اياه وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالاوسط فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الكتاب (وفيها) ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة (وفي سنة) أربع وثمانين ومائتين أدخل الى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم صلب ساعة من نهار ثم رد الى دار السلطان

الهراس والخانوتيتين وأمر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل أحد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادي والابراج التي للطيور ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه وأمر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى النجمي فيغسله هناك ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوي النفس عظيم الهمة من رجال بني العباس

## ﴿ذكر خلافة المستظهر بالله﴾

لما توفي المقتدي بامر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال وأخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وأخوه بهاء الملك وأمراء السلطان وجميع أرباب المناصب والنقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي في أصحابهما وقاضي القضاة والغزالي والشاشي وغيرهما من العلماء فجلسوا في العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

## ﴿ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وأمدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فانهزم بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فاخذ اسيرا وأحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت أقتلك فقال له أنا أحكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج في قتالها حتى ملكها سلمها اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد وأخذها أسيرين وأرسل الى حران والرها ليسلمها من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وأرسل رأسه اليهم وتسلم البلدين وأما كربوقا فانه أرسله الى حمص فسجنه بها الى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تتش وكان قسيم الدولة أحسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وأمن واسع وكان قد شرط على أهل كل قرية من بلاده متى أخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم أهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير وكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده ألقوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فأمنت الطرق وأما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا أنه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى أذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود بن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد

(وفي هذه السنة) كان لاهل بغداد ثورة مع

قتله

قتله فشفع فيه باغيسيان وأشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم الخدمة بالديوان وألح فى طلبها فأجيب الى ذلك بعد ان سمعوا ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ماتذكره

﴿ ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه أصبهان بعد ذلك ﴾

فى هذه السنة فى شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بسير عمه الى أذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقى بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل وكان عمه فى خمسين ألف رجل فسار الامير يعقوب بن أبق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكشتكين الجاندار واليارق وهم من الامراء الكبار فسار الى أصبهان وكانت خاتون أم أخيه محمود قد ماتت على ماتذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قارب اخرج أخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا حم وجدر فاراد الامراء أن يكحلوا بركيارق فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كاد يسلم منه وأراكم تكرهون ان يليكم ويملك البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود أقيموه ملكا وان سلم محمود فانتم تقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرح بعد الشدة وجلس بركيارق للعزاء باخيه وكان مولد محمود فى صفر سنة ثمانين وأربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة وكان أخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان أصبح الناس وجها وأحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات أبيه فى الاطلاقات من خاصه منها ببغداد مائتا كر غلة وثمانية عشر ألف دينار أميرى ثم ان بركيارق جدر بعد أخيه وعوفى وسلم فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره

﴿ ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر ﴾

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى أمير الجيوش بدر الجمالى صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين وأربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ما خاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره سنة ست وخمسين ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الامارة ثم مضى أمير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال علقمة بن عبد الرزاق العلمى قصدت بدرا الجمالى بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه فطال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا أنا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة فى أثره وأقام الى ان رجع من صيده فلما قارب وقف على نشز من الارض واوما برقعة فى يده وانشأ يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * دروجوديمينك المبتاع
قلب وقتشها بسمعك انها * هى جوهر يختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع

منهم اجتمعوا فكلموا المعتضد بما يلحقهم فى الازقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام فأمر المعتضد بجماعة من العامة فضربوا بالسياط فتشعب العامة لذلك (وفى هذه السنة) ظهر للمعتضد شخص فى صور مختلفة فى داره فكان تارة يظهر فى صورة راهب ذى لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان وتارة يظهر شابا حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية بزة التجار وتارة يظهر بيده سيف مسلول وضرب بعض الخدم فقتله فكانت الابواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان فى بيت أو صحن أو غيره وكان يظهر له فى أعلى الدار التى بناها فأكثر الناس القول فى ذلك واستفاض الامر واشتهر فى خواص الناس وعوامهم وسارت به الركبان وانتشرت به الاخبار والقول فى ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم فمن قائل ان شيطانا مريد اصمد له يظهر فيؤذيه ومنهم من يقول ان بعض مؤمنى الجن رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر المنكر زاجرا ومنهم من رأى ان ذلك بعض خدمه كان قد هوى

فاتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والاطماع
حتى أناخوها ببابك والرجا * من دونك السمسار والبياع
فوهبت ما لم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلا * فالناس بعدك كلهم أتباع
يابدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ماضاعوا

وكان على يد بدر بازى فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يسترد الابيات وهو ينشدها الى أن استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبني فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا يحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولما مات بدر قام بما كان اليه ابنه الافضل

## ﴿ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي﴾

في هذه السنة ثامن عشر ذي الحجة توفي المستنصر بالله أبو تميم معد بن أبي الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله العلوي صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذي خطب له البساسيري ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده في زي تاجر واجتمع به وخاطبه في اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم أظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامي بعدك فقال ابني نزار وهو أكبر أولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار والى المستنصر شد ائد واهوال وانفقت عليه العتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره الى أن بقي لا يملك غير سجادته التي يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد أتينا على ذكر هذا السنة سبع وستين وأربعمائة وغيرها ولما مات ولي بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله ومولده في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلي بالله وسبب خلعه أن الافضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفا منه على نفسه وبايع المستعلي فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه أهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل وأعانه أيضا القاضي جلال الدولة بن عمار قاضي الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره وأخذه وأخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلي نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانه

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول ذكرها الا انها لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الارجا فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت عبر بن صاحب الشرطة فقتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل في اليوم الثالث وفيها توفي محمد بن أبي هاشم الحسيني أمير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض

بعض جواريه فاحتال بحيلة فاستفيه من بعض العقاقير الخاصة فضعها في فيه فلا يدرك بحاسة البصر وكل ذلك ظن وحسبان فاحضر المعتضد المعزمين واشتد قلقه واستوحش وحار عليه أمره فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه وضرب وحبس جماعة منهم وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكي عن افلاطون في هذا المعنى وعلى خبر سعب أم المقتدر بالله والسبب الذي من أجله حبسها المعتضد وارادقطع أنفها والتشويه بها في كتابنا أخبار الزمان (وفي هذه السنة) ورد الخبر بقتل أبي الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهرا فكبا به فرسه فذبحه سيفه فأخذ عيسى النوشري رأسه وأنفذه الى بغداد (وفي سنة) خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائي في نبهان وسنبس وغيرهم من طيئ بالحاج وعلى الحاج يحيى الكبير وكانت ليحيى مع صالح ومن معه من الطالبيين حرب عظيمة في الموضع المعروف ببقاع الاجفر وتشوش الحاج وأخذهم السيف فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج وأصاب يحيى ضربات كثيرة وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول ما ان رأى الناس كيوم الاجفر * الناس صرعى والقبور تحفر الحجاج

وأخذ من الناس نحو من ألفي ألف دينار وفي هذه السنة وهي سنة خمس وثمانين وماتتين ٨٣ كانت وفاة أبي اسحق ابراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربي وله خمس وثمانون سنة وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذي الحجة ودفن مما يلي باب الانبار وشارع الكبش والاسد وكان صدوقا عالما فصيحا جوادا عفيفا وكان زاهدا عابدا ناسكا وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ظريف الطبع سلس القياد ولم يكن معه تجبر ولا تكبر وربما مزح مع أصدقائه بما استحسن منه ويستقبح مع غيره وكان شيخ البغداديين في وقته وظريفهم وناسكهم وزاهدهم ومسندهم في الحديث وكان ينتفعه لاهل العراق وكان له مجلس يوم الجمعة في المسجد الجامع الغربي (وأخبرنا) أبو اسحق ابن جابر قال كنت أجلس يوم الجمعة في حلقة ابراهيم الحربي وكان يجلس الينا غلامان في نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين وبزتهما واحدة كأنهما روحان في جسدان قاما فاما معا وان قعدا قعدا معا فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار في عينيه فتوسمت أن غيبة الآخر لعلة قد لحقت الحاضر من أجل ذلك الانكسار فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذي كان

الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها في ربيع الاول قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق أحضره اليه ببغداد وسار بعسكره فظفر بطلفات اليه من أخيه تتش بحثه على اللحاق به وقيل انه أراد المسير الى بلخ لان أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى فحمل الى بغداد فدفن عند قبر أبي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير انز وتورانشاه بن قاورت بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الامير انز تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا انز ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم أصابه فيها وفيها استولى أصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الامير قاسم بن أبي هاشم العلوي صاحبها وأقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم أصبهبذ ودخل قاسم الى مكة ومضى أصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب أحرق شحنة بغداد وهو ايكتين جب باب البصرة وسبب ذلك أن النقيب طراد الزينبي كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعي منه من يقيم السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه أهل باب البصرة وادموه فرجع الى صاحبه فشكا اليه منهم فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فسار اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم أهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طغاج خان وهو من نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من أصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت وأوصت الى الامير أنز والى الامير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس اتراك وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد

## ﴿ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم﴾

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فأكرمه الافضل أمير الجيوش وأعطاه اقطاعا ومالا ثم بلغه عنه أسباب أوجبت اخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لولاتها فادخلوهم البلد وأخرجوا الوالي وصار شاهملك أمير البلد فسمع تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصروها وضيقوا على الترك ففتحوها ووصل شاهملك معهم الى المهدية فسر به تميم وبمن معه وقال ولدي مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان أبوه تميم قد تقدم اليه أن لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما أبعد وفي طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر في أثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى بن تميم الى سفاقس

فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده أياما ولم يذكره أبوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده فلما أخذ أقام أبوه مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند وأهل البلد ويملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يسأله في انفاذ الاتراك وأولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه أبوه عنه مدة ثم أعاده الى حاله ورضي عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها برا وبحرا وضيقوا على الاتراك بها وأقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضي عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فملك نفسه فنقل عنه الى أبيه ما غير قلبه عليه فامر باخراجه من المهدية باهله وأصحابه فركب في البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عامله من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها أمير يقال له مكين بن كامل الدهسماني فانزله واكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية وأطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاهملك التركي وأصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وسمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذي يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ أولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم أمر يحيى وصار هو المشار اليه

## ﴿ ذكر قتل أحمد خان صاحب سمرقند ﴾

في هذه السنة في المحرم قتل أحمد خان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند وأسر هذا أحمد خان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم وأخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه أصحابه وعزموا على قتله قالوا المستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله ففعل طغرل ينال بك فسار أحمد خان والعسكر الى قتاله فلما تراءى الفئتان تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء وأقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه وأجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه وأطاعوه

## ﴿ ذكر ما فعله يوسف بن أبق ببغداد ﴾

في هذه السنة في صفر سير الملك تتش يوسف بن أبق التركماني شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له في بلاده فلما سمع ابن أبق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر يعقوبا فهزمهم ونهبهم الخيش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن أبق الى بغداد وأراد نهبها والايقاع باهلها فمنعه أمير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هناك الى حلب

## ﴿ ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش ﴾

في هذه السنة في صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما هزم السلطان بركيارق

في الجمعة الاولى منهما وان الصفرة والانكسار أبين في لونه ونشاطه فعلمت أن ذلك للفراق بينهما ولاجل الالفة الجامعة لهما فلم يزالا يتسابقان في كل جمعة الى الحلقة فأيهما سبق صاحبه الى الحلقة لم يجلس الآخر فصح عندي ما كان تقدم في نفسي جواز كونه فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما فجلس الينا وجاء الآخر فاشرف على الحلقة فادا صاحبه قد سبق واذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة فتبينت ذلك في حمالق عينيه واذا في يسراه رقاع صغار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها في وسط الحلقة وانساب بين الناس مارا مستحييا وأنا أرمقه ببصري وكذلك جماعة ممن كان جالسا في الحلقة وكان الى جانبي على اليمين أبو عبد الله علي بن الحسين بن جويرية وذلك في عنفوان الشباب وأوان الحداثة فوقعت الرقعة بين يدي ابراهيم الحربي فقبض عليها ونشرها وقرأها وكان من شأنه فعل ذلك اذا وقعت في يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملا شافيا لانه رأى ملقيها ثم قال اللهم اجمع بينهما وألف بين قلوبهما واجعل ذلك مما يقرب منك ويزلف لديك وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ثم أدرج الرقعة كما

كما ذكرناه سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها أمير آخر فرحل تتش عنها فتبعه أمير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستأمن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى أصبهان فاستأذنه أمير آخر في قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى أصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الري وأرسل الامراء الذين بأصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدري فاجابوه بعد ونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفي أرسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وسار وامع بركيارق من أصبهان وهم في نفير يسير فلما بلغوا جرباذقان أقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا في ثلاثين ألفا فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر صاحب حلب أخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الامر والسلطنة لبركيارق واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى أصبهان في نفر يسير فلا يتبعه أحد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقي على باب اصبهان عدة أيام ثم لما دخلها أراد الامر لنفسه فاتفق ان أخاه حم ثاني يوم وصوله وجد رفات فتام في الملك مقامه ثم جد رهو وأصابه معه سرسام فعوفي وبقي مذكسره عمه الى ان عوفي وسار عن اصبهان أربعة أشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيأ ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد ولله سر في علاك واغا * كلام العداة ضرب من الهذيان

## ﴿ ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما ﴾

كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير منهم ايلغازي بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل أبيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها أبو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها اليه تتش وحكمه في البلد والقلعة ولحق برضوان زوج أمه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا أخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع أبي القاسم كالاضياف لتحكمه في البلد واستمالة جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم وأرسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله نحو شهرين وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركماني صاحب انطاكية ثم صالحهم وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لخلوها من والي يحفظها فسار واجمعا وقدم عليهم أمراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق جد أصحاب الحصن اليوم وأخذها ومنعهم عنها وأمر أهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكره وما يفسدون من غلاتهم ويسألونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلد من بوزان فقاتل المسلمين عن معه واحتمى بالقلعة وشاهدوا من شجاعته ما كانوا لا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلب باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فتسلمها وحصنها ورتب رجالها وأرسل اليهم أهل

عفا الله عن عبد أعان بدعوة
لخلين كانا داعين على الود
الى أن وشى واشى الهوى
بنميمة
الى ذاك من هذا الخلا عن
العهد

فكانت الرقعة معي فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معا واذا الاصفرار والانكسار قد زال فقلت لابي جويرية اني لارى الدعوة قد سبقت لهما بالاجابة من الله تعالى وان دعاء الشيخ كان على التمام ان شاء الله تعالى فلما كان في تلك السنة كنت ممن حج فكأني أنظر اليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا فلم أزل أراهما منا لفين الى أن كهلا وأرى أنهما في صف أصحاب الديباج في الكرخ أو غيره من الصفوف (قال المسعودي) وهذا الخبر سمعته من ابراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته القضاء وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصرا للفقر على الغنى فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض الشام وذلك في سنة تسع وثلثمائة واذا هو بالضد مما عهدته متوليا القضاء على ما وصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر فقلت له أيها القاضي تلك الحكاية التي كنت تحكيها عن الوالي الذي كان بالري وأنه قال لذلك الخواطر اعترضتني بين منازل

للفقراء شكرا لله تعالى وأحسن من ذلك تعزز الفقراء على الاغنياء ثقة بالله تعالى فقال لى ان الخلق تحت التدبير لا ينفكون من أحكامه فى جميع متصرفاتهم وكنت كثيرا ما أسمعه فيما وصفنا من حال فقره يدم دوى الحرص على الدنيا ويذكر فى ذلك خبرا عن على كرم الله وجهه وهو أن عليا عليه السلام كان يقول ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه فانه ان يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك واعلم أنك لن تكتسب شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا فيه لغيرك فركب بعد ذلك الهمالج من الخيل (ولقد أخبرت) أنه قطع لزوجته أربعين ثوبا ستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد وخلف مالا عظيما لغيره (وفى هذه) السنة وهى سنة خمس وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى العباس محمد ابن يزيد النحوى المعروف بالمبرد ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة وله تسع وسبعون سنة ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربى بمدينة السلام (وفى سنة) ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفى المحدث ويكنى بابى العباس يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة وله مائة سنة وست واحسابه

حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فسمع ذلك فراجة أميرها فانهم ابن المعتز وكان هذا ابن المعتز قد اعتمد عليه تتش فى حفظ البلد فاخذه وأخذ معه بنى أخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وياغيسيان وأضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته أم الملك رضوان وسار رضوان وياغيسيان فعبر الفرات الى حلب فسمعوا بدخول جناح الدولة اليها ففارق ياغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمى وسار رضوان الى حلب وأما دقاق بن تتش فانه كان قد سيره أبوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب له ابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى أصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التى قتل فيها فلما قتل أبوه أخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحاجى وسار به الى حلب وأقام عند أخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالى بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد فى السير فارسل أخوه رضوان عدة من الحيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به الخادم وأظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها أرسل اليه ياغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن أخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد سلموا فانه كان قد عهد الحرب مع صاحبه وأسر وفى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وأرباب دولته وبالغوا فى اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه لذلك وحكمه فى بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم ياغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمى فجعله وزير الدقاق وحكمه فى دولته

## ﴿ذكر وفاة المعتمد بن عباد﴾

فى هذه السنة توفى المعتمد بن عباد الذى كان صاحب الاندلس مسجونا باغمات من بلاد المغرب وقد ذكرنا كيف أخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة فبقى مسجونا الى الآن وتوفى وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة وأخباره مشهورة وآثاره مدونة وله أشعار حسنة فمنها ما قاله لما أخذ ملكه وحبس

سلبت على يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدى الحصيف الامتنا
ضربت بها أيدى الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنا
يا آملى العادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف أكفنا

وله من قصيدة يصف القيد فى رجله

تعطف فى ساقى تعطف أرقم * يساورها عضا بانياب صيغم
وانى من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه فى جنة وجهنم

﴿وقال فى يوم عيد﴾

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعبد فى اغمات مأسورا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره أبو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه

واحسانه القديم اليه فلما توفي أتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور أهليهم وأنشد بصوت عال

ملك الملوك أسامع فانادي * أم قد عدالك عن الجواب عوادي
لما حللت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت في الاعياد
خلفت في هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

وأخذ في اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الامر فلنقف عند هذا

## ﴿ذكر وفاة الوزير أبي شجاع﴾

في هذه السنة توفي الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة في جمادى الآخرة وأصله من روذوار وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبي اسحق الشيرازي وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يا رسول الله قال الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك وبكى فاكثر وتوفي من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم

## ﴿ذكر الفتنة بنيسابور﴾

في هذه السنة في ذي الحجة جمع أمير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وساربهم الى نيسابور فحصرها فاجتمع أهلها وقاتلوه أشد قتال ولازم حصارهم نحو أربعين يوما فلم يجد له مطمعا فيها سار عنها في المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من أهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية أبا القاسم بن امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمد شاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة ابن جهير للعامة في التفرج والعمل فزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان ستري له من أهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل وأعانه رجلان أيضا من أهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان هذين الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرا على من أمرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم أحدهما فقال اتركوني وأنا أعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخي لابد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام أبو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعد ما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك

كان الفزع من أبي سعيد الجنابي بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكبسها وكتب الواثق وهو أحمد بن محمد وكان على حربها الى المعتضد بذلك فاطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت (وفي هذه السنة) ظفر أبو الاغر خليفة بن المبارك السلمي بصالح بن مدرك الطائي بناحية فيد مكرا في ذهابهم الى مكة وقد كانت الاعراب جمعت لابي الاغر ليستنقذوا صالحا من يده فوافقهم وقتل رئيسهم بحش بن ديال وجماعة معه وأخذ رأسه فلما علم صالح بن مدرك بقتل بحش بن ديال يئس من الخلاص من يد أبي الاغر فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشي أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكينا وقتل نفسه فاخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج وكانت لابي الاغر في رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو وتحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الاعراب وكانت الاعراب قد اجتمعت وتحشدت من طيئ وأحلافها فكانت رجالتها نحوا من ثلاثة آلاف راجل والخيل نحوا من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا وذلك بين معدان القرشي والحاج ثم انهزمت الاعراب وسلم الناس وكان ممن تولى مع أبي الاغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الاعلى (ودخل) أبو الاغر مدينة السلام

واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما هزم عمه تتش وقتله أرسل خادما يحضر والدته زبيدة خاتون من اصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء وأشاروا عليه بتركها فقال لا أريد الملك الا لها وبوجودها عندى فلما وصلت اليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان نجد الملك أبو الفضل البلاسانى قد صحبها فى طريقها وعلم انه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك وأخيه فخر الملك متباعد بسبب جواهر خلفها أبوهم نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر السلطان على أخيه مؤيد الملك أرسل و بذل أموالا جزيلة فى الوزارة فأجيب الى ذلك وعزل أخوه وولى هو وفى هذه السنة فى جمادى الاولى توفى أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمى الفقيه الحنبلى وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها فى رجب توفى أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلانى وهو مشهور ومولده سنة ست وأربعمائة وفيها فى شعبان توفى قاضى القضاة أبو بكر محمد بن المظفر الشامى وكان من أصحاب أبى الطيب الطبرى ولم يأخذ على القضاء اجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال ألك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغانى فقال لا أقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركى فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندى على باقة بقل لم أقبل شهادتهما وولى القضاء بعده أبو الحسن على بن قاضى القضاة أبى عبد الله محمد الدامغانى وفيها مات القاضى أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزوينى ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا فى الاعتزال وقيل كان زيدى المذهب وفيها توفى القاضى أبو بكر بن الرطبى قاضى دجيل وكان شافعى المذهب وولى بعده أخوه أبو العباس أحمد ابن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الاصفهانى صاحب أبى نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبى المعالى وأبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدى الاندلسى ولد قبل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفى فى ذى الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

﴿ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل يوسف بن أبق والمجن الحلبى﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل يوسف بن أبق الذى ذكرنا أنه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الاحداث بها وله أتباع كثير فحصر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن أبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه فى قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك وقصد المجن الدار التى بها يوسف وكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما فى داره وبقى بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرنى بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب فى أصحابه فلاقوهم بالمحاربة ففعل ثم أمر أصحابه ان ينهبوا ماله وأثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

﴿ذكر وفاة منصور بن مروان﴾

وقدامه رأس صالح وبحتر ورأس غلام لصالح أسود وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الاغر وطوقه بطوق من ذهب ونصب الرؤس على الجسر من الجانب الغربى وأدخل الاسارى المطبق

(وفى هذه) السنة مات اسحق بن أيوب العبدى وكان على حرب ديار ربيعة (وفيها) شخص العباس بن عمرو الغنوى الى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين (وفى هذه السنة) كانت الحرب بين اسمعيل ابن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ وأسر عمرو وقد أتينا على كيفية أسره فى الكتاب الاوسط (وفى سنة) سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر فالتقى هو وأبو سعيد الجنابى فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش فأحرقت الشمس أجسادهم ثم ان أبا سعيد من على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار الى المعتضد فخلع عليه وبعد هذه الوقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من أجله تخلية أبى سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له (وفى هذه فى

في هذه السنة في المحرم توفي منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده حين حاربه فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودي فمات في داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت ديرا من بلد منك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له في البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة ألا تنظر الى فعلها بابنائها بيتا هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات في بيت يهودي نسأل الله تعالى أن يحسن أعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

## ﴿ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا﴾

في هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضي بن ابراهيم بن بلونه فمات فولى أهلها عليهم عمرو بن المعز فاساء السيرة وكان قاضي بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه في ذلك فاخرج تميم العساكر الى أخيه عمرو ليأخذ المدينة منه فقال له بعض أصحابه يا مولانا لما كان فيها قاضي توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا مالا يمكن السكوت عليه وفي فحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التي أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ما حويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا
من كان في زرق الاسنة خاطبا * كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة * تركتك من اكناف قابس قابسا
ولوا فكم تركوا هنالك مصانعا * ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
وكأنها قاب وهن وساوس * جاء اليقين فذاد عنه وساوسا

## ﴿ذكر ملك كربوقا الموصل﴾

في هذه السنة في ذي القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا ان تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا في استصلاح حمية الامير أنز ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش وملك ابنه الملك رضوان حلبا فارسل السلطان بركيارق رسولا يأمره باطلاقه واطلاق أخيه التوتتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وأبو الهيجاء الكردي يستنصرون بهما على الامير علي بن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد ابن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشئ فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلا وترك التوتتاش شرقي الموصل فاستنجد علي بن مسلم صاحبها الامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة له فلما علم التوتتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله

وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسمعيل ابن أحمد وعليها محمد بن هرون فكانت وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الديلم على مصافها فلم ينقض صفوفه وولى فأسرعت الديلم ونقضت صفوفها فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف فقتل منهم بشر كثير وأصاب الداعي ضربات وذلك أن أصحابه لما نقضوا صفوفهم في الغنيمة ولم يعرجوا عليه ثبت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش فأسفرت الحرب وقد أثخن بالكلوم وأسر ولده زيد ابن محمد بن زيد وغيره وبقي محمد الداعي أياما يسيرة وتوفي لما ناله فدفن بباب جرجان وقبره هناك معظم الى هذه الغاية (وقد أتينا) على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته وخبر بكر بن عبد العزيز ابن أبي دلف حين دخل اليه مستأمنا في كتابنا أخبار الزمان وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسني الرسي باليمن وتظافره هو وأبو سعد بن



يعفر على ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة وما كان من أمرهم مع علي بن الفضل صاحب

فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار فى طاعة كربوقا وأعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شئ حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها على الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه أهله لانه بلغهم أن التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على أعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل فى اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع عنها فلكها ونهبها واستناب بها وعاد

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة اجتمع ستة كواكب فى برج الحوت وهى الشمس والقمر والمشترى والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون فى الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فسأله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة فى برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها رحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة أو بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التى يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحجاج نزلوا بوادى المياقت بعد نخلة فاتاهم سيل عظيم فانفرق أكثرهم ونجا من تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك فخلع الخليفة على المنجم وفيها فى صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى الفقيه الشافعى بالمدرسة النظامية ببغداد رتبه فيها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل فى أثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران بن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن على عليه السلام فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر فوجه اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا فى المشهد حتى عند الضريح وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس وفى هذه السنة فى صفر توفى القاضى أبو مسلم وادع بن سليمان قاضى معرة النعمان والمستولى على أمورها وكان رجل زمانه همة وعلما وفيها فى ربيع الاول توفى أبو بكر محمد بن عبد الباقى المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان عالما وفيها فى رمضان توفى أبو بكر عمر بن السمرقندى ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها فى رمضان توفى أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسى المعروف بالمهذانى وكان عالما فى عدة علوم وقد قارب ثمانين سنة

﴿ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر قتل ارسلان ارغون﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا يخافونه عظيما فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تأخره عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له أيام أخيه ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان فى سبعة

بها وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن وخبر ولده أبى القاسم وخبر ولد ولده الى هذه الغاية وانما ذكرنا فى هذا الكتاب لمعاصرتهم على ما قدمناه من تصنيفنا ما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم (وفى هذه السنة) وهى سنة ثمان وثمانين وماتتين كان دخول المعتضد الى الثغر الشامى فى طلب وصيف الخادم وراسله مع رشيق المعروف بالخزامى واستأمن الى المعتضد وصيف البشكرى وغيره من القواد فواد الخادم وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الاكثر من أصحابه أراد الدخول الى أرض الروم والتعلق بالدروب وقد كان المعتضد أسرع فى السير من بغداد وستر أخباره ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لامره حتى صبر المعتضد الفرات وسار الى الشام فلم يفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه فى سرعة السير وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامى خلف سواده بالكنيسة السوداء وجرد القواد فى طلب وصيف فساروا فى طلبه خمسة عشر ميلا الى ان أدركه أوائل غلمان

غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيها مطمعا فمر الى مرو وكان شحنة مرو أميرا اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذي كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على نظام الملك وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فمال الى ارسلان ارغون وسلم البلد اليه فأقبلت العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها ووزر لتاج الدولة تتش على ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب ان يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود ماعدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته وولها أخوه فخر الملك واستولى على الامور مجد الملك البلاساني قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بورسق بن الب ارسلان وسيره في العساكر لقتاله وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر الى خراسان انهزم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ وأقام بورسق والعساكر التي معه بهراة ثم جمع ارغون عساكر جمة وسار الى مرو وحصرها أياما وفتحها عنوة وقتل فيها وأكثر وقلع أبواب سورها وهدمه فسار اليه بورسق من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم بورسق سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته انه كان معه من جملة العساكر الذين سيرمعه بركيارق أميرآخر ملكشاه وهو من أكابر الامراء والامير مسعود بن ناجر وكان أبوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه ولمسعود منزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين أميرآخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود بن ناجر قصد أميرا آخر زائر اله ومعه ولده فاخذهما وقتلهما فضعف أمر بورسق وانهزم من ارسلان ارغون وتفرق عسكره وأسر وحمل الى ارسلان ارغون وهو أخوه فحبسه بترمذ ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة ألف دينار وقتله وخرب أسوار مدن خراسان منها سورسبزوار وسور مرو والشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه قتل هذه السنة كما ذكرنا

## ﴿ ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول وصل عسكر كثير من مصر الى ثغر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالي بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلي صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير اليه جيشا فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندي وعامي ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالي أسيرا بغير أمان وحمل الى مصر فقتل بها

## ﴿ ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى أخيه سنجر ﴾

كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه ارسلان ارغون وجعل الامير قماج اتابك سنجر ورتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطغرائي فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبر قتله فاقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد

بدرب الحب فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسر وأتي به المعتضد فسلمه الى مؤنس العجلي وأمن جميع أصحابه الا نفرا انضافوا اليه من الثغر الشامي وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية وحمل من طرسوس أبا اسحق امام الجامع وأبا عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أذنة من الثغر الشامي وغيرهم من البحرين مثل اسمعيل وابنه وكان دخول المعتضد الى مدينة السلام في الماء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس وخلفه على جمل آخر البعيل وخلف البعيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشأم يعرف بابن المهندس وقد لبسوا الدراريع من الحرير الاحمر والاصفر وعلى رؤسهم البرانس وطوق وسور خاقان المفلحي وغيره من القواد ممن أبلى في ذلك اليوم الذي كان فيه أسر وصيف الخادم وقد كان المعتضد أراد استحياءه وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن

الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر ارسلان ارغون قد ملكوا بعد قتله ابنه الصغير عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان أبعدوا الى جبال طخارستان وأرسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فاحسن السلطان لقاءه وأعطاه ما كان لابيه من الاقطاع أيام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان فى خمسة عشر ألف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بأمير تخدمه وبقى وحده مع خادم لابيه فأخذته والدة السلطان بركيارق اليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وأرسل الى ماوراء النهر فأقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

﴿ذكر خروج أمير اميران بخراسان مخالفا﴾

فى هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بأمير أميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فأمده بجيش كثير وفيلة وشرط عليه ان يخطب له فى جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومدّيده فى البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير اميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدى سنجر فأمر به فكحل

﴿ذكر عصيان الامير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشى على خراسان﴾

فى هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار فى جملة الامير قماج فتوفى والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر عمرو بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكجى وقد ولاه السلطان خوارزم واقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار فى عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو فى ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم وأظهروا أن السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامراء ومؤيد الملك عن طاعته وأعاد أمير داذ حبشى بن التونتاق فى جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه فى خمسة عشر ألفا فعلم أمير داذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسار اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش وأخذ أسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزائنه وما معه فبقى فى سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه وبقى عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب وأما يارقطاش فبقى أسيرا الى ان قتل أمير داذ وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه﴾

فى هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشى بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه انوشتكين مملوك أمير من السلجوقية اسمه بلكباك قد اشترا من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشه

---

قبض عليه وأوثق بالحديد هل لك من شهوة قال نعم باقة من الريحان أشمها وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها فلما رجع الرسول الى المعتضد وأخبر أنه يديم النظر فى سير الملوك وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل الى حضرته من الدفاتر فتعجب المعتضد وقال هو يهون على نفسه الموت (وفى هذه السنة) كانت وفاة أبى عبيد الله محمد بن أبى الساج باذربيجان واختلفت كلمة أصحابه وعلمانه بعده فمنهم من انحاز الى أخيه يوسف ابن أبى الساج ومنهم من انحاز الى ولده بوادر (وفى هذه السنة) أدخل عمرو ابن الليث الى مدينة السلام فى جمادى الاولى قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشهر عمرو وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله فى الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد ثم أدخل المطامير وقد كان فى هذا الوقت سارت عساكر الشاكرية من قبل طاهر ابن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجده عمرو ولحقته ببلاد الاهواز وخرجت عن حدود فارس واضطرب الامر وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن الى اسمعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب فكبر

فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه وولد له ولد سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه وأحسن تاديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الازلية فلما ولى أمير داد حبشي خراسان كان خوارزمشاه اكنجي قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الامير حبشي فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن انوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمد اخوارزمشاه على خوارزم وأعمالها فظهرت كفايته ونهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن اكنجي الذي كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار في العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب الاتراك الى منقشلاغ وطغرلتكين أيضا رحل الى جنند خان وكفى خوارزمشاه شرهم ولما توفي خوارزمشاه ولي بعده ابنه اتسز فمد ظلال الامن وأفاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في اسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق﴾

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم تعجزه عنها فرحل الى ناباس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغي سيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغي سيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاسرة أخيه بحلب جزاء لما فعله فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فأرسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فاتاه في خلق كثير من التركمان فسار نحو أخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

## ﴿ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان﴾

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل اليه ففدمه بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين وأنفذ رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم يبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة أربع جمع ثم حضر عنده سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فأنكر ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وأرسل الى بغداد يعتذر مما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة أيام حتى وصل التتر اليها وحصروها وكان

و يبعثهم الى بلاد سجستان الى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث وأمر عبد الله بن الفتح أن يحمل في طريقه من خراج ما يجتاز به من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها الى الثلثمائة ألف دينار وسار بدر غلام المعتضد بالله في عساكره الى بلاد فارس من هذه السنة فنزل شيراز وانكشف عن البلد الجيش كرة (وفي أول يوم) من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفي وصيف الخادم فاخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فأباح لهم ذلك فألبس ثيابا ولف عليه ثوب جديد وخيط على مكان الثياب من سرته الى الركبتين وطلي بدنه بالصبر وغيره من الاطلية القابضة والماسكة لاجزاء جسمه فاقام مصلوبا على الجسر لا يبلى الى سنة ثلثمائة في خلافة المقتدر بالله (وفي هذه السنة) تشعب الجند والعامة فعمدت العامة اليه تعاجلوا وحطوه من فوق الخشبة وقالوا قد وجب علينا حق الاستاذ أبي علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا لا يبلى على هذه الخشبة فلفوه في رداء بعضهم وحملوه على أكتافهم وهم نحو من مائة ألف من

ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار وأهل خسرو جرد وقتال عظيم قتل بينهم جماعة كثيرة وانهزم أهل خسرو جرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فأخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو فى الحبس انه كان يكاتبه أيضا فقتل وفى صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمى وزير أم السلطان بركيارق قتله باطنى غيلة وقتل الباطنى بعده وفيها فى شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشر بن يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفى النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله وكان دينا خيرا كريما متعصبا حنفى المذهب وولى النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة وفيها توفى أبو القاسم يحيى بن أحمد السيبى وهو ابن مائة سنة وسنتين وهو صحيح الحواس وكان مقرئا محدثا حاضر القلب وفيها قتل ارغش النظامى مملوك نظام الملك بالرى وكان قد بلغ مبلغا عظيما بحيث انه تزوج ابنة باقوتى عم السلطان بركيارق قتله باطنى وقتل قاتله وقتل برسق فى شهر رمضان وهو من أكابر الامراء قتله باطنى وكان برسق من أصحاب السلطان طغرلبك وهو أول شحنة كان ببغداد

## ﴿ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وأربعمائة ﴾

## ﴿ ذكر ملك الفرنج مدينة انطاكية ﴾

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم الى بلاد الاسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الاندلس وقد تقدم ذكر ذلك ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها وقد ذكرته أيضا وتطرقوا الى أطراف افريقية فملكوا منها شيأ وأخذ منهم ثم ملكوا غيره على ما تراه فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا الى بلاد الشام وكان سبب خروجهم ان ملكهم بردويل جمع جمعا كثيرا من الفرنج وكان نسيب رجار الفرنجى الذى ملك صقلية فارسل الى رجار يقول له قد جمعت جمعا كثيرا وأنا واصل اليك وسائر من عندك الى افريقية افتحها واكون مجاورا لك فجمع رجار أصحابه واستشارهم فى ذلك وقالوا وحق الانجيل هذا جيد لنا ولهم وتصبح البلاد بلاد النصرانية فرفع رجله وحبق حبقة عظيمة وقال وحق دينى هذه خير من كلامكم قالوا وكيف ذلك قال اذا وصلوا الى احتاج الى كلفة كثيرة ومراكب تحملهم الى افريقية وعساكر من عندى أيضا فان فتحوا البلاد كانت لهم وصارت المؤنة لهم من صقلية وينقطع عنى ما يصل من المال من ثمن الغلات كل سنة وان لم يفلحوا رجعوا الى بلادى وتأذيت بهم ويقول تميم غدرت بى ونقضت عهدى وتنقطع الوصلة والاسفار بيننا وبلاد افريقية باقية لنا متى وجدنا قوة اخذناها وأحضر رسوله وقال له اذا عزمتم على جهاد المسلمين فافضل ذلك فتح بيت المقدس تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر واما افريقية فبينى وبين أهلها أيمان وعهود فتجهزوا وخرجوا الى الشام وقيل ان أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الافسيس الى مصر وحصرها خافوا وأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين المسلمين والله أعلم فلما عزم الفرنج على قصد الشام ساروا الى القسطنطينية ليعبروا المجاز الى بلاد المسلمين

الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله الاستاذ الاستاذ فلما ضجروا من ذلك طرحوه فى دجلة وذلك أنهم شيعوه فى الماء سباحة فغرق منهم فى جرية الماء خلق كثير (وفى هذه السنة) أتى جماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف بأبى الفوارس وبعد أن قطعت يداه ورجلاه صلب الى جانب وصيف الخادم ثم حول الى ناحية الكناس مما يلى الناشرية من الجانب الغربى فصلب مع قرامطة هناك (وقد كان لاهل بغداد) فى قتل أبى الفوارس هذا أراجيف كثيرة وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام هذه عمامتى تكون قبلك فانى راجع بعد أربعين يوما فكان يجتمع فى كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الايام ويفتشون ويتناظرون فى الطرق فى ذلك فلما تمت الاربعون ليلة وقد كاد كثير منهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر وانما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكى لا يفتتن الناس فكثر تنازع الناس فى ذلك حتى نودى بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه (وكان وردمال) من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق فى آل أبى طالب سرا فغمز بذلك ويسيروا

ويسيروا فى البر فيكون أسهل عليهم فلما وصلوا اليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده وقال لا أمكنكم من العبور الى بلاد الاسلام حتى تحالفونى انكم تسلمون الى انطاكية وكان قصده بحثهم على الخروج الى بلاد الاسلام ظنا منه ان الاتراك لا يبقون منهم أحدا فلما رأى من صبرهم وملكهم البلاد فاجابوه الى ذلك وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين ووصلوا الى بلاد قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش وهى قونية وغيرها فلما وصلوا اليها لقيهم قلج ارسلان فى جموعه ومنعهم فقاتلوه فهزموه فى رجب سنة تسعين واجتازوا فى بلاده الى بلاد ابن الارمنى فسلكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها ياغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبوها حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ أبناءنا ونساءنا فقال أنا أحفظكم فيهم فامسكوا وأقام والى عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة ياغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التى خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ ياغيسيان أهل نصارى انطاكية الذين أخرجهم وكف الايدى المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا أحد المستحفظين للابراج وهو رادى يعرف بروزبه وبذلوا له مالا وافطاعا وكان يتولى حفظ برج بلى الوادى وهو مبنى على شباك فى الوادى فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا الملعون أرادجاؤا الى الشباك ففتحوه وحملوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة نشروا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ ياغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا فى ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه يحفظ البلد فسأل عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لهلكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك فى جمادى الاولى وأما ياغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالولهان فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين أنا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين فاشتد ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يمكن فيه مسكة فدنا قرب الموت فتركوه يسارون عنه واجتاز به انسان أرمنى كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بانا لا نقصد غير البلاد التى كانت بيد الروم لانطاب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

## ﴿ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم﴾

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام وأقام برج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان بن أرتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا

آل أبى طالب وكان السبب فى ذلك قرب النسب ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن على الوراق الانطاكى الفقيه المعروف بابن العنوى بانطاكية قال أخبرنى محمد بن يحيى بن أبى عباد الجليس قال رأى المعتضد بالله وهو فى سجن أبيه كان شيخا جالسا على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصيرق يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت قال فسألت عنه فقيل لى هذا على بن أبى طالب عليه السلام قال فقمت اليه وسلمت عليه فقال يا أحمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تتعرض لولدى ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة يا أمير المؤمنين وعم الناس تأخر الخراج عنهم وكان انعام المعتضد عليهم فقالت الشعراء فى ذلك وأكثرت ووصفت فى أشعارها ذلك وأطنبت فاحسن يحيى بن على المنجم فقال

يا محيى الشرف اللباب
ومجدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين فيـ
ـنا ثابتا بعد اضطراب
فت الملوك مبرزا
فوت المبرز فى الحلاب
أسعد بنيروزك يوم

لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساءوا السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك وأضمروا له فى أنفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة وأقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم مايا كلونه وتقوت الاقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ماطلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقومص صاحب الرها وبيمند صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة مدفونة بالقسيان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها فالهلاك محقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفى أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا فى جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغى ان تقف على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين فجاءهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية أحد منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق وجناح الدولة لانهما كانا فى الكمين وانهزما معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يحر قتال ينهزم من مثله وخافوا أن يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج منهم الوفا وغنموا ما فى العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت حالهم وعادت اليهم قوتهم

## (ذكر ملك الفرنج معرة النعمان)

لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد فى حربهم والاجتهاد فى قتالهم فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازى سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الغشل والهلع وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه فرآهم طائفة أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التى تليها فى النزول حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبى الكثير وملكوه وأقاموا أربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

السلام مع ابن الجصاص فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

ياسيد العرب الذى زفت له
باليمن والبركات سيدة العجم
اسعد بها كسعود ها بك انها
ظفرت بما فوق المطالب والهمم
ظفرت بملأى ناظريها بهجة
وضميرها بلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت الى بدر الدجى
فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم

(ولما دخل) عمرو بن الليث الى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه يدعو وهو على جمل قالح وهو ذو السنامين وكان أنفذه الى المعتضد فى هدايا تقدمت له قبل أسره فقال فى ذلك الحسن ابن محمد بن مهر

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه
يكون عسيرا مرة ويسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة
يروح ويغدو فى الجيوش أميرا
حباهم بأجمال ولم يدر انه
على حمل منها يقاد أسيرا

وفى ذلك يقول محمد بن بسام

أيها المغتر بالدنـ
ـيا أما أبصرت
مقبلا قد أركب الفا

ع بعد الملك قسرا وعليه برنس الس ـطة اذلالا وقهرا

ذكر

رافعا كفيه يدعو الله سرا وجهرا أن ينجيه من القتل وأن يعمل صفرا ٩٧ ولما قتل محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوى

﴿ ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه ﴾

كان دولتشاه من أبناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليهم جمع من عساكر بغو وأخى طغرلبك وكان بطخارستان فاخذوا الوالج وكنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فدخلها فى رجب من هذه السنة وخرج منها لقتال دولتشاه فلم يكن له من الجموع مانبت مقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيأ من قتال وانهزموا وأخذوا دولتشاه أسيرا وأحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلمها الى طغرل تكين

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها أرسل الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا له على الفرنج ومبالغا فى تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفى هذه السنة فى شعبان توفى أبو الحسن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ومولده سنة اثنتى عشرة وأربعمائة وكان فاضلا فى الحديث وفيها توفى أبو الفضل عبد الوهاب بن أبى محمد التميمى الحنبلى وكان فاضلا فصيحا وفيها فى شوال توفى طراد بن محمد الزينبى وهو عالى الاسناد فى الحديث وولى نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين على بن طراد وفيها فى ذى القعدة توفى أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء أبى القاسم بن المسلمة وكان بينه مجمع الفضلاء وأهل الدين ومن جملة من كان عنده الى ان توفى الشيخ أبو اسحق الشيرازى وفيها توفى أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الاسفرايينى وهو من أعيان المحدثين

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ﴾

﴿ ذكر عصيان الامير أنز وقتله ﴾

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوا تكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان ايران شاه بن قاورت فاجتمعوا وصافوا الامير أنز وكسروه وعاد مفلولا الى أصبهان وأرسل الى السلطان يستأذنه فى اللحاق به الى خراسان فامره بالمقام ببلد الجبال وولاه امارة العراق وكاتب العساكر المجاورة له باطاعته فاقام باصبهان وسار منها الى اقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر أمره الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل اصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير أنز فلما اجتمع بالامير أنز خوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظموا عليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث فيه فظهر ذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من أصبهان الى الرى وأرسل الى السلطان يقول انه مملوك ومطيع ان سلم اليه مجد الملك البلاسانى وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم أياما من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فصدم أحدهم المشعل فالقاه وصدم الآخر الشمعة فاطفأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه جانداره واختلط الناس فى الظلمة ونهبوا خزائنه وتفرق عسكره وبقى ملقى فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها ووصل خبر قتله السلطان

أظهر المعتضد لذلك النكير والحزن تأسفا على قتله (وكانت) وفاة نصر بن أحمد صاحب ماوراء النهر بلخ فى أيام المعتضد وذلك فى سنة تسع وثمانين ومائتين وصار الامر الى أخيه اسمعيل بن أحمد (وكانت) وفاة أحمد بن أبى طاهر الكاتب صاحب كتاب أخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين (وفيها كانت) وفاة أحمد بن محمد القاضى الذى يحدث (وفى سنة) احدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى مؤدب المكتفى بالله فى المحرم وهو صاحب الكتب المصنفة فى الزهد وغيره (وفى سنة) اثنتين كانت وفاة أبى سهل محمد ابن أحمد الرازى المحدث وانما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم فى التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكانت) وفاة عبيد الله بن شريك المحدث فى سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد (وفيها) وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف بطبرستان (وفيها) مات محمد بن الحسين بن الجنيد (وفى سنة) ثمان وثمانين ومائتين مات أبو على بشر بن عميرة الاسدى وله نيف وتسعون سنة وقبض ولده وهو ابن تسع

الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل الآراء والادب فى كتابنا أخبار الزمان والاوسط وانما نذكر فى هذا الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف (وكانت) وفاة المعتضد لاربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين فى قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام وقيل ان وفاته كانت بسم اسمعيل بن بلبل قبل قتله اياه فكان يسرى فى جسده ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل فى مسيره فى طلب وصيف الخادم على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته فى منديل أعطته اياه يتنشف به وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا (وقد كان) أوصى أن يدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فى الجانب الغربى من الدار المعروفة بدار الرخام فلما اعتراه الغشى ووقع للموت شك وافى وفاته فتقدم الطبيب الى بعض أعضائه فجسه فأحس به وهو على ما به من السكرات فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا فيقال ان الطبيب مات منها ومات المعتضد من ساعته وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم فقال له مؤنس الخادم ياسيدى الغلمان واخوانكم



بركيارق وهو بخوار الرى قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاسانى بقتله وكان له مثل يومه عن قريب وكان عمر أرسبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

## ﴿ ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس ﴾

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه للامير سقمان بن أرتق التركمانى فلما ظفر الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالى وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازى ابنا ارتق وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتى ونصب عليه نيفا وأربعين منجنيقا فهدموا مواضع من سوره وقاتلهم أهل البلد حدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازى ومن معهما وأحزل لهم العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فاقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازى الى العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقى فيه الى الآن وقصده الفرنج بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج فى البلدة اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان فاقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه مالا يتبع عليه الاحصاء وورد المستغيثون من الشام فى رمضان الى بغداد صحبة القاضى أبى سعد الهروى فاوردوا فى الديوان كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وابكوا وذكروا مصاب المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبى الحريم والاولاد ونهب الاموال فلشدة ما أصابهم أفطروا فأمر الخليفة ان يسير القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين سمساك فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاسانى على ما ذكره فعادوا من غير بلوغ أرب ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما ذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر الابيوردى فى هذا المعنى أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بنى الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
اتهوية فى ظل امن وغبطة * وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم

واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرّون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرّة الظبا * وسمر العوالى داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سلان بايدى المشركين قواضبا * ستغمدمنهم فى الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة * ينادى باعلى الصوت يا آل هاشم
أرى امتى لا يشرعون الى العدى * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضى على ذل كماة الاعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حميّة * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا فى الاجر اذ حمس الوغا * فهلا أتوه رغبة فى الغنائم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للسبى * فلا عطسوا الا باجدع راغم
دعوناكم والحرب ترنو بلحمة * الينا بالحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية * تطيل عليها الروم عض الاباهم
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * رميتم الى أعدائنا بالجرائم

## ﴿ ذكر الحرب بين المصريين والفرنج ﴾

فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ماتم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما عملوا و يتهددهم فاعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من وصولهم ولا من حركتهم ولم يكونوا على اهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما فى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل فى خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار ثم عادوا الى القدس

## ﴿ ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه ﴾

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام وأب أمهما أم ولد ولما مات أبوه ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركا خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهى فى عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة واقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه اتابكاله الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال أران الذى من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من

من هيبته وحمل الى دار محمد بن عبد الله بن طاهر فدفن بها (قال المسعودى) وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الارض غير ماذكرنا قد أتينا على ذكرها والغرر من مبسوطها فى كتاب أخبار الزمان والاوسط

## ﴿ ذكر خلافة المكتفى بالله ﴾

وبويع المكتفى بالله وهو على بن أحمد المعتضد بعد نية السلام فى اليوم الذى كانت فيه وفاة أبيه المعتضد وهو يوم الاثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وأخذله البيعة القاسم بن عبيد الله والمكتفى يومئذ بالرقة وللمكتفى يومئذ نيف وعشرون سنة ويكنى بأبى محمد فكان وصول المكتفى الى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الاولى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان دخوله فى الماء ونزل قصر الحسنى على دجلة وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين وهو يومئذ ابن احدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فكانت خلافته ست سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما وقيل ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوما على تباين الناس فى تواريخهم والله أعلم

فضلون بن أبى الاسوار الوادى وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها لماقوى فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه وأسره واقطع بلاده لجماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه فى هذه البلاد وتوفى فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضافة فى مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير أنز فحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنز سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعى فى طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاسانى واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وسار وانحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصار معه وسار وانحو الرى وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا الى الرى فاتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامى وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد اليه فى العساكر فسار من الرى الى أصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ماذكره وورد السلطان محمد الى الرى ثانى ذى القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وسجنها فى القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدروا بمن أحسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما أمر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه فى تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الاسباب فى قتله

﴿ ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد ﴾

لما قوى أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرآيين من بغداد وكان قد استوحش من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب بن بدر صاحب كنكور وغيرهما فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش فى خدمته الى أصبهان ولما وصل كوهرآيين الى بغداد خاطب الخليفة فى الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

﴿ ذكر قتل مجد الملك البلاسانى ﴾

قد ذكرنا تحكم مجد الملك أبى الفضل اسعد بن محمد فى دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التى لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب وأما سبب قتله فان الباطنية لما قوى أمرهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذى وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك قتل الامير برسق فانهم أولادهم زنكى واقبورى وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ماذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل أمير آخر وبلكابك وطغايرك بن الينزن وغيرهم الى الامراء ابنى برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان

﴿ ذكر جمل من أخباره وثلاثين وثلثمائة من خلافة المتقى لله من اسمه على الا على بن أبى طالب والمكتفى ولما نزل المكتفى قصر الحسنى فى اليوم الذى كان دخوله الى مدينة السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد وأمر بهدم المطامير التى كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس واطلاق من كان محبوسا فيها وأمر برد المنازل التى كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير الى أهلها وفرق فيهم أموالا فسالت قلوب الرعية اليه وكثر الداعى له بهذا السبب وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك وقد كان القاسم ابن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهانى وكان يتقلد ديوان الرسائل وكان ذا علم ومعرفة وأوقع بمحمد بن يسار وابن منارة لشئ بلغه عنهم وأوثقهم بالحديد وأحدرهم الى البصرة فيقال انهم غرقوا فى الطريق ولم يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ففى ذلك يقول على بن بسام عذرناك فى قتلك المسلمين وقتلنا عداوة أهل الملل فهذا المنارى ماذنبه * ودينكما واحد لم يزل وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا يلتمسون

يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقناه وأخذناه قهرا فمنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ أمراءك ولتلك وتقتلني أنت لئلا يقتاني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وأرسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا سلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب أنه كان لا يفارقه منه سفرا وحضرا في بعض الايام فتح خازنه صندوقا فرأى الكفن فقال وما أصنع بهذا ان أمري لا يؤل الى كفن والله ما أبقى الاطير بحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعني ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وأرباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل أرسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الري ونحن نمضي الى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لا غير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه وعاد الى الري وسار العسكر الى السلطان محمد

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في شعبان وصل الكيا أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس الفقيه الشافعي وانيه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى الخليفة وهو من أصحاب امام الحرمين أبي المعالي الجويني ومولده سنة خمسين وأربعمائة واعتنى بامره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم ابن امام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات التعابي بانه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها في شعبان توفي أبو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها في صفر توفي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعالي وعمره نحو تسعين سنة وكان عالي الاسناد في الحديث وقيل توفي سنة ثلاث وتسعين وفيها في شعبان توفي أبو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه أبي نصر وكان حسن الخلق متواضعا

## ﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة﴾

## ﴿ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد﴾

في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار في العام الماضي من الري الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامي وأتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فأخذوا وأحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة أصبهان وضدهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرآيين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد

وسار بدر الى واسط فأخرج القاسم المكتفي الى نهر زبال فعسكر هناك وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر وأغراه به فاحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالمسير الى بدر فيأخذ له الامان ويجيء به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب فقال أبو حازم ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضي فأرسل به الى بدر في سر فأعطاه الامان والعهود والمواثيق عن المكتفي وضمن له أنه لا يسلمه عن يده الا عن رؤية أمير المؤمنين تخلى عسكره وجلس معه في السرا مصعدين فلما انتهوا الى ناحية المدائن والسيب تلقاه جماعة بالحذر فأحاطوا بالسرا وتخلى أبو عمرو عنه الى طيار فركب فيه وقرب بدر الى الشط وسألهم أن يصلي ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال فأمهلوه للصلاة فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه وأخذ رأسه فحمل الى المكتفي فلما وضع الرأس بين يدي المكتفي سجد وقال الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ودخل

لبدر العهود والمواثيق
عن المكتفى
قل لقاضى مدينة المنصور
بم أحللت أخذ رأس الامير
بعد اعطائه المواثيق
والعهد
وعقد الامان فى مسطور
أين أيمانك التى يشهد الله
على أنها يمين فجور
أين تأكيدك الطلاق
ثلاثا
ليس فيهن نية التخيير
ان كفيك لا تفارق كفيه
الى أن ترى مليك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب
الامة يا شاهدا شهادة
زور
ليس هذا فعل القضاة
ولا يحسن
أمثاله ولاة الجسور
قد مضى من قتلت فى
رمضان
راكعا بعد سجدة التكبير
أى ذنب أتيت فى الجمعة
الزهراء
فى خير خير الشهور
فأعدا الجواب للحكم العادل
من بعد منكر ونكير
يا بنى يوسف بن يعقوب
أضحى
أهل بغداد منكم فى غرور
شتت الله شملكم وأرانى
بكم الذل بعد ذل الوزير
أنتم كلكم فداء أبى حازم
المستقيم كل الامور
قالوا وكان بدر حرا وهو
بدر بن خير من موالى المتوكل وكان بدر فى خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه ارسلان

فسار الى داى مرج ومعه ايلغازى بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فاما جكرمش فاستأذن كوهرآيين فى العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقى مع كوهرآيين جماعة من الامراء فاتفقوا على ان يصدروا عن رأى واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فافينا من بقاتلك وكان الذى أشار بذا كربوقا وقال لكوهرآيين انا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعاد وامعه الى بغداد وأعاد الى كوهرآيين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الدهستانى وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وأبوه أيام ملكشاه فاستقر الامر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار يحملها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

﴿ ذكر الوقعة بين السلاطين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد ﴾

فى هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة أيام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحاربه فكاتبه رئيس هذان ليسير اليها ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع أخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذروز ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من هذان وكان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل وكان محمد فى القلب ومعه الامير برسق وعلى ميمنته أمير آخر وابنه ايازو على ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق فى القلب ووزيره الاعز أبو المحاسن وعلى ميمنته كوهرآيين وعماد الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرآيين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق فى خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه فى القلب على بركيارق ومن معه فانهزم بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرآيين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبابه فرسه فاتاه خراسانى فقتله وأخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقى فى خمسين فارسا وأما وزيره الاعز أبو المحاسن فانه أخذ أسيرا فاكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خيما وخركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد وأعاده اليها وأمره بالمخاطبة فى اعادة الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب فى ذلك فأجيب اليه وخطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب

﴿ ذكر قتل سعد الدولة كوهرآيين ﴾

فى هذه السنة فى رجب قتل سعد الدولة كوهرآيين فى الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء أمره انه كان خادما للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها وأصاب أهلها منه خيرا كثيرا فارسله أبو كاليجار مع ابنه أبى نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات أبو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمى وكان الب ارسلان قد أقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد فلما قتل الب

ارسلان أرسله ابنه ملكشاه الى بغداد فاحضر له الخلع والتقليد ورأى مالم يره خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما حسن السيرة لم يصادر أحدا من أهل ولايته ومناقبه كثيرة

﴿ (ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزام عمه من أخيه سنجر أيضا وقتل أمير داذ حبشى) ﴾

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو فى خمسين فارسا ونزل عقمة واستراح وقصد الرى وأرسل الى من كان يعلم أنه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع صالح فسار الى اسفرايين وكاتب أمير داذ حبشى بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فاجابه يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بها حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان فلما وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها وخرج بهم وأطلقهم بمرد ذلك وتسلل بعميد خراسان أبى محمد وأبى القاسم بن أبى العلاء الجوينى فاما أبو القاسم فمات مسموما فى قبضه وقد تقدم انه قتل سنة ثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أمير داذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر بلاده فى عساكر بلخ ويسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار اليه فى ألف فارس فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا ينهزموا وكان مع الامير داذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر حارح النوشجان وكان الامير برغش فى ميمنة سنجر والامير كمشتكين فى ميسرته والامير رستم فى القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم أصحابه وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكمشتكين فقتلا المنهزمين وانهزم الرجالة الى مضيق بين جبلين فارسل عليهم الماء فاهلكهم ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولا فخافت ان يقتلها اياه فاحضر هاوطيب قلبها وقال انما أخذتك حتى يطلق أخى سنجر من عنده من الامرى ولست كنتو الوالدتى حتى أقتلك فلما أطلق سنجر الامرى أطلقها بركيارق وهرب أمير داذ الى بعض القرى وأخذه بعض التركمان فاعطاه فى نفسه مائة ألف دينار فلم يطلقه وحمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان وسار فى البرية ورؤى فى بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجارية واحدة ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاوه وغيره وسار الى أصبهان بمكاتبة من أهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فاقام بها الى سميرم

﴿ (ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس) ﴾

فى هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو فدعاد فتغلب عليها واشتد أمره وزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الراى والتدبير فاستقامت به دولته وعظم شأنه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ فى استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وأمر الامير الذى جعله مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ فى صيانته ففعل ذلك فلما رأى حمو ما فعل باصلاك الناس ماعدا الوزير اتهمه فقتله فاختل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهمانى فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

﴿ (ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته) ﴾

وعدنى به (وأخبرنا) محمد بن النديم بمدينة السلام قال سمعت المعتضد يقول انا آنف من هبة القليل ولا أرى الدنيا لو كانت لى

وكان السبب فى ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه وأمر ببيعها فدس فاتك من اتباعها له فكان السبب فى ابعاده من قلب المعتضد عند غوذلك اليه وزاد أمر بدر وعلت مرتبته حتى كان يلتمس الحوائج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام (قال المسعودى) وأخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال كان لى وعد على المعتضد فاطفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها

أيها الهاجر من حالا لمجد
أجزاء الود أن يلقى بصد

لامير المؤمنين المعتضد

بحر جود ليس يعدوه أحد

وأبو النجم لن يقصده
جدول منه الى البحر يرد

قد مضى الفطر الى الاضحى وقد
آن أن يقرب وعد قد بعد

ما اقتضانى الوعد أن لست على
ثقة من انه أخذ بيد

غير أن النفس تهوى عاجلا
وسوا أعطى كريم أو وعد

قال فضحك وأمر لى بما

لما أطلق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الاعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد أمره ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فامر الاصبهبذ صباوه بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز أبي المحاسن فلقيه قريبا من بعقوبا فاوقع عن معه والتجأ الاعز الى القرية واختفى فلما رآى الاصبهبذ صباوه ذلك أرسل اليه يقول له انك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وأنت الصاحب الذي لا نخالف وان لم تجب الى هذا فبيننا غير السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فعرفه صباوه الذي أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وأرسل الاعز الى الامير ايلغازي بن أرتق وكان قد ورد في صحبته وفارقه نحو الراذان فحضر في الليل فانقطع حينئذ أمل صباوه منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب في عزل عميد الدولة وعزل في رمضان وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقي معزولا الى سادس عشر شوال فتوفي محبوسا في دار الخلافة ومولده في المحرم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا أنه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هي ذلك الرجل بكلامه

## ﴿ذكر ظهر المسلمين بالفرنج﴾

في ذي القعدة من هذه السنة لقي تمشتكين ابن الدانشمند طابلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان أباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بعد الفرنجي وهو من مقدمي الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه فورد عليه في جمعة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بعمد وأسر ثم وصل من البحر سبعة قاصصة من الفرنج وأرادوا تخليص بعمد فاتوا الى قلعة تسمى انكورية فاخذوها وقتلوا من بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن الدانشمند جمعا كثيرا ولقي الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وافلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند الى ملطية فملكها وأسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة زاد أمر الميارين بالجانب الغربي من بغداد في شعبان وعظم ضررهم فامر الخليفة كمال الدولة عين بتهذيب البلد فاخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا وفيها أيضا انحطت الاسعار بالعراق وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا في بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى فحمل في بعض الاوقات ستة أموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها في رجب سار بعمد الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة فامية فحصرها وقاتل أهلها اياما وافسد زروعها ثم رحل عنها وفيها في آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه فلما كان في ذلك اليوم لم يلبس درعا ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه منسوب على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جردة

---

ينبي وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوما فيوما لو كنت بخيلا ما أطاقت ذلك له

(وأخبرنا) أبو الحسن محمد ابن علي الفقيه الوراق الانطاكي بمدينة انطاكية قال أخبرني ابراهيم بن محمد الكاتب عن يحيى بن علي المنجم النديم قال كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب فاقبل بدر فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي يا يحيى من الذي يقول من الشعراء

في وجهه شافع يمحو اساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

فقالت يقوله الحكم بن مروة المازني فقال لله دره أنشدني هذا الشعر فانشدته

ويلي على من أطار النوم فامتنعا ورد قلبي على أوجاعه وجعا كأنما الشمس في أعطافه لمعت حسنا أو البدر من أزراره طلعا مستقبل بالذي يهوى وان كثرت منه الذنوب ومعذور بما صنعا

في وجهه شافع يمحو اساءته من القلوب وجيه حيثما شفعا

قال وأخذ قوله أو البدر من أزراره طلعا أحمد بن يحيى بن العراف الكوفي فقال

بدا وكأنما قمر * على أزراره طلعا

بحت المسك عن عرق الحبيبين بانه ولعا (وفي سنة) تسع وثمانين وأصله

وأصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد وفيها توفي أبو علي يحيى ابن خزلة الطبيب وكان نصرانيا فاسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها في شوال توفي عبد الرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم يخلف ما تكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم نفتضح قالت لانك ليس لك ما تكفن فيه فقال انما أفتضح اذا خلفت ما أكفن فيه وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد بن سيف الدولة صدقة بن مزيد

﴿ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك)﴾

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد وتنقله في البلاد الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان وأتى عسكر مكرم فاتاه الامير ان زنكي والبكر ابنا برسق وصارا معه وأقام بها شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الامير ايازوكان سبب ذلك ان أمير آخر قدمات مذ قريب فاتهم ايازمؤيد الملك بانه سقاه السم وقوى ذلك عنده ان وزير أمير آخر هرب عقيب موته فازداد ظن ايازباتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان ايازقد اتخذه أميرآخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله حين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوه الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون ألفا ومع أخيه السلطان محمد خمسة عشرة ألفا فالتقوا فاقتتلوا يومهم أجمع وكان النصر بعد النفير يستأمنون من عسكر محمد الى بركيارق فيحسن اليهم ومن العجب الدال على الظفر ان رجالة بركيارق احتاجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية احمال تراس ففرقت فيهم فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك اسره غلام لجد الملك البلاساني وأحضر عند السلطان بركيارق فسبه وأوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونسبته الى مذهب الباطنية أخرى ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده وألقى على الارض عدة أيام حتى سأل الامير ايازفي دفنه فاذن فيه فحمل الى تربة أبيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيئ السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل في اصلاح أمر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولا الى بغداد وهو أبو ابراهيم الاستراباذي لاخذ أموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو ابن خاله مؤيد الملك فاخذت منه الاموال والجواهر بعد مكروه أصابه وعذاب ناله وأخذ له ذخائر من مواضع أخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد وأربعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار الى الري فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

﴿(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر)﴾

ماقد اشتهر خبره وقد أتينا على ذكره فيما سلف وما كان من خروج المكتفي الى الرقة وأخذ القرامطة وذلك في سنة احدى وتسعين ومائتين وكذلك ما كان من ذكر رويه بن مبرويه ووقوعه بالحاج في سنة أربع وتسعين ومائتين الى أن قتل وأدخل الى مدينة السلام (قال المسعودي) وكان فداء الغدر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالامنين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ثم ان الروم قدروا بعد ذلك وكان فداء التمام بالامنين بين المسلمين على التمام في شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين والامير في النداء بن جميعا رستم وكان على الثغور الشامية فكان عدة من فدي به من المسلمين في فداء ابن طغان في سنة ثلاث وثمانين ومائتين على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفي نفس وأربعمائة وخمسا وتسعين نفسا من ذكر وأنثى وكان عدة من فدي به من المسلمين في الغدر ألفا ومائة وأربعا وخمسين نفسا وعدد من فودي به في فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا ومات المكتفي وقد خلف في بيوت الاموال ثمانية



آلاف ألف دينار ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ومن الدواب والبغال والحمارات

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى أخيه سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وراسل أخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير أميرين في نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسار منها الى دامغان فخربها العسكر الخراساني ومضى أهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الري فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم وكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وعكست من القلوب هيبتهم

## ﴿ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد﴾

لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام أخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة ألف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس واستأذن الامير اياز في أن يقصد داره بهمذان يصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لمثل ذلك وبقي في العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما لما بلغهما قلة من معه جدا في المسير اليه وطويا المنازل ليعاجلاه قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قاربا ه سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وأيس منه من كان يرجوه فقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان اياز قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة أعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا لما علموا أن اياز لم يحضر وللخوف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الامير اياز يسأل التوقف ليصل اليه وسبب ذلك ان اياز راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمصير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فاقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وسار واجميعهم الى بغداد وأخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه أجمل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهب اداره وصادر واجماعة من أصحابه وصودر رئيس همذان بمائة ألف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وأرسل الخليفة الى طريقه أمين الدولة بن موصلايا يلتقيه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف أبو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما ذكره ومعه أموال جليلة المقدار فاخذوها منه

لنديم وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل وفي ابنه علي ابن يحيى يقول أبو هفان لربيع الزمان في الحول وقت وابن يحيى في كل وقت ربيع رجل عنده المكارم سوق يشترى دهره ونحن نبيع قال وكانت وظيفة المكتفي بالله عشرة ألوان في كل يوم وجدي في كل جمعة وثلاث جامات حلوا وكان يرد عليه الحلوا ووكل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصي ما فضل من الخبز فما كان من المكسر عزله للثريد وما كان من الصحاح رد الى مائدته من الغد وكذلك كان يفعل بالنوادر والحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشماسية بازاء قطربل فأخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت في تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها فكثر الداعي عليه فلم يستتم ذلك البناء حتى توفي وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد في بناء المطامير (وكان وزيره) القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام سفاكا للدماء وكان الكبير والصغير على رعب منه لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه (وكانت) وفاته عشية الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين وله نيف وثلاثون سنة ﴿ذكر

فلا قدس الله تلك العظام
ولا بارك الله فى وارثه

(وكان) ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث اليه حتى أخذ برأسه وذلك فى أيام المكتفى وقد كان المعتضد يعزه ويميل اليه ميلا شديدا ولم يكن لعبد الواحد همة فى خلافة ولا سمو الى رياسة بل كان همته فى اللعب مع الاحداث وقد كان المكتفى أخبر عنه أنه أرسل عدة من غلمانه الخاصة فوكل به من يراعى خبره وما يظهر من قوله اذا أخذ الشراب منه فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابى حيث يقول

تلوم على ترك الغناء باهله
طوى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها السودان يمشين حلقة
مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك أنى نلت ما نال جعفر
من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين اغضنى
مغمضهما بالمرهفات البوارد
ذريني تجئني ميتتي مطمئنة
ولم أتجشم هول تلك الموارد
فان نفيسات الامور مشوبة
بمستودعات فى بطون الاساود
وان الذى يسمو الى درك العلا * ملقى بأسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب يا سيدى

## ﴿(ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)﴾

فى هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز أبا المحاسن الدهستانى وزير السلطان بركيارق أرسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك خزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينارا لسنين كثيرة فان أرسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك وأخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال أرسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير ايازبشير عليه بقصد خدمة السلطان ويضمن له كل ما يريده فقال لا أحضر ولا أطيع السلطان الا اذا سلم وزيره أبا المحاسن الى وان لم يفعل فلا يتصور منى الحضور عنده أبدا ويكون فى ذلك ما يكون فان سلمه الى فانا العبد المخلص فى العبودية بالحسن والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

## ﴿(ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها)﴾

فى هذه السنة فى السابع والعشرين من ذى الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازى ابن ارتق فى عساكره وخدمه وأحسن فى الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه خواصه بكرة وعشيا فماج أصحابه وخافوا واضطربوا وحاروا وعبروا به فى محفة الى الجانب الغربى فنزلوا بالرملة ولم يبق فى بركيارق غير روح يتردد وتيقن أصحابه موته وتشاوروا فى كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم انى أجد نفسى قد قويت وحركتى قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فترامى الجمعان بينهما مدة جملة وجرى بينهما مراماة وسباب وكان اكثر ما يسبهم عسكر محمد يا باطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد فى طريقهم الى ان وصلوا الى واسط ووصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك أبا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه فى المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

## ﴿(ذكر حال قاضى جبلة)﴾

هو أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضى بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك أبى الحسن على بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته فى الحكم فيها فلما توفى منصور قام ابنه أبو محمد مقامه وأحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة فى ركبته وبقى أثرها وبقى أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج امنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق

قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فاظهر ان المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا فقرر مع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما أتتهم الرسالة جهز وا نحو ثلثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون فى الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من أبراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب فى السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فاتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطيل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فأرسل الى طغتكين اتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله وأهله فأجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بورى فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وسأله ان يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما صار بدمشق أرسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الى ابن صليحة عربانا وخذ ماله أجمع وأنا أعطيك ثلثمائة ألف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار أقام بها أياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل أحضره الوزير الاعز أبو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بما ليس عنده ونريد منك ثلاثين ألف دينار وتكون لك منة عظيمة تستحق بها المكافأة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيأ وقال ان رحلى ومالى فى الانبار بالدار التى نزلتها فأرسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التى لا يوجد مثلها شئ كثير * كان ينبغى ان نذكر هذه الحوادث التى بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم فى شعبان وانما قدمناها لنتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شئ واما تاج الملوك بورى فانه لما ملك جبلة وتمكن منها اساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها وفعلوا بهم أفعالا أنكروها فراسلوا القاضى فخر الملك أبا على عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض أصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا بأهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة وأخذوا تاج الملوك أسيرا وحملوه الى طرابلس فأكرمه ابن عمار وأحسن اليه وسيره الى أبيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة

## (ذكر قتل الباطنية)

فى هذه السنة فى شعبان أمر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قد عمموا قراطقة ونحن نبتدئ بأول أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم فأول ما عرف من أحوالهم أعنى هذه الدعوة الاخيرة التى اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية فى أيام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد فى ساوة فقطن بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فأطلقهم فهذا أول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من أهل ساوة كان مقيما بأصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو أول قتيل لهم

أين أنت عما تمثل به يزيد بن المهلب تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى مثل أن أتقدما فقال له عبد الواحد مه لقد أخطأت الغرض وأخطأ ابن المهلب وأخطأ قائل هذا البيت وأصاب أبو فرعون التميمى حيث يقول قال النديم حيث يقول ماذا قال قال وما بى شئ فى الوغى غير أننى أخاف على مجراى أن يتحطما ولو كنت مبتاعا من السوق مثلها لدى الدرع ما بالبيت أن أتقدما فلما انتهى ذلك الى المكتفى ضحك وقال قد قلت للقاسم ليس عمى عبد الواحد ممن تسمو همته الى هذا قول من ليس له همة غير فرجه وجوفه وأمر ديعانقه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها أطلقوا لعمى كذا وكذا فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله (وقد كان) المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش القاسم من قبره وضربه بالسوط وحرقه بالنار وقد قيل غير ذلك والله أعلم (ومن أهلك) القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم فى خشكانجه على بن العباس بن سريج الرومى وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها وكان من مختلق معانى الشعراء والمجودين فى القصير والطويل متصرفا فى المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر ومن محكم شعره وجيده قوله

وأول

وأول دم أراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فأمر بأخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجروا برجله فى الاسواق فهو أول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظى منه ثم قصد البصرة فولى القضاء بها ثم توجه فى رسالة الى كرمان فقتله العامة فى الفتنة التى جرت وذكروا انه باطنى ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهى أول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به وأول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان متقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده ووفوا به فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل أهل القفل أجمعين ولم يفلت منهم غير رجل ترك مانى فوصل الى قاين فأخبر بالقصة فتسارع أهلها مع القاضى الكرمانى الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويت أطماعهم وكان سبب قوتهم بأصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر أصبهان وبها أخوه محمود وأمه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين فى المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلموا هذا بحلق كثير وزاد الامر حتى ان الانسان كان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعرامية فحذر الناس وصاروا لا ينفرد أحد وأخذوا فى بعض الايام مؤذنا أخذه جار له باطنى فقام أهله للنياحة عليه فأصعده الباطنية الى سطح داره وأراه أهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر يتكلم خوفا منهم

## ﴿(ذكر ما فعل بهم العامة بأصبهان)﴾

لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبهان أذن الله تعالى فى هتك أستارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التى هم فيها وانهم اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه وألقوه فى بئر فى الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يسأله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الفقيه الشافعى وجمع الجم الغفير بالاسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون فى النار وجعلوا انسانا على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقا كثيرا

## ﴿(ذكر قلاعهم التى استولوا عليها ببلاد العجم)﴾

واستولوا على عدة حصون منها قلعة أصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد أتاه رجل من مقدمى الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومى معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومى لو أن عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فأمر ببنائه القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت أيام السلطان ملكشاه وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمى اسمه زيار فمات وصار بالقلعة انسان خوزى فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقى معه

(ومن قوله) العجيب الذى ذهب فيه الى معانى فلاسفة اليونانيين ومن مهر من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد

لما تؤذن الدنيا به من زوالها
يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
والا فما يبكيه منها وانها
لافسح مما كان فيه وأوسع
ومما دق فيه وأحسن

وذهب الى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدليين وطريقة حذاق المتقدمين قوله

غموض الشئ حين تذب عنه
يقلل ناصر الخصم المحق
تضيق عقول مسمعيه عنه
فيقضى للمجل على المدق

(ومما أجاد) فيه فى وصف القناعة قوله

اذا ما شئت أن تعلم
يوما كذب الشهوه
فكل ما شئت يصدرك
عن المرة والحلوه
وطأ ما شئت يحصنك
عن الحسناء والدرة
وكم أنسالك ما تهوا
من نيل الشئ لم تهوه

وقوله

يا أبى حسن وجهك اليوسفى
يا كنى الهوى وفوق الكنى
فيه ورد ونرجس وعبير
اجتماع الشتوى والصيفى

وقوله فى العنب الرازقى

ورازقى مخطف الخصور
كأنه مخازن البلور
ألين فى المس من الحرير
لو أنه يبقى على الدهور
لقرطوه للحسان الحور

(ولابن الرومى) أخبار حسان مع القاسمين

و وثق به وقلده الامور فلما توفي الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب و يشير بها كافر لا بد وان يكون خاتمة أمرها الشر ومنها الموت وهي من نواحي قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه فسماها آله موت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب و يقال لذلك الموضع ومايجاوره طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحي في ضمان شرمشاه الجعفري وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بلد وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الري انسان يقال له ابو مسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه وأعطاه مالا وأمره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وماوراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة ألموت واختبر أهل تلك النواحي أقام عندهم وطمع في اغوائهم ودعاهم في السر وأظهر الزهد ولبس المسح فتبعه أكثرهم والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوي بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوي وظنه يمزح فامر ابن الصباح بعض أصحابه باخراج العلوي فاخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة ألموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذلك ان شاء الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم وأراد أخذ المنور بغير حق فحمل ذلك المنور على ان التجأ الى الاسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسمكوه ملكوها وهي بقرب ابهر سنة أربع وثمانين وتأذى بهم الناس لاسيما أهل ابهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فخوسرت ثمانية أشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم * ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولي سقاو والجعل بها انسانا تركيا فصادقه نجار باطني واهدى له هدية جميلة ولزمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء في جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فانه هرب وقوي ابن عطاش بها وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل

الاغلب عليه من الاخلاط السوداء وكان شرهانهما وله أخبار تدل على ماذكرناه من هذه الجمل مع أبي سهل اسمعيل بن علي النوبختي وغيره من آل نوبخت

(وفي سنة) تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة

(وفي سنة) احدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ليلة السبت لثمان بقين من جمادى الاولى ودفن في مقابر الشأم في حجرة اشتريت له وخلف احدى وعشرين ألف درهم وألفي دينار وغلة بشارع باب الشأم قيمتها ثلاثة آلاف دينار ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حداثته الى أن كبر وصار اماما في صناعته ولم يخلف وارثا الا ابنة لابنه فردّ ماله عليها وكان هو وأحمد ابن المبرد عالمين قد ختم بهما خاتم الادباء وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين

أيا طالب العلم لا تجهل
وعذ بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الورى
وانك كالجمل الاجرب

علوم الخلائق مقرونة
بهذين في الشرق والمغرب

(وكان) محمد بن يزيد المبرد يحب أن يجتمع في المناظرة مع أحمد بن يحيى و يستكثر

ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها فقتل وأخذت منه ومنها أردهن وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصباح * ومنها كردكوه وهي مشهورة * ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الاسكاف وهو من أهل أرجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتي سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الامير أنز فجعل بها دزدارا فانفذ اليه الباطنية الذين بأرجان يطلبون منه بيعها فابى فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فاجابهم الى ذلك فارسلوا اليه انسانا دينيا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطني فاجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم القلعة اليهم ثم أطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه أشهرها

## ﴿ ذكر ما فعله جاولي سقاو وأبا الباطنية ﴾

في هذه السنة قتل جاولي سقاو واخلفا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واقف جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا انهم معهم وعلى رأيهم فاقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم أظهر جاولي ان الامر امر ابني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وانه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير الى همذان فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من اصحابه لهم الرأي أن نخرج الى طريقه ونأخذه وما معه من الاموال فساروا اليه في ثلثمائة من أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولي ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك

## ﴿ ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك غيره ﴾

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك هو الذي قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما نسبوا الى أمير اسمه اسمعيل وكانوا من أهل السنة قتل منهم ألفي رجل صبرا وقطع أيدي ألفين ونفق عليه انسان يقال له أبو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفي يقال له أحمد بن الحسين البلخي كان مطاعا في الناس فاحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه بن قتله فلما أصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه أيها الملك من قتل هذا الفقيه فقال أنت شحنة البلد تسألني من قتله فقال أنا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه في ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فأرسل في أثره ألفي فارس ليردوه ففاتتهم وهزمهم وصار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال أنت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقالوا لتيرانشاه وأخرجوه عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضي والجند وأقاموا أرسلان شاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه أهلها ومنعوه منها وأخذوا ما معه من أموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها أمير يعرف بمحمد بهستون فارسل أرسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عني فلست أرى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك عندي يؤذيني وأنهم بك في

صديقهما قال قلت لابي عبد الله الدينوري ختن ثعلب لم يأبى أحمد بن يحيى الاجتماع مع المبرد فقال لي أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة حلو الاشارة فصيح اللسان ظاهر البيان وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين فاذا اجتمعا في محفل حكم لهذا على الظاهر الى أن يعرف الباطن (وأخبرنا) أبو بكر القاسم بن بشار الانباري النحوي أن أبا علي الدينوري هذا كان يختلف الى أبي العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر وكان ثعلب يعذله على ذلك فلم يكن ذلك يردعه وقيل ان وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت في سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) مات محمد بن محمد الجدوعي القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان به من التعزز في الاوسط (وفي سنة) اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبي حازم عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة (وفي هذه السنة) تغلب ابن الخليجي في سنة آلاف وتسعين بصر وأبوه على مصر (وفيها) وقع الحريق العظيم

وأدخل الى بغداد وقد أشهر وقد امه أربعة وعشرون انسانا من أصحابه منهم العراجي الخادم الاسود وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة (وفي سنة) أربع وتسعين ومائتين مات موسى ابن هرون بن عبد الله بن مروان البزار المحدث المعروف بالجمال في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ببغداد ويكنى أبا عمران وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن في مقابر باب حرب الى جانب أحمد بن حنبل وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكر وفاة هؤلاء الشيوخ اذ كان الناس في أغراضهم مختلفين وفي طلبهم الفوائد متباينين وربما قد يقف على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة هؤلاء الشيوخ (وكانت) وفاة أبي مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث في المحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين (وقبض) أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في سن أبي مسلم على ماذكرنا من تنازع الناس في تاريخ وفاته وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد نالته صمم وزاد عليه قبل ورماها

دين فلما عزم على الخروج أرسل محمد بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسيره اليه انشاه فجرد عسكرا الى طريقه فخرجوا عليه وأخذوه ومامعه وأخذوا أيضا أبا زرعة فارسل أرسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

## ﴿(ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية)﴾

لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان أكثر من قتلوا من هو في طاعة محمد مخالف للسلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين وصهره وغيرهم نسب أعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم في العسكر واستغووا كثيرا منهم وادخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فاذن لهم في ذلك وأشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافي أمرهم وأعلموه ما يتهمه الناس به من الميل الى مذهبهم حتى ان عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فاذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد ابن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا موضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد وأخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كبير فباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها الثلاثي التي منه وجعل بيعة في البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على أبي ابراهيم الاسداباذي الذي كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من أعيانهم ورؤسهم فأخذ وحبس فلما أرادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتموني أتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد وألقي خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهى حالهم الى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بأمر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الذي يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم وانهم أيضا الكيا الهراس المدرس بالنظامية بانه باطني ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فأطلق

## ﴿(ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس)﴾

في هذه السنة جمع الامير برغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها

ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك ثم عاودهم برغش سنة سبع وتسعين فكان ما ذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر ما ملك الفرنج من الشام ﴾

وفيها سار كندفرى ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكا بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قص من الفرنج اسمه طنكرى فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين الى البيت المقدس فى خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه فى عسكره ومعه الامير جناح الدولة فى جموعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لان أكثرهم أرمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه فى ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهى بالقرب من عكا على ساحل البحر وملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان وأخرجوا أهلها منها وفيها فى رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وأمر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجر به عادة واغا ترك الجهر بالبسملة فى جوامع بغداد لان العلويين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب أحمد الامام وأمر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعى فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم فى جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير أخو عميد الدولة قد أطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة فى السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وأنزله وأكرمه وفيها فى المحرم توفى جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء بن المسلمة وهو استاذدار الخليفة وفيه توفى القاضى أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعى وأخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ أبى نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضى أبى الطيب الطبرى وغيره وفيه توفى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمى باصبهان وكان مستوفيا فى ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة ألف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر أبى حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو جميعها للحنفيين وفيها فى صفر توفى القاضى أبو المعالى عزيزى وكان شافعيا الشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ورعا وله مع أهل باب الازج أخبار طريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفى اسعد بن مسعود بن على بن محمد أبو ابراهيم العتبى من ولد عتبة بن غروان نيسابورى ولد سنة أربع وأربعمائة وروى عن أبى بكر الحيرى وغيره وتوفى فى صفر محمد بن أحمد بن عبد الباقى ابن الحسن بن محمد بن طوق أبو الفضائل الربعى الموصلى الفقيه الشافعى تفقه على أبى اسحق

المكتفى فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز واحكام العمل فقال هل وصفت الشعراء هذا فقال له يحيى بن على نعم قال أحمد بن يحيى فيها

قطائف قد حشيت باللوز والسكر المازى حشو اللوز تسبح فى أزى دهن الجوز سررت لما وقعت فى حوزى

سرور عباس بقرب فوز

قال وانشدت لابن الرومى وأتت قطائف بعد ذاك لطائف

فقال هذا يقتضى ابتداء فأنشدنى الشعر من أوله فأنشدته لابن الرومى

وخبيصة صفراء دينارية ثمنا ولو نازفها لك جوذر عظمت فكادت أن تكون أوزة

وثوت فكاد اهابها يتفطر طفقت تجود بوابلها جوزابه فاد الباب اللوز فيها السكر

نعم السماء هناك ظل صيبها يهمى ونعم الارض ظلت تمطر

يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدامها بصهيرها تتغرغر

ظلنا نقشر جلدها عن لحمها وكأن تبرا عن لجين يقشر

وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلهن يصدر

ومرققات كالهن مزخرف

الشيرازي وسمع الحديث من أبي الطيب الطبري وغيره وكان ثقة صالحا وتوفي في ربيع الاول منها محمد بن علي بن عبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان أبو نصر القاضي الموصلي وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلموا فيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمي والغالب على حديثه المناكير وتوفي فيها في ربيع الاول نصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر القاري أبو الخطاب ومولده سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

﴿ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر باحكام الله)﴾

في هذه السنة توفي المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن معد المستنصر بالله العلوي الخليفة المصري لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريب من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفي ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين وأربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه وله خمس سنين وشهر وأربعة أيام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر أكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن أمير الجيوش أحسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

﴿(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما)﴾

في هذه السنة في صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد وقد ذكرنا سنة أربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو وأخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار أن بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه في حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة وأعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة أمير المؤمنين فاني أقوم في هذا القيام المرضي وسار عائدا ورتب ببغداد أبا المعالي المفضل بن عبد الرزاق في جباية الاموال وايالغازي شحنة وكان لما دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة أربع وتسعين أنه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا منه وأخذوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هناك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل في محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد أو الامير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جاز واقنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفي بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي فلم يجد هناك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان أهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضي أبو علي الفارقي الى العسكر واجتمع

اكتبها له فكتبتها له (قال محمد) بن يحيى الصولي وأكلنا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر فجاءت لوز بنجة فقال هل وصف ابن الرومي اللوز بنج فقلت نعم فقال أنشدنيه فانشدته لا يخطئني منك لوز بنج

اذا بدا العجب أو أعجبا
لم تغلق الشهوة أبوابها
الا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب في صحنه
لسهل الطيب له مذهبا
يدور بالنفحة في جامه
دور اتري الدهر له لوابا
عاون فيه منظر مخبرا
مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن في شدوه
ثم فاضحى مغربا مطربا
مستكنف الحشو ولكنه
أرق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه
من أعين القطر الذي طنبا
تخال في رقة خرسانه
شارك في الاصحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه
ثغر الكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء بود الفتى
أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة أرقاه مدفونة
شهباء تحكي الاورق الاشهبا
دين له اللوز فلا مرة
مرت على الذائق الا أبا
وانتقد السكر نقاده
وشارفوا في نقده المذهبا
فلا اذا العين رأتها انبت * ولا اذا الطرس علاها نبا فحفظها المكتفي فكان ينشدها (ومما استحسن) من شعر بالامير

بالامير اياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب انفاذ شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبر دوابنا فى الماء ونسبح معها فجمع لهم من شباب واسط وأعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا أموالهم ورحالهم فيها فلما صار وا فى الجانب الشرقى اطمأنوا وذهب العسكر البلد فرجع القاضى وجدد الخطاب فى الكف عنهم فأجيب الى ذلك فأرسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة السلطان فانهم قصروا أكثرهم عنده وسار وامعه الى بلاد بنى برسق فحضروا أيضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين فى العدة كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا أول يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا فى اليوم الثانى ثم توافقوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجى وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل أمير اقطاعه

## ﴿ ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما ﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق وأخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمدا سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا فى ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوصل اليه باولئك الامراء ليحضر دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد أن امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبحمل فقتل الامير بحمل وهو من اكابر الامراء وكمل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين الحسامى قد فارق بركيارق وأقام مجاهد الباطنية الدين فى القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الرى يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر وأقام ثمانية أيام ووافاه أخوه السلطان بركيارق فى اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الرى وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمى صاحب آبة على الامير ينال فهزمه وتبعه فى الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل فى هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى فى نفر يسير الى اصبهان وحمل هو عليه بيده ليتبعه أصحابه وسار فى طلبه الامير البكى بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق أصحاب أخيه محمد وأخذ أموالهم

## ﴿ ذكر حصار السلطان محمد باصبهان ﴾

سعدى وغيبتها من ناظرى نحسى

وللمكتفى أيضا

بلغ النفس ما اشتهت
فاذا هى قد اشتفت
انما العيش ساعة
أنت فيها وما انقضت
كل من يعذل المحب
اذا ما هد اسكت

وله أيضا

من لى بان تعلم ما ألقى
فتعرف الصبوة والعشقا
مازال لى عبدا وحبى له
صيرنى عبد الله رقا
أعتق من رق ولكننى
من حبه لا أملك العتقا

(وأخبرنا) أبو عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه قال أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون قال تذاكرنا يوما بحضرة المكتفى فقال فيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيأ فانشدته قول ابن الرومى

اذا أخذت حبه ودبسه
ثم أخذت ضربه ومرسه
ثم أطلت فى الاناء حبسه
شربت منه البابلى نفسه

فقال المكتفى قبحه الله ما أشره له لقد شوقنى فى هذا اليوم الى شرب الدوشابى وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة وقد جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج فضحكت وخطر ببالى خبر الرشيد مع أبان القارى فلحظنى المكتفى وقال يا أبا عبد الله ما هذا الضحك فقلت خبرا ذكرته

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان في سبعين فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وأمر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع وعشرين وأربعمائة عند خوفه من طغرلبك وأمر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل أمير باباً وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير أخيه محمد الى اصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر ألف فارس ومعها مائة ألف من الحواشي وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار أخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعدمت الاقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من أعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على أهل البلد شيأ آخر وأخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار وأربعة أرطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبن بدينار بعد دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر ذي الحجة فلما رأى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما جاء أمره يضعف قوي عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود يدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد في مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء الكبار في باقي العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يمكن في دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف في الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير ايازا في عسكر كثير وأمره بالجد في السير في طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل أدركوه فارسل الى الامير ايازا يقول أنت تعلم ان لي في رقبتك عهودا وأيمانا ما نقضت ولم يكن مني اليك ما تبالغ في اذاي فعاد عنه وأرسل له خيلا وأخذ علمه والجتر وثلاثة أحمال دنانير وعاد الى بركيارق فدخل عليه واعلام أخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد أساء فلا ينبغي ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه فلما فارق محمد اصبهان اجتمع من المفسدين والسوادية ومن يريد النهب ما يزيد على مائة ألف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد حمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذي الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذي يقال له شهرستان ترشك الصوابي في ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من أعجب ما سطر ان سلطانا محصورا قد تقطعت مواده وهو يخطب له في أكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد ويجمع من العساكر الكثيرة التي كلها قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

## ﴿ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبي منصور﴾

في هذه السنة ثاني عشر صفر قتل الوزير الاعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني وزير السلطان بركيارق على أصبهان وكان مع بركيارق محاصرا لها فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاء شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبي سعيد الحداد وكان الوزير قد في

في الهريسة يا أمير المؤمنين والمدايني أن أبان القاري تغدى مع الرشيد فجاؤا بهريسة عجيبة في وسطها مثل السكرجة الضخمة على هذا المثال من دهن الدجاج قال أبان فاشتهيت من ذلك الدسم وأجلت الرشيد من أن أمد يدي فانمس فيه قال فنفخت باصبعي فيه فتحا يسيرا فانقلب الدسم نحوي فقال الرشيد يا أبان أخرقتها لتغرق أهلها فقال أبان لا يا أمير المؤمنين ولكن سقناه لبلد ميت فضحك الرشيد حتى أمسك صدره (وفي سنة) خمس وتسعين ومائتين وردت الى مدينة السلام هدية زيادة الله بن عبد الله ويكنى أبا مضر وكانت الهدية مائتي خادم أسود وأبيض ومائة وخمسين جارية ومائة من الخيل العربية وغير ذلك من اللطائف وقد كان الرشيد في سنة أربع وثمانين ومائة وذلك بالرقة قلد ابراهيم بن الاغلب أمر افريقية من أرض المغرب فلم يزل آل الاغلب أمراء افريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا في سنة ست وتسعين ومائتين وقيل في سنة خمس وتسعين ومائتين أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ظهر في كتامة وغيرها من البربر فدعا الى عبد الله صاحب المغرب وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للاغلب بن سالم السعدي العام

العام الماضي فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق أصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح أقربهم منه جراحات أثخنته وعاد الى الوزير فتركه بآخر رمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل في الوزارة وقد تغيرت القرانين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير * حكي ان بعض التجار باعه متاعا بالف دينار فقال له خذ بها حنطة من الزاذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من أخذها وقال لا أريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان فقال وما هو قال خبر حنطتك فقال مالي حنطة ولا أريدها قال بلى وقد بعت كل كر بخمسين دينارا فقال أنا لم أتقبل بها فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت وأخذت ثمن الحنطة ألفين وخمسمائة دينار وأضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد تفنق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائي فكان بعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض أصحابه وقد أحاله عليه بكر حنطة فاستراده لو كان صادقا في عمله لما كان يستزيد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شيء ولما قتل الاعز أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو المنصور الميبذي الذي كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من أبوابها ليحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالري لتقصد هذا وقلت أنا أقيم بالعسكر من مالي وأحصل لهم ما يقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير أنا أفعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذي كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ وأقام بقلعتها محصنا فارسل اليه السلطان بركيارق وحصره فنزل منها مستأمنا فحمل على بغل بالكاف الى العسكر فوصله في طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

﴿ حادثة يعتبر بها ﴾

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة أربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته وأخذ الجميع وحمل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت أمواله وأخذ السلطان ومن ولي بعده أكثرها وتفرقت أيدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

﴿ ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد ﴾

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل أتى جماعة من أصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبرهم فتأخر فرماه أحدهم بنشابة فوقعت في مشعره فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذوه ورجمهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى أبيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بمربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا أكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبروا دجلة فلما توسطوها ألقى الملاحون أنفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق أكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان وأراد نهب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة فاشهدهما على قضيته بالعهد الى أخيه جعفر وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع (قال المسعودي) وللمكتفي بالله أخبار حسان وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن الحلبي بمصر وأمر القرمطي بالشام وأمر دكرويه وخروجه على الحاج وغير ذلك مما كان في خلافته قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط فاغنى ذلك عن اعادة ذكره

﴿ ذكر خلافة المقتدر بالله ﴾

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي بالله وكان يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ويكنى أبا الفضل وأمه أم ولد يقال لها شغب وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال لها ظلوم وقيل غير ذلك وكان له يوم بويع ثلاث عشرة سنة وقتل ببغداد بعد صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة فكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة عشر يوما وبلغ من السن ثمانيا وثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقد قيل في مقدار عمره غير ما ذكرنا والله أعلم

والكيا الهراس المدرس بالنظامية فنعاه من ذلك فامتنع

﴿ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها﴾

في هذه السنة في العشرين من شوّال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدئ بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل بن سلار نجق وكان اليه في أيام ملكشاه شحنكية الري وما والاها كان أهل الري والرستاقية قد أعيوا من وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فهذبوا بها وأرسل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه مقاود وشكالا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق أقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة بن أبي الجبر من البطيحة اليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فبيناهما معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها يتال بمطارا وجددها اسمعيل وأحكمها أتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن أبي الجبر الى البطيحة وأخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين فاستمد ابن أبي الجبر كوهرائين فامده بابي الحسن الهروي وعباس بن أبي الجبر فلقياه فكسرهما وأسرهما وأطلق عباسا على مال أرسله أبوه واصطلحا وأما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار فلم يصح له منها شيء وقوي حال اسمعيل فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار مخوف الجانب وأمن البصريون به وأسقط شيأ من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك المشان واستضافها الى ما بيده فلما كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوي طمعه في واسط فاصعد في السفن الى نهرابان وراسلهم في التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقدرأينا غير ذلك الرأي فاصعد الى الجانب الشرقي فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه أقبح شتم فلما أيس منهم عاد الى البصرة وسار وبازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من أصحابه فوق البلد وهو يظن البلد خاليا وان الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق في البلد فاذا رجع الاتراك عاد هو من وراثهم فكان ظنه خائبا لان العامة كانوا على الدجلة أولهم في البلد وآخرهم مع الاتراك بازائه فلما عبر أصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا وأسروا وخلقا كثيرا وألقى الباقون أنفسهم في الماء فاتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وصار أعيان أصحابه مأسورين وعاد الى البصرة وكان عوده من سعادته فانه كان قد قصد الامير أبو سعد محمد بن مضر بن محمود البصرة ذلك الوقت وله أعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بني نفيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسمعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه زنجويه والثالث بابي الفضل الابلي فاطمعوه في ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة في البحر الى هذا أبي سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم أبو سعد الحال أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك في السنة الخالية فاقاموا بها محاربين وظفروا بطائفة من أصحاب اسمعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا بني برسق بخوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على أخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى الصلح على ان يسلم اليهم اسمعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم

﴿ذكر جمل من أخباره الى أن وثب الحسين بن حمدان ووصيف بن سوارتكين وغيرهما من الاولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكامعه وذلك في يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد اتضح في الناس واشتهر وأتينا على ذكره في الكتاب الاوسط وغيره من أخبار المقتدر وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من الخلفاء ومفردة وعمل ذلك في أخبار بغداد وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشاري أخبار المقتدر في ألوف من الاوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة (وأخبرني) غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة وانما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا وانما الغرض جوامع من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه (وكان) عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الاقتراح للمعاني فمن ذلك قوله

يقول العاذلون تعزعنها * وأطف لهيب قلبك بالسلو مواضع

مواضع ذكروها من أعمال البصرة فلما رجعوا لم يفعل شيأ من ذلك وأخذ مركبين لقوم من أصحاب أبي سعد فحمله ذلك على ان سار بنفسه في قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج عسكر اسمعيل في عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البحريون في نحو عشرة آلاف واسمعيل في سبعمائة واصعد البحريون في دجلة فاحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه في مواضع أخر فلما ضعف اسمعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى في الصلح فارسل اليه في ذلك فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسمعيل مرة بعد أخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد أبو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

## ﴿ ذكر وقاه كربوقا وملك موسى التركماني الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن ﴾

في هذه السنة في ذي القعدة توفي قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق قد أرسله في العام الماضي الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على أكثرها وأتى الى خوى فمرض بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صياوة بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه وأمره الاتراك بطاعته وأخذله على عسكره العهود وملك على أربعة فراسخ من خوى ولف في زاية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه وأكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها ثلاثة أيام وكان أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركماني وهو بحصن كيفا ينوب عن كربوقا فيها وسألوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة له فخرج ليستقبله في أهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة فتسايرا فقال سنقرجه لموسى في جملة حديثه انما مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا المخدة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودست الامر في هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولي من يختار وجرى بينهما محاورات فجذب سنقرجه سيفه وضربه صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذي كان أبوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فاباده ودخل موسى البلد وخلع على أصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو يومئذ بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا فوثب عليه عدة من الغلمان القواسية فقتلوه ورماه أحدهم بنشابة فقتله فعاد أصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهي بيد أولاده الى يومنا هذا سنة عشر بن وستمائة وصاحبها حينئذ غازي بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها أياما ثم تسلمها صلحا وأحسن السيرة فيها وأخذ القواسية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الحابور

من فعله تعتذر

(وقوله)

تولى الجهل وانقطع العتاب
وولاح الشيب وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي
فكيف تحبني الخود الكعاب

(وقوله)

عجبا للزمان من حالتيه
وبلاء دفعت منه اليه
رب يوم بكيت فيه فلما
صرت في غيره بكيت عليه

وقوله في أبي الحسن علي ابن محمد بن الفرات الوزير

أبا الحسن ثبت في الارض وطأتي
وأدركتني في المعضلات الهزاهز
وألبستني درعا على حصينة
فنادبت صرف الدهر هل من مبارز

(وقوله)

ومن أيام الفتى بذل وجهه
الى غير من خفت عليه الصنائع
متى يدرك الاحسان من لم تكن له
الى طلب الاحسان نفس تنازع

(وقوله)

فان شئت غادتني السقاة بكأسها
وقد فتح الاصباح في ليلة فا

نخلت الدجا والنجم قد مد خيطه * رداء موشى بالكواكب معلما (وقوله) وأبكي اذا ما غاب نجم كأنني * فقدت صديقا أو رزئت حميما

وملك العرب والاكراد فاطاعوه

﴿(ذكر حال صخيل الفرنجى وما كان منه فى حصار طرابلس)﴾

كان صخيل الفرنجى لعنه الله قد لقى قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكان صخيل فى مائة ألف مقاتل وكان قلج ارسلان فى عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير وأسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذى لم يحسبه ومضى صخيل مهزوما فى ثلاثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص قالى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صخيل اذ هو فى هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق ألفى مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صخيل هنالك فاخرج مائة من عسكره الى أهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقى هو فى خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة ولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق وأما أهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صخيل حمل فى المائتين الباقية فكسروا أهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صخيل طرابلس وحصرها واتاه أهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصارى فقاتل من بها أشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهى من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه أهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه فبذل صخيل فى فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

﴿(ذكر ما فعله الفرنج)﴾

فى هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجى صاحب انطاكية وكان قد أسره وقد تقدم ذكر ذلك وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغى سيان الذى كان صاحب انطاكية وكانت فى أسره ولما خلص بيمند من أسره عاد الى انطاكيه فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى أرسل الى أهل العواصم وقنسرين وماجاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ماطمس المعالم التى بناها الدانشمند وفيها سار صخيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صخيل حمص من الغد ونازلها وحصر أهلها وملك اعمالها ونزل القمص على عكة فى جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له فى البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل وأتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فاحرقوها واحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا أذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجى صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها وأطال المقام عليها فلم يرفيها طمعا فرحل عنها وفيها فى رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم فى سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى فى اجمة قصب فاحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر فى اصحابه

(قال) وكانت وفاة أبى بكر محمد بن داود بن على بن خلف الاصبهانى (ذكر)

لآل سليمان بن وهب صنائع
الى معروف لدى تقدما
هم علموا الايام كيف بنوتى
وهم غسلوا من ثوب والدى الدما

وقوله عند وفاة المعتصم بالله
قضوا ما قضوا من حقه ثم قدموا
اماما يؤم الخلق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم
صفوف قيام للسلام عليه

وقوله فى فصاده المعتضد بالله
بادما سال من ذراع الامام
أنت أذكى من عنبر ومدام
قد ظننا لك اذ جريت الى الطشـ
ـت دموعا من مقلتى مستهام
اغا غرق الطبيب شبا المبـ
ـضع فى نفس مهجة الاسلام

(وقوله)

اصبر على حسد الحسو
دفان صبرك يقتله
فالنار تأكل نفسها
ان لم تجد ما تأكله

(وقوله)

يطوف بالراح بيننا بشر
محكم فى القلوب والمقل
يكاد لحظ العيون حين بدا
يسفك من خده دم الخجل

(وقوله)

رشأ يتيه بحسن صورته
عبث الفتور بلحظ مقلته
وكأن عقرب صدغه وقفت
لما دنت من نار وجنته

(وقوله)

اذا اجتنى وردة من خده فقه
تكونت تحتها أخرى من الخجل

﴿ (ذكر عود قلعة خفتيذ كان الى سرخاب بن بدر) ﴾

فى هذه السنة عادت قلعة خفتيذ كان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب أخذها منه ان القرابلى وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد أتى الى بلد سرخاب فمنعه من المراعى وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلى الى التركمان واستجاش بهم وجاء فى عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلى من أصحاب الاكراد قريبا من ألفى رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله فى عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذ كان ذلك وكانا رجلين حسدتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها يزيد على ألفى ألف دينار فملكاها واجتازا بها السلطان بركيارق فانفذا اليه مائتى ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وأرسل الى سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فامنه على نفسه وعلى ما حصل بيده من أموالها فسلمها اليه ووفى له

﴿ (ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند) ﴾

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الارض قيل كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان أمير من أمراء سنجر اسمه كندغدى قد كاتب قدرخان بالاخبار وأعلمه مرض سنجر بعد عوده الى بلاده وانه قد أشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وأشار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وانه متى أسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان وأقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفى فبادر وسار نحوه قاصدا قتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدى المذكور وهو لا يهمه بشئ مما فعل فوصل الى بلخ فى ستة آلاف فارس فبقى بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيام فهرب كندغدى الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث للكندغدى على ما فعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران أرسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله وأذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنده شئ من خبره فاتاه من أخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا وأسر كندغدى وقدرخان وأحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا أولم تخدمنا فاجزاؤك الا السيف ثم أمر به فقتل فلما سمع كندغدى الخبر نجا بنفسه ونزل فى قناة ومشى فيها فرسخين تحت الارض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق أصحابه الى مخرجها وسار منها فى ثلثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكر كثيرة والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فيهم فانهزم قدرخان وعسكره وحمل أسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدى فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فاقره سنجر بعمارقه بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها اكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق ان

وأشفى على أغراض المطالب
وكان عالما بالفقه منفردا
وواحدا فيه فريدا وألف
فى عنفوان صباه وقبل
كماله وانتهائه الكتاب
المعروف بالزهرة ثم تناهت
فكرته ونسقت قوته فصنف
الفقهيات ككتابه فى
الوصول الى معرفة الاصول
وكتاب الانذار وكتاب
الاعذار والابحار وكتابه
المعروف بالانتصار على محمد
ابن جرير وعبد الله بن شرشى
وعيسى بن ابراهيم الضرير
(ومما قال) فيه فأحسن فى
عنفوان شبابه وأثبته فى
كتابه المترجم بالزهرة وعزاه
الى بعض أهل عصره وان
كان محسنا فى سائر كلامه
من منظومه ومنثوره قوله
على كبدى من خيفة البين لوعة
يكاد لها قلبى أسى يتصدع
يخاف وقوع البين والشمل
جامع
فيبكى بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع
كما هو محزون بما يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه
ولكن وشك البين أدهى
وأوجع

(وقوله)

تمنع من حبيبك بالوداع
الى وقت السرور بالاجتماع
فكم جربت من وصل وهجر
ومن حال ارتفاع وانضاع
فلم أر فى الذى لاقيت شيأ



وكم كأس أمرّ من المنايا * شربت فلم يضق عنها ذراعى

لا خير في عاشق يخفي صبابته
بالقول والشوق في زفراته بادي
يخفي هواه ومايخفى على أحد
حتى على العيس والركبان والحادي

(وفي سنة) ثلاث وثلثمائة في خلافة المقتدر بالله كانت وفاة علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام وكان شاعر السنا مطبوعا في الهجاء ولم يسلم منه وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير وله في هجاء أبيه واخوته وسائر أهل بيته فما قال في أبيه

بني أبو جعفر دارا فشيدها
ومثله لخيار الدور بناه
فالجوع داخلها والذل خارجها
وفي جوانبها بؤس وضراء

(وله فيه)

ما ينفع الدار من تشييد حائطها
وليس داخلها خبز ولا ماء

(وله فيه)

لك عمرت عمر عشرين نسرا
أترى أنني أموت وتبقى
فلئن عشت بعد يومك يوما
لأشقن جيب مالك شقا

(وله فيه)

رأى الجوع طبا فهو يحمى ويحتمى
فلست ترى في داره غير جائع
ويزعم أن الفقر في الجود والسخا
ن ليس حظ في اكتساب الصنائع لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها * ولم ير أن المرء رهن المجائع الاولى

صاحب غزنة عزم على قصد اوتان وهي جبال منيعة على أربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بها قلها وعورة مسالكها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدي منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم وأخذ غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيأ ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم ونفاقه عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انا لا نأمن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل في أمر الدولة مالا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن عن اقبض عليه فاني أخاف ان آمركم بالقبض عليه فيناله منه ما تفتضحون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية ويقبض عليه اذا سار اليها فولاه حصنين جرت عادته ان يسجن فيهما من يخاف جانبه فسار اليهما فلما قاربهما عرف ما يراد منه فاحرق جميع ماله ونحر جماله وسار جريدة وكان في مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها فانه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التي يريدها فدله فاخذه معه خوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هناك وهو من عمالك تتش ابن الب ارسلان الذي كحله اخوه ملكشاه وسجنه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

## ﴿ذكر ملك محمد خان سمرقند﴾

في هذه السنة أحضر السلطان سنجر محمدا ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من أولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شأنه وكثرت جموعه الا انه انتصب له أمير اسمه صاغوبك وزاحمه في الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج في بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ولما ملك محمد خان البلاد أحسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة ابي سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذي يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله أمين الدولة الديوان وجلس في داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفي ربيع الاول أيضا ورد العميد المهذب أبو المجد أخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن أخيه ظنا منه ان ايلغازي لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازي ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها في جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد ففعل فلما وصل الهاز وجه ايلغازي ابن ارتق ابنته وفيها في شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها في صفر قتل الربعيون بهيت قاضي البلد أبا علي بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدامغاني وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك الى التحامل عليهم فقتله أحدهم فندم الباقون على قتله وقد فات الامر وفيها بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربية وفي جمادى

الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش أمير بني عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا وفيها توفي القاضي البند نيجي الضرير الفقيه الشافعي انتقل الى مكة فجاور بها أربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفي أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبري باصبهان وكان يدرس فقه الشافعي بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من أصحاب أبي اسحق وفيها توفي الامير منظور بن عمارة الحسيني أمير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذي أنفذه محمد الملك البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس رضي الله عنهما وكان من أهل قم فلما قتل البلاساني قتله منظور بعد ان أمنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه بامانه

﴿ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة﴾

﴿(ذكر استيلاء ينال على الري وأخذها منه ووصوله الى بغداد)﴾

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ما ذكرناه ومعه ينال بن أنوشتكين الحسامي استأذنه في قصد الري واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو وأخوه علي بن أنوشتكين فوصلا اليها في صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وعسف أهله وصادرهم بمائتي ألف دينار وأقام بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري فانهزم ينال وأخوه على قاماه على فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من أصحابه كثير ونشتتوا فاتى الى بغداد في سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازي وسقمان ابنا أرتق بمشهد أبي حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحلف لهم أيضا على ذلك وعادوا

﴿(ذكر ما فعله ينال بالعراق)﴾

قد ذكرنا وصول ينال بن أنوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال أصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد أيضا الى ايلغازي وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فمضوا اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف أصحابه ومنعهم فحلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه ما يفعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالنجمي واجتمع هو وينال وايلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال يأخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده دبيسا ببغداد ليمنعه من الظلم والتعدي عما استقر الامر عليه فبقي ينال الى مستهل ذي القعدة وسار الى اوانا ونهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ في الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة في ذلك فارسل ألف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة وايلغازي شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه أهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن

أبا الصقر اسمعيل بن بلبل
والطائي أمير بغداد
وعبدون النصراني أخا
صاعد وأبا العباس بن
بسام وحامد بن العباس
وزير المقتدر بالله بعد ذلك
واسحق بن عمران أمير
الكوفة يومئذ

أيرجو الموفق نصر الاله
وأمر العباد الى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد
لعمر أبيك الى زانيه
فان رضيت رضيت أنه
كدالية فوقها دانيه
وظل ابن بلبل يدعى الوزير
ولم يك في الاعصر الخاليه
وطحان طى تولى الجسور
وسقى الفرات وزر قاميه
ويحكم عبدون في المسلمين
ومن ضله موجد الحاليه
وأحول بسطام ظل المشير
وكان يحوك ببرزاطيه
وحامد يا قوم لو أمره
الى لا لزمته الراويه
نعم ولا رجعته صاغرا
الى بيع رمان حصراويه
واسحق عمران يدعى الامير
لداهية أيما داهيه
فهذي الخلافة قد ودعت
ونطت على عرشها خاويه
نخل الزمان لاوغاده
الى لعنة الله والهاويه
فيارب قد ركب الارذلون
ورجلي في رحلهم عاليه
فان كنت حاملنا مثلهم
والا فأرحل بني الزانيه

جمع في شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر (وأنشد) أبو اسحق الزجاج النحوي صاحب المبرد في المعتضد وقد ختن

صدقة وايلغازى شحنة بغداد الى مواضعهم

﴿ذكر وصول كمشتكين القيصرى شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازى وسقمان وصدقة﴾

فى هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصرى الى بغداد شحنة أرسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا فى السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما وصلها أرسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازى وهو شحنة ببغداد للسلطان محمد أرسل الى أخيه سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وسأله تجديد عهد فى دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحلف له فعاد ايلغازى وورد سقمان فى عساكره ونهب فى طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه أرسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم أحمال جبن وسمن وعسل فباعوا ما معهم وأظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن أهل البلد ونام التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كمشتكين فوصل أول ربيع الاول الى قرميسين وأرسل الى من له هوى مع بركيارق وأعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين وأعلموه الاحوال وأشاروا عليه بالمعاجلة فأسرع السير فوصل الى بغداد منتصف ربيع الاول ففارق ايلغازى داره واجتمع بأخيه سقمان وأصعدا من الرملة وهما بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فأرسل كمشتكين القيصرى الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة فى طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد فى مخالفته وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها أحد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر أرسل الى ايلغازى وسقمان وكانا بحربى يعرفهما انه قد أتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة وأخذت الاموال وانتهبت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد فيهن لكنهم استقصوا فى أخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوى عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة أرطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك وأرسل الخليفة الى سيف الدولة فى الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازى وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر وأخذ منهم جماعة فأطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم وازداد الامر شدة على الناس وأرسل الخليفة قاضى القضاة أبا الحسن بن الدامغانى وتاج الرؤساء ابن الموصلايا الى سيف الدولة يأمره بالكف عن الامر الذى هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الامر عليه فأظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصرى من بغداد والا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصرى من بغداد ففارقها ثانى عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصرى الى واسط فخاف الناس منه وأرادوا الانحدار منها ليأمنوا فمنعهم القيصرى وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل فى

(وله أيضا فى المعتضد)

الى كم لا نرى ما نرتجيه ولا ننفك من أمل كذوب
لئن سموك معتضدا فانى أظنك سوف تعضد عن قريب

(وله فى الوزير) العباس ابن الحسن وابن عمرويه الخراسانى وكان أمير بغداد يومئذ

أعن الله الذى قا
دعباس الوزاره
والذى ولى ابن عمر
ويه بغداد الاماره
لوزير سمج الوج
ه بطين كالقواره
وقفا فيه سناما
ن ورأس كالخياره
لم يزل يعرف بالزفـ
ـن قديما والعياره
وأميرا بجمى
كحمار ابن حماره
رحل الاسلام عنا
بتوليه الوزاره

(وأنشدنى فى أبى الحسن لحظة البرمكى المغنى)

لحظة الحسن عندى يد
أشكرها منه الى المحشر
لما أرانى وجه برذونه
وصانتنى عن وجهه المنكر

(وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام)

خبيصة تعقد من سكره
وبرمة تطبخ فى قنبره
عندفتى أسمح من حاتم
يطبخ قدرين على مجمره

وليس ذا فى كل أيامه ولكنه فى الدعوة المنكره فى يوم لهو قطع هائل ومجمع اللذات والقرقره اهلها

أهلها وكف عسكره عن أذاهم ووصل اليه ايلغازى بواسط وفارقها القيصرى ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هناك مخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصرى تفرقوا عنه وبقى فى خواص أصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فأكرمه وقال له قد سمعت قال وتركتنا نسمن أخرجتنا من بغداد ثم من واسط ونحن لا نعقل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصرى سوى رجلين فعادوا اليه فامنهم وعاد القيصرى الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخطب بعده لسيف الدولة وايلغازى واستناب كل واحد منهما فيها ولده وعاد اعنها فى العشرين من جمادى الاولى وأمن أهل واسط مما كانوا يخافونه فاما ايلغازى فانه أصعد الى بغداد واما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وأرسل ولده الاصغر منصورا مع ايلغازى الى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب فى ذلك فاجيب اليه

## (ذكر استيلاء صدقة على هيت)

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها عماد الدولة بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم أخذها أخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق أقطعها اياها الدولة ثروان بن وهب بن وهيبة وأقام هو وجماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك أن صدقة زوج بنته اله من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فلم يجبه الى ذلك فتحالفت عقيل وهم فى حلة سيف الدولة ان يكونوا يدا واحدة عليه فأنكر صدقة ذلك وج ثروان عقيب ذلك وعاد مريضا فوكل به صدقة وقال لا بد من هيت فأرسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وأرسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى أبيه فلما أخذ صدقة واسطا هذه النوبة أصعد فى عسكره الى هيت فخرج اليه منصور بن كثير ابن أخى ثروان ومعه جماعة من أصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله أصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فملكه يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه أصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

## (ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد)

فى هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلادران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلى فلما طال مقام محمد بأصبهان محصورا توجه غزغلى والامير منصور بن نظام الملك وابن أخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ليراهم بعين الطاعة وكان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان مما يلى اذربيجان فوصلوا الى الرى فى العشرين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه وأقاموا به ثلاثة أيام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من أصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولحقوه بهمذان ومعه ينال وعلى ابنا أنوشتكين الحسامى فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس فأقاموا بها الى أواخر المحرم فأتاهم الخبر بأن السلطان بركيارق قد أتاهم فتلونوا فى رأيهم فسار ينال وعلى ابنا أنوشتكين الى الرى على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على

خبز أبى جعفر طباشير
فيه الافاويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة
للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الاكل مثل مدهنة
يرهق من حولها النواظير
ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجرى به المقادير

(وله فيه)

بعثت لاستهديه عيرا ولم أكن
لاعلم أن العير صار لناسهرا
فوجه لى كى نستوى فى ركوبه
فيركبه بطنا وأركبه ظهرا

(وقال فى جماعة من الرؤساء)

قل للرؤس ومن ترجى نوافلهم
ومن يؤمل فيه الرفد والعمل
ان تشغلونى بأعمال أصيرها
شغلا والا فى اعراضكم شغل

وقوله

مالى رأيتك دائبا
مستبطئا أيد الرزق
ارجع الى ما تستحق
فان قوتك فوق حقك

(وله فى عبيد الله بن سليمان الوزير)

عبيد الله ليس له معاد
ولا عقل وليس له سداد
رددت الى الحياة فعدت عنها
لقول الله لو ردوا العادوا

(وله فى القاسم بن عبيد الله بن سليمان)

قل للمولى دولة السلطان
عند الكمال توقع النقصان
كم من وزير قد رأيت معظما
هبت لك الريح يا ابن وهب

أضحى بدار مذلة وهوان (وله فى عبيد الله بن سليمان) لا بد يا نفس من صعود فى زمن القرد للقرود

التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فأرسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن يافوتى صاحب بعض اذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن يافوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت أخته زوجة السلطان محمد وهو مطالب السلطان بركيارق بثار أبيه وقد تقدم مقتله أول دولة بركيارق وقال له ينبغى ان تقدم الينا لنجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه مجدا وتصيد فى طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه غروه وهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فأخذ سكينا وشق بها جوف النمر فألقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القبطى ومحمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية وفزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من اذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير ايازا أخذ معه خمسمائة فارس مستتر بحبن وحمل بهم وقد أعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد وكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى أرجيش من بلاد أرمينية على أربعين فرسخا من الوقعة وهى من أعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القبطى وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آنى وصاحبها منوجهر أخو فضلون الرواوى ومنها سار الى تبريز من أذربيجان وسنذكر باقى أخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فرمى زما ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المادرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرآيين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

## ﴿ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة﴾

فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله مهمله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره فى أعمال السلاطين وليس لهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر فى الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذى وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى العزنوى فانشدوا أبياتا ارتجلها

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك
وأحى معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق فى الدنيا فتوحك
وفى الماضين معتبر فأسرج * مروحك فى السلامة أو جموحك

ثم قال سديد الملك من شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد زمان ثم أشار الى الدار

آذنت بالتكشف
(وله فى العباس بن الحسن الوزير)
تحمل أوزار البرية كلها
وزير بظلم العالمين يجاهر
ألم تر أسباب الذين تقدموا
وكيف أتتهم بالبلاء الدوائر
(وله فى الوزير صاعد بن مخلد)
سجدنا للقرود رجاء دنيا
حوتهم أدوننا أيدى القرود
فما نالت أنامل ما بشئ
عملناه سوى ذاك السجود
(وله فى العباس بن الحسن الوزير)
بنيت على دجلة مجلسا
تباهى به فعل من قد مضى
فلا تفرحن فكم مثل ذا
رأينا ماتم حتى انقضى
(وله فى الوزير على بن محمد ابن الفرات)
وقفت شهور اللوزير أعدها
فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعى لى رعاية مثله
ولا أنا أستحى الوقوف وآنف
(وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر الفوملى)
سألت أبا جعفر
فقال يدى تقصر
فقلت له عاجلا
يكون كما تذكر
(وله فيه)
لحية كنة أضر بها النتف ووجه مشوه ملعون قالت لما بدا يجمجم فى القول ويهذى كأنه مجنون صدق الله أنت من ذكر الله وقرأ

وقر أوسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

﴿(ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة)﴾

في هذه السنة في شعبان، ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب أرسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين أتابكه اليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفي قايماز هذه السنة في صفر وقام مقامه غلام تركي اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستظهر وأخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فأمنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

﴿(ذكر أخبار الفرنج بالشام)﴾

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشي الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المنجمون يقولون لسعد الدولة انك تموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولى بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه أو يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا ورملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فارسل الافضل بعده ابنه شرف المعالي في جمع كثير فالتقواهم والفرنج يازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم منهزمين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما أبعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالي بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من أعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقي خمسة عشر يوما ثم أخذهم فقتل منهم أربعمائة صبرا وأسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف أصحابه في مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونتملكها فبيناهم في هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير في البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالي فلم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج البحرية حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى أبيه فسير رجلا يقال له تاج الجحم في البر وهو من أكبر مماليك أبيه وجهز معه أربعة آلاف فارس وسير في البحر رجلا يقال له القاضي ابن قادوس في الاسطول على يافا ونزل تاج الجحم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج الجحم ما يمكنني ان أنزل اليك الا بامر الافضل ولم يحضر عنده ولا أعانه فارسل القادوسي الى قاضي عسقلان وشهودها وأعيانها وأخذ خطوطهم بانه أقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج الجحم فلم يأته ولا أرسل رجلا فلما وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج الجحم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فأسكنه عسقلان وجعله مقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان

وان تكن صنته فما خلق
الله مصونا وأنت تركبه

(وله مما أحسن فيه)

تضمن لي في حاجة ما أحبه
فلما اقتضيت الوعد قطب
واعتلى
وصرت عذارا شغله راتع الله
ولولا اتصال الشغل ما كان
أشغلا

(ولعلي بن محمد بن بسام)

في هذه المعاني أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض عن ايرادها وأكثر منه في هذا الكتاب لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من الكتب وقد كان أبوه محمد ابن جعفر في غاية الستر والمروءة وكان رجلا مترفا حسن الزي ظاهر المروءة مشغوفا بالنساء

(ودكر) أبو عبد الرحمن العتبي قال دخلت عليه يوما شاتيا شديد البرد ببغداد فاذا هو في قبة واسعة قد طليت بالطين الاحمر الارمني وهو يلوح بريقا فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا في مثلها وفي وسطها كانون بزرافين اذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع في مثلها وقد ملىء جمر الغضى وهو جالس في صدر القبة عليه غلالة تستريه وما فضل عن الكانون مفروش بالديباج الاحمر فأجلسني بالقرب منه فكدت أتلظى فدفع الى جام ماء الورد وقد مزج بالكافور فشربت به وجهي ثم رأيته وقد استسقى ماء فأتوه بماء رأيت

صخيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والموادتأتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان رسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد ممن يزرع لتقل الموادمن الفرنج فيرحلوا عنه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بامر الله التي كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد أزعجها بيتها لانه أبلغ عنها انها تسعى في ازالة دولته وفيها في شعبان أيضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا في السنة المتقدمة سبب مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل ارباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس في الديوان ولقب قوام الدين وفيه أيضا قتل أبو المظفر بن الخجندي بالري وكان يعظ الناس فقتله رجل علوي حين نزل عن كرسيه وقتل العلوي ودفن الخجندي بالجامع وأصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن أبي صفرة وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرو فاعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها جمع ساغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمد خان الذي ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه في ملكها فضعف محمد خان عنه فأرسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فأبعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وأرسل يطلب الامان من سنجر والعفو فاجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمد خان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو في ربيع الاول سنة سبع وتسعين وأربعمائة وفيها توفي أبو المعالي الصالحساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة

﴿ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة﴾

في هذه السنة في المحرم استولى بلك بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخي ايلغازي بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فاخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة وأخذها من بني بعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو بعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم فسألوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل وأصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه ألف رجل من التركمان فمانعه أصحابه قليلا واستدل على الخاضة اليها فخاضها وعبر وملكهم ونهبهم وسبى جميع حرمهم واخذ رطا لباهيت من الجانب الشامي فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة جهز العساكر ثم أعادهم عند عند عود بلك

﴿ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر﴾

في هذه السنة في صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا الماخرجوا من الرها افترقوا فرقتين وأبعدوا يوما واحدا تكون الغارة على البلدين فيه ففعلوا ما استقر بينهم وأغاروا واستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لسالم

منه (قال) ودخلت عليه في بعض الايام وهو جالس في موضع في آخر داره وقد رفعه على بركة وفي صدره صفة وهو يشرف منها على البستان وعلى حيز الغزلان وحظيرة الفمارى وأشباهها فقلت يا أبا جعفر أنت والله جالس في الجنة قال فليس ينبغي لك أن تخرج من الجنة حتى تصطبح فيها فاجلست واستقربي المجلس حتى أتوه بمائدة جزع لم أر أحسن منها وفي وسطها جام جزع ملونة قدلوى على جنباتها الذهب الاحمر وهي مملوأة من ماء ورد وقد جعل سافا على ساف كهيئة الصومعة من صدور الدجاج وعلى المائدة سكرجات جزع فيها الاصباغ وأنواع الملح ثم أتينا بشنبوشق بلور وبعده جامات اللوز ينج ورفعت المائدة وقمنا من فورنا الى موضع الستارة فقدم بين أيدينا اجانة صيني بيضاء فذكرت بالينفسج والخيري وأخرى مثلها قد عبي فيها التفاح الشامي قدرنا مقدار ما حضر فيها ألف حبة فما رأيت طعاما أنظف منه ولا ريحا أطرف منه فقال لي هذا حق الصبوح فما أنسى الى الساعة طيب ذلك اليوم (قال المسعودي) وانما ذكرنا هذا الخبر عن محمد بن جعفر ليعلم أن علي بن محمد ابنه ابن

ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد ذكرناه فيها

## (ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد)

فى هذه السنة فى ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه وكان سببه ان الحرب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموعا فيها محكوما عليها وأصبح الملك مقهورين بعد ان كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالرى والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له فيه وببلاد ارانية وارمينية وأصبهان والعراق كلها ما عدا تكريت وأما اعمال البطائح فيخطب ببعضها لبركيارق وببعضها لمحمد وأما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا وأما خراسان فان السلطان سنجر كان يخطب له فى جميعها وهى من حدود جرجان الى ما وراء النهر ولاخيه السلطان محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا أرسل القاضى أبا المظفر الجرجانى الحنفى وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذانى المعروف بصاحب فراتكين الى أخيه محمد فى تقرير قواعد الصلح فسار اليه وهو بالقرب من مراغة فذكر له ما أرسلا فيه ورغباه فى الصلح وفصلته وما تحمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام فى أطراف الارض فأجاب الى ذلك وأرسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض أخاه محمدا فى الطبل وان لا يذكر معه على سائر البلاد التى صارت له وان لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض أحد من العسكر فى قصد أيهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذروذ الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف والشغب وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى أصحاب أخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان فلما سلمت اليه أصحاب أخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفى خدمته فامتنعوا وأبوا الزوم خدمة صاحبهم فسماهم أهل العسكرين جميعا أهل الوفاء وتوجهوا من اصبهان ومعهم حريم السلطان محمد اليه وأكرمهم بركيارق وحمل لاهل أخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة وعشرين بغلا تحمل الثقل وسيرمعهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح وما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازى بالديوان وسأل فى اقامة الخطبة لبركيارق فأجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بالجوامع وخطب له أيضا بواسط ولما خطب ايلغازى ببغداد لبركيارق وصار فى جملته أرسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان أمير المؤمنين ينسب الى كل ما يتجدد من ايلغازى من اخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد أبدى صفحته لسلطانى الذى استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازى ذلك شرع فى جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل فى مخيمه بالجانب الغربى ففارق ايلغازى بغداد الى بعقوبا وأرسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق



أشهر وأياما واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فى اليوم الذى سخط

بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها فى جملة بلاده وان بغداد التى هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذى أدخله فى طاعته فرضى عنه صدقه وعاد الى الحلة وفى ذى القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللاميرايا زولوزير بركيارق وهو الخطير والعهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

﴿ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام﴾

فى هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجى على حصار طرابلس فحصروها معه برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها أياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان وأخذوا أموالهم واستنقدوها بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها فى البر والبحر وكان الوالى بها اسمه بناو يعرف بزهر الدولة الجيوشى نسبه الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالى به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

﴿ذكر غزو سقمان وجكرمش الفرنج﴾

لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ المسلمين الآراء واختلفت الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمماليك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهانى وخرج فى العام الماضى فعصى الاصبهانى على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهانى جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركى يعرف بجاولى وجعله اصفهسلار العسكر وأنس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولى مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطلبه بقتل ابن أخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وأنا أذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى صاحبه يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى أمر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل واحد منهما أجاب صاحبه الى ما طلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وساروا الى لقاء الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فأظهر المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين وعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل قد انفرد وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا فاقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وافلتا فى ستة فرسان وكان القمص برد ويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركمانى

فيه على على بن محمد بن موسى بن الفرات وهو يوم الاربعاء لاربع خلون من ذى الحجة وخلع عليه ولم يخلع على أحد غيره وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلثمائة وخلع على الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة احدى وثلثمائة وقبض عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية وخلع عليه يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة وقبض عليه يوم الخميس لاربع بقين من جمادى الاولى سنة ست وثلثمائة وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست وثلثمائة وأطلق على بن عيسى فى اليوم الثانى من وزارته وهو يوم الاربعاء وفوضت الامور اليه وقبض على حامد بن العباس واستوزر على بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته وقد كان ولده محسن بن على هو الغالب على الامور فى هذه الوزارة فانى على جماعة من الكتاب واستوزر المقتدر عبد الله ابن محمد بن عبد الله الخاقانى ثم استوزر بعده أحمد بن عبيد الله الخصيبى ثم استوزر على بن عيسى ثانية ثم استوزر على بن محمد بن على بن مقلة ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ثم

من أصحاب سقمان فاخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه وقد سار فيمن معه لاتباع بيغو فرأى أصحاب جكرمش ان أصحاب سقمان قد استولوا على مال الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش أى منزلة تكون لنا عند الناس وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فانفذ أخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب أصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل لوقته وأخذ سلاح الفرنج ورياتهم وألبس أصحابه لبسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتى حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان أصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم ففعل ذلك بعدة حصون وأما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار الى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذى أخذه من خيام سقمان ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج يقارب اثنى عشر ألف قتيل

## ﴿ ذكر وفاة دقاق وملك ولده ﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى الملك دقاق بن تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وخطب أتابكه طغتكين لولده صغير له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكاش بن تتش عم هذا الطفل فى ذى الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين أشار عليه بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له وأعاد طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكاش من طغتكين ان والدته خوفته منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهى لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج والعود الى دمشق وأحد هذا من طغتكين فخرج من دمشق سرا فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه الامير ايتكين الحلبى وهو من جملة من قرر مع بكاش ذلك وهو صاحب بصرى فمات فى نواحى حوران ولحق بها كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فاجابهما الى ذلك وسارا اليهما فاجتمعا به وقررا القواعد معه وأقاما عنده مدة فلم يرياه منه غير التحريض على الافساد فى اعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها فى البرية الى الرحبة فملكها بكاش وعاد عنها واستقام أمر طغتكين بدمشق واستبد بالامر وأحسن الى الناس وبث فيهم العدل فسر وابه سرورا كثيرا

## ﴿ ذكر استيلاء صدقة على واسط ﴾

فى هذه السنة فى شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط فى عسكر كثير وأمر فنودى بها فى الاتراك من أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم انه أحضر مهذب الدولة بن أبى الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذى القعدة وانحدر الى بلده

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول أطلق سديد الملك أبو المعالى من الاعتقال وهو الذى كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على

المقتول بالرقة ثم استوزر بعده الفضل بن جعفر ابن موسى بن الفرات (وقتل المقتدر بالله) ببغداد وقت صلاة العصر يوم الاربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وكان قتله فى الوقعة التى كانت بينه وبين مؤنس الخادم بباب الشماسية من الجانب الشرقى وتولى دفن المقتدر العامة وكان وزيره فى ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر (وذكر) ان الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله الى الوقعة التى قتل فيها فقال له المقتدر أى وقت هو فقال وقت الزوال فقطب له المقتدر وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس فكان آخر العهد به من ذلك الوقت وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول فكان السادس منهم محمد ابن هرون المخلوع والسادس الآخر المستعين والسادس الآخر المقتدر بالله (وللمقتدر أخبار حسان) وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع وأخبار ابن أبى الساج وأخبار مؤنس وأخبار سليمان بن الحسن الخبارى وما كان منه بمكة فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها وما كان فى المشرق والمغرب قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار

ممالكه وفيها توفى امين الدولة أبو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجأة وكان قد أضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى تاب عن الوزارة وكان نصرانيا فأسلم سنة أربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف املاكه على أبواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن أخته أبى نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل أبو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى وكان من الحذاق فى الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير أبا الفتح الطغرائى وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اصفهسلار العسكر السنجرى ألقى اليه ملطف فيه لا يتم لك أمر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم لك أمر مع الامير برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش أصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائى وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائى وأراد قتله فمنعه برغش وقال له حق خدمة فابعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهى لهم فحربها وما جاورها من القلاع والقرى وأكثر فيهم القتل والنهب والسبى وفعل بهم الافعال العظيمة ثم ان أصحاب سنجر أشاروا بان يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فحفظ كثير من الناس هذا الامان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفى وكانت خاتمة أمره الجهاد رحمه الله وفى هذه السنة توفى أبو بكر على بن أحمد بن زكرياء الطريثيثى وكان صوفيا محدثا مشهورا وفى رجب توفى القاضى أبو الحسين أحمد بن محمد الثقفى قاضى الكوفة ومولده فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضى الدامغانى وولى القضاء بعده ابنه أبو البركات وفى ربيع الآخر توفى أبو عبد الله الحسين بن على بن البسرى البندار المحدث ومولده سنة أربع وأربعمائة

## ﴿ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة﴾

### ﴿ذكر وفاة السلطان بركيارق﴾

فى هذه السنة ثانى شهر ربيع الآخر توفى السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها فى محفة طالبا بغداد فلما وصل الى برو جرد ضعف عن الحركة فاقام بها أربعين يوما فاشتد مرضه فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وخلع على الامير ايلز أتابكه وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم انه قد جعل ابنه ولى عهده فى السلطنة وجعل الامير ايلز أتابكه وأمرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال فى حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وأمرهم بالمسير الى بغداد فسار وا فلما كانوا على اثنى عشر فرسخا من برو جرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى أصبهان فعاجلته منيته فلما سمع الامير ايلز بموته أمر وزيره الخطير الميبذى وغيره بان يسير وامع تابوته الى أصبهان فحمل اليها ودفن فى تربة جدته لها له سريته ثم ماتت بعد أيام قد فقت بازائه وأحضر ايلز السرادقات والخيام والجمال والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه

### ﴿ذكر عمره وشئ من سيرته﴾

لما توفى بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتى عشرة سنة

الزمان مفصلا وفى الكتاب وبعدلنا فى العمر ويسعدنا بطول الايام فتعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر تضمنه فنون الاخبار وأنواعا من ظرائف الآثار على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسمح من فوائد الاخبار ويوجد من نوادر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومخلط الآداب بالياليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا

(وكانت) وفاة موسى بن اسحق القاضى فى خلافة المقتدر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة الكوفى ودفن فى الجانب الشرقى وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل وورد الخبر الى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الاربعة غرقت حتى عم الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم وان ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان

(وفيها) كانت وفاة يوسف ابن يعقوب بن اسمعيل بن حماد القاضى وذلك فى شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة وقيل ان فى هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهانى الفقيه وقد قدمنا ذكره وان وفاته كانت فى سنة ست وتسعين وأربعمائة

وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه مالم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله وأشرف فى عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوى أمره فى هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقاد واله أدركته منيته ولم يهزم فى حروبه غير مرة واحدة وكان امرأوه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان أهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطانه وقد ذكرنا من تغلب الاحوال به ما وقفت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش فمكنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ فى العقوبة وكان عفوه أكثر من عقوبته

## ﴿ذكر الخطبة للكشاه بن بركيارق﴾

فى هذه السنة خطب للكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازى شحنة بغداد سار فى المحرم الى السلطان بركيارق وهو بأصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل مع بركيارق فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والامير ايازا الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا فى طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر ايلغازى والامير طغايرك بالديوان وخاطبوا فى اقامة الخطبة للكشاه بن بركيارق فأجيبوا اليها وخطب له ولقب بالقاب جده ملكشاه وهى جلال الدولة وغيره من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

## ﴿ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل﴾

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه فى السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان الى بركيارق وسار اليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان الى ان وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن الحسن أثره كان فى حفظ أصبهان وأقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد وأذن لاصحابه فى نهب من لم يدخل وحصر محمدا المدينة وأرسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن فى جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق اليه بذلك والايمان على تسليمها اليه وقال له ان أطعت فانا لا آخذها منك بل أقرها يدك وتكون الخطبة لى بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الىّ بعد الصلح تأمرنى ان لا أسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لمحبتهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فامر جكرمش ففتح فى السور أبواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل فى العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب فى السور أصحابه وأدركهم الليل فاصبحوا وقد عمره أهل البلد وتحصنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة فى الحصار كانت الحنطة تساوى كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعسفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فأحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان

البروري المعدل ببغداد وذلك فى شوال وهو ابن نيف وثمانين سنة ودفن فى الجانب الغربى وانما ذكر هؤلاء لنقلهم السنن واشتهارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار الى معرفة وقت وفاتهم (وفيها) مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث وهو ابن أربع وثمانين سنة ودفن بباب حرب من الجانب الغربى وقد قدمنا فى هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبى طالب فى أيام بنى أمية وبنى العباس وفى غيره مما سلف من كتبنا وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو حرب وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فقتله أحمد بن طولون بعد أفاصيص قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا وانما ذكر من ظهر من آل أبى طالب واللمع من أخبارهم فى هذا الكتاب لاشتراطنا فيه على أنفسنا من ايراد ذكرهم ومقاتلتهم وغير ذلك من أخبارهم من منذ أمير المؤمنين الى الوقت الذى ينتهى اليه تصنيفنا لهذا الكتاب (وكانت) وفاة يحيى بن الحسين الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض اليمن فى سنة ثمان وسبعين ومائتين وقام بعده ولده الحسين بن يحيى وكان

فقالوا أمرنا وأمرك واحد بين يديك وأنت أعرف بشأنك فاستشار الجند فهم أعرف بذلك فاستشار أمراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن أحد من طروق بلدنا وحيث توفي فليس للناس اليوم سلطان غيره هذا والدخول تحت طاعته أولى فأرسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده وأخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه وأخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه أهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويضجون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان محمد أقبل عليه وأكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وسأل السلطان من الغد ان يدخل البلد لتزيين له فامتنع من ذلك فعمل سماط بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

﴿ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن أخيه والاميرايا﴾

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبي وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود واسمعيل بن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع حلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يستحثه على المجيء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الاميرايا بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم في ذلك ينال وصباو وفانهم بالغوا في الاطماع في السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفي أبو المحاسن يا مولانا ان حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وانا أكثر الترامابك من هؤلاء وليس الرأي ما أشاروا به فان كلا منهم يقصد ان يسلك طريقا وان يقيم سوقا لنفسه بك وأكثرهم يناويك في المنزلة وانما يقعد بهم عن منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما أردت فتردد رأي الاميرايا زفي الصلح والمباينة الا ان حركته في المباينة ظاهرة وجمع السفن التي ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربي باعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربي ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقي واما جامع المنصور فان الخطيب قال فيه اللهم اصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب ايازفي عسكره وهم عازمون على الحرب وسار الى ان أشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المخالصة لملكشاه فأجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة في اعادة اليمين لاننا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفي بالثانية فأمر ايازحينئذ وزيره الصفي أبا المحاسن بالعبور الى السلطان محمد في الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فهما فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند

أبي العباس أحمد بن كيغلغ وقعة ففتل صبرا وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي وظهر ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن علي وأخرج عنها المسودة وذلك في سنة احدى وثلثمائة وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل وقد كان أقام في الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية وكذلك الجيل فدعاهم الى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى في الديلم مساجد والديلم زعم كثير من الناس من ذوي المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل ابن ضبة بن أدوار الجيل من تميم وقد قيل ان دخول الاطروش الى طبرستان كان في أول يوم من المحرم سنة احدى وثلثمائة وان في هذا اليوم دخل صاحب البحرين البصرة وقتل أميرها عسكر المكرم وقد أتينا على خبر الاطروش العلوي وخبر ولده وخبر أبي محمد الحسن بن القاسم الحسني الداعي واستيلائه على طبرستان ومقتله وما كان من الجيل والديلم في أمره في كتابنا أخبار الزمان (وكانت) وفاة أبي العباس أحمد بن شريح القاضي في سنة ست وثلثمائة

السلطان محمد وأدى الصفي رسالة صاحبه اياز واعتذر عما كان منه أيام بركيارق فأجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه وأجاب الى ما التمسه منه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضي القضاة والنقيبان والصفي وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك ان اياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال السلطان اما ملكشاه فانه ولدي ولا فرق بيني وبين أخي وأما اياز والامراء فاحلف لهم الا ينال الحسامي وصبا وفاستحلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فالقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فاكرمهما وأحسن اليهما وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وأقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان وفعل فيها ما نذكره آنفا ان شاء الله تعالى

## ﴿(ذكر قتل الامير اياز)﴾

في هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار في جملته واستحلفه لنفسه فلما كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيأ كثيرا من جملته الجمل البلخش الذي أخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردي ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من ابهر يتطايب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من ان نلبسك درعا ونعرضك فالبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بايديهم وهو يسألهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما فعلوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان معتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية ليلمسه من غير ان يعلم أحد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فاعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوى استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا أرسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتامش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغي ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز فقال اياز ينبغي ان أجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فاعاد الجواب يستدعي اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الامر في حضرته فنهضوا اليه خلوا اليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فاباته فاما صدقة فغطى وجهه بكمه وأما الوزير فانه غشي عليه وألف اياز في مسح وألقي على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فارسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز أربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروأة شجاعا حسن

الى مدينة السلام على الفيل في سنة سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر وقيل ان الليث أدخل الى مدينة السلام في سنة ثمان وتسعين ومائتين (وفي هذه السنة) وهي سنة ثمان وتسعين ومائتين مات ببغداد أبو بكر محمد بن سليمان المروزي المحدث صاحب الجاحظ وقيل أيضا ان وفاته كانت في سنة ثمان وتسعين (وفي هذه السنة) كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشام ففتح حصن القبة بعد حرب طويل وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقا كثيرا ووقع في الكوفة برد عظيم الواحدة رطل بالبغدادي وربع مظلمة وذلك في شهر رمضان وانهدم كثير من المنازل والبنيان وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس هكذا كان بالكوفة في سنة تسع وثمانين ومائتين وكان بمصر في هذه السنة زلزلة عظيمة وفيها طلع نجم الذنب (وفيها) غزا وهمانة صاحب الغز والبحر الرومي في مراكب المسلمين جزيرة قبرس وقد كانوا نقضوا العهد الذي كان في صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم وأن خراجه نصفه

وهنانة فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق ويفتح مواضع قد تحصن فيها وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند اخبارنا عن جمل البحار ومبادى الانهار ومطارحها فمنع ذلك من اعادة وصفها (وفى سنة) احدى وثلثمائة مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام وكان مولده فى سنة اثنتى عشرة ومائتين وكان القبض على ابن الحصاص الجوهرى بمدينة السلام فى سنة اثنتين وثلثمائة والذى صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار (وفيها) مات القاسم ابن الحسن بن الاشيب ويكنى أبا محمد يوم الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الاولى وكان من كبار العلماء والمحدثين ودفن فى الجانب الغربى فى الشارع المعروف بشارع الجاليق وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضى وأبو جعفر محمد بن اسحق بن البهلول القاضى وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة وهو أبو أبى عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الاشيب وهو كبير من فقهاء الشافعيين فى هذا الوقت (وفى هذه السنة) وهى سنة اثنتين وثلثمائة ورد الجيش من الغرب فكان لاهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة وقتل فيها خلق فسير

الرأى فى الحرب وأما وزيره الصفى فانه اختفى ثم أخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل فى رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

## (ذكر وفاة سقمان بن أرتق)

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد أشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج ويستدعيه ليوصى اليه وبما يعقده فى حفظ البلد فلما رأى ذلك أسرع فى السير عازما على أخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وابعادهم عنها فوصل الى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ماصنع ولقوته وكبره زاد مرضه ولامه أصحابه على ما فرط فى تدبيره وحتموه عاقبة مافعل وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأى باى حيلة يردونه أتاهم الخبر بانه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه وعادوا به فاتاهم فرح لم يحسبوه وكان مرضه الذى مات به الخوانيق يعتريه دائما فاشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت ماعزمت عليه ولا يرانى الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفا من الموت وان أدركنى أجلى كنت شهيدا سائرا فى جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات فى صفر وبقى ابنه ابراهيم فى أصحابه وجعل فى تابوت وحمل الى الحصن وكان حازما داهيا دارأى كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا واما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل فقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركمانى بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر حينئذ صبيا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالقى أصحاب آقسنقر زنكى ولد صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالا شديدا فانهزم سقمان وأسروا ابن أخيه ياقوتى بن ارتق فسجنه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها انسانا مغنيا للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين واعمالها فاقطعه اياها فبقى ياقوتى فى حبسه مدة فمضت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فاطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد أعجبته فاقام ليعمل فى تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الاكراد قد طمعوا فى صاحبها المغنى وأغاروا على أعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتى يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بان أمنع عنه الاكراد وأغير على الاماكن وآخذ الاموال أنفقها فى بلدك وأقيم فى الربض فاذن له فى ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلبا للكسب وهو يكرمهم ولا يعترضهم فامنوا اليه فاتفق ان فى بعض الاوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسبقهم الى القلعة ونادى من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل انسانا منهم فسلم القلعة من بها اليه وبقى بها ثم انه جمع جمعا وسار الى نصيبين وأغار على بلد جزيرة ابن عمر وهى لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتى قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فاتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت يا ياقوتى فلم يجبه فمات ومضت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثار ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهى لجكرمش

كثير واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بابى حرة الى السلطان وسار الى مدينة السلام فخلع عليه (وفى سنة) سبع عشرة وثلثمائة أدخل يوسف بن أبى الساج الى مدينة السلام وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التى لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف وقد أتينا على خبر هذه الوقعة التى أسرها مؤنس الخادم ابن أبى الساج بناحية اردبيل ومن حضرها من الامراء مثل ابن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلى بن حسان وأبى الفضل المروزى وأحمد بن على بن صعلوك وغيرهم من الامراء والقواد وذكرنا تخليه المقتدر لابن أبى الساج وخروجه من دبار ربيعة ومضر الى بلاد اذربيجان التى هى من أعماله وأرمينية وما كان من غلامه مسك واستيلائه على عمل مولاه ومفارقته الفارق وما كان من سائر أخبار ابن أبى الساج ومسيره الى واسط ثم مسيره الى الكوفة وما كان من خبره فى حربه لابى طاهر سليمان بن الحسن الجنابى وأسره اياه وقتله نحو الابار وهيت حين أشرف

فسير جكرمش الى سقمان مالا كثيرا سرا فاخذه ورضى وقال انه قتل فى الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد يافوتى أخوه على وصار فى طاعة جكرمش واستخلف بها أميرا اسمه على أيضا فارسل على الوالى بماردين الى سقمان يقول له ان أحببت أن يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلمها فجاء اليه على ان أخيه وطلب اعاده القلعة اليه فقال انما أخذتها لئلا يخرب البيت فاقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطى عليا كل سنة عشرين ألف دينار فلما أخذ عمه سقمان ماردين منه أرسل على الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت أعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما أنت صانع فلا قدرة لك على

## ﴿ ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان ﴾

فى هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طبرستان عن بعض أعمال بيهق وشاعت الغارة فى تلك النواحى وأكثروا القتل فى أهلها والنهب لاموالهم والسبى لنسائهم ولم يقتصروا على الهدنة المتقدمة وفى هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فى جملة فعلهم ان فصل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد ووصلوا الى جوار الرى فاتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا واخذوا أموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيأ وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية أخذ الفقه عن الحجندى وكان يدرس بارى ويعظ الناس فلما رأى من كرسيه أتاه باطنى فقتله

## ﴿ ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام ﴾

فى هذه السنة فى شعبان كانت وقعة بين طغتكين صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب أسرهم فيها رضوان وسببها ان طغتكين حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان وضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذى اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان فى عسكر كثير من الحيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فسار واحتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طغتكين كثرة المسلمين أرسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا انه مدد وتحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم وأسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ أسيرا وهرب من فى ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن أصحابه

## ﴿ ذكر حرب الفرنج والمصريين ﴾

فى ذى الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالى فى السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم وأخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له فاتاهم مرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهما بالآخر حتى كاد الفرنج يقهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالى الى أبيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين فى جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وأرسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا



على سواده بلبيق ونظيف غلام ابن أبى الساج وما كان فى هذه الوقعة وهزمه لبليق ونظيف

فارسل اليهم اصبهبذ صباو ومعه ألف وثلثمائة فارس وكان المصريون فى خمسة آلاف وقصدهم بغدوين الفرنجى صاحب القدس وعكة ويافا فى ألف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فلم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك أمير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم قد تكافؤا فى النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباو الى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل فى الملك الى ولد أخيه دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازى بن ارتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن أخيه بلك بن بهرام بن ارتق وأمره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام فى ذلك القيام المرضى وحمى البلاد وكف الايدى المتطاولة وسار بلك الى حصن خابجار وهو من اعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها فى شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقى شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا فى حروبه كلها وفيها اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز وأوصى صدقة ان يحمى أصحابه من خفاجة فاجاب الى ذلك وفيها فى شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن أهلها ووثقوا بزوال ما كان يشملهم من الحيط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها هاربا متخفيا وعوده اليها سلطانا متمكنا وعدل فى أهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدى المتطرقة اليهم من الجند وغيرهم فصار كلة العامى أقوى من كلة الجندى ويد الجندى قاصرة عن العامى من هيبة السلطان وعدله وفيها كثر الجدرى فى كثير من البلدان لاسيما العراق فانه كان به كله ومات به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفى فى هذه السنة فى شوال أحمد بن محمد بن أحمد أبو على البردانى الحافظ ومولده سنة ست وعشرين وأربعمائة سمع ابن غيلان والبرمكى والعشارى وغيرهم وتوفى أبو المعالى ثابت بن بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة ست عشرة وأربعمائة سمع أبا بكر البرقانى وأبا على بن شاذان وكانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة وفى رابع جمادى الاولى توفى أبو الحسن محمد بن على بن أبى الصقر الفقيه الشافعى ومولده سنة تسع وأربعمائة وكان أديبا شاعرا فمن قوله

من قال لى جاه ولى حشمة * ولى قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك ينفع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها أيضا توفى أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين سنة ولم يخلف وارثا لانه أسلم وأهله نصارى فلم يرثوه وكان يبخل الا انه كان كثير الصدقة وأبو المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوى كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها ونصر مذهب الاشعرى وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

﴿ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة﴾

﴿ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد﴾

ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر وذلك فى سنة تسع وثلثمائة

﴿ذكر خلافة القاهر بالله﴾

وبويع القاهر محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة ثم خلع يوم الاربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وسملت عيناه وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ويكنى بأبى منصور وأمه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

واستوزر القاهر أبا على محمد بن على بن مقلة فى سنة احدى وعشرين وثلثمائة ثم عزله واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم ابن عبد الله الخصيبى وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى لتقلبه وتلونه وكان شهما شديد البطش بأعدائه وأباد جماعة من أهل الدولة منهم مؤنس الخادم وبليق وعلى بن بليق فهابه الناس وخشوا صولته واتخذ حربة عظيمة يحملها فى يده اذا سعى فى داره ويطرحها بين يديه فى حال جلوسه مباشرا لحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله فسكن من كان يستعدى على من قبله من الخلفاء والتشعب والوثب

في هذه السنة في المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بورسن بن اب ارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على أمره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بني برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكي بن برسق فكاتب زنكي اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وأمرهم بتدبير الامر في القبض عليه فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهي بلد خوزستان وتفرق أصحابه وأخذوا منكبرس الى أصبهان فاعتقله السلطان مع ابني عمه تكش وأخرج زنكي بن برسق وأعاده الى مرتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهي ليشتر وسابور خواست وغيرها ما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضا في هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا اليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان أهلها يقولون ظهر عندنا في مدة شهرين اثنان ادعى أحدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما أمره

## ﴿ ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج ﴾

في هذه السنة في صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قماصصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففي آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناءه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم أميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب مني أمرا فعلته معه ومن اتاني بحجر من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وأمر بالقاء الحجارة في الوادي واسر وا من بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان أسراء وكانوا مائتي فارس ولم ينج ممن كان في الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد أربعة أيام وخرج منها الى الرقنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

## ﴿ ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة ﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة أخذ منه جماعة خفاجة جملين فجاءهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيأ فاخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فلحقته خفاجة وقتلوا من أصحابه رجلا وقطعوا يد آخر وكان ذلك بالموقف من الحلة السيفية ففرق بينهم أهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للاخذ بثارها وساروا

فقبض عليه [illegible] هنا عينيه وهو حي هذا في الجانب الغربي في دار ابن طاهر على ما نمى الينا من خبره واتصل بنا من أمره وذلك أن الراضي بالله غيب خبره وقطع ذكره فلما بويع ابراهيم المتقي لله أصيب القاهر معتقلا في بعض المقاصير فامر به الى دار ابن طاهر فاعتقل بها الى هذه الغاية التي وصفنا

(وذكر) محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري وكان القاهر به آنسا قال خلا بي القاهر فقال أصدقني أو هذه وأشار الى بالحربة فرأيت والله الموت عيانا بيني وبينه فقلت أصدقك يا أمير المؤمنين فقال لي انظر يقولها ثلاثا فقلت نعم يا أمير المؤمنين قال عما أسألك عنه ولا تغيب عني شيأ ولا تحسن القصة ولا تسجع فيها ولا تسقط منها شيأ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال أنت علامة باخبار بني العباس من أخلافهم وشيبهم من آبي العباس فمن دونه فقلت على أن لي الامان يا أمير المؤمنين قال ذلك لك قال قلت اما أبو العباس السفاح فكان سريعا الى سفك الدماء واتبعه عماله في الشرق والغرب من فعله واستنوا بسيرته مثل محمد بن الاشعث بالمغرب وصالح بن علي بمصر وحازم بن جذيمة وحميد بن قحطبة وكان مع ذلك

مع جماعة من أمرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم تجبهم الى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد في القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد أعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هنأهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت أقاتل وأضارب وأنا طامع في الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت انهم أجلبوا علينا بخيلك ورجلك وانا لا طاقة لنا بهم فنصروا علينا بموتتك ولو نا بجدك فلم يحبه صدقة

## ﴿ذكر ملك صدقة البصرة﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلان خق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين وأخذ الاموال السلطانية وكان قد أرسل صدقة واظهر له انه في طاعته وموافقته فلما استقر الامر للسلطان محمد أراد أن يرسل الى البصرة مقطعا يأخذها من اسمعيل فخاطب صدقة في معناه حتى أقرت البصرة عليه فانفذ السلطان عميدا اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور منكبرس وخلاف على السلطان وأنه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطا وأرسل صدقة حاجبا له وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها الى مهذب الدولة بن أبي الجبر لانها كانت في ضمانه فوصل الى الشرطة وأخذ منها أربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه وأخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكانته سار من حلته وأظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق أصحابه في القلاع التي استجدها بطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرسها واعيان أهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه أبو النجم ابن أبي القاسم الوراق وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فمما مدح به سيف الدولة ورثى به أبو النجم ابن أبي القاسم قول بعضهم

نهر يا خير من يحمى حريم حمى * فتما اغتنت به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغراء في نخب * غر كجيش على يوم صفين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها * لكنه كان رجم للشياطين

وأقام صدقة محاصرا لاسمعيل بالبصرة فاشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فاشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأي سيف الدولة المقام وقال ان تعذر علي فتح البصرة لم يطعني أحد واستعجزني الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض أصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السودانية

بحر اسمحا وصولا جوادا بالمال وأخبرني عن المنصور قلت الصدق يا أمير المؤمنين قال الصدق قلت كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا وكان أول خليفة قرب المنجمين وعمل باحكام النجوم وكان معه نوبخت المجوسي المنجم وأسلم على يديه وهو أبو هؤلاء النوبختية وابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك وعلي بن عيسى الاسطرلابي المنجم وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية الى العربية منها كتاب كليلة ودمنة وكتابه السندهد وترجمت له كتب ارسطاطاليس من المنطقيات وغيرها وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارثماطيقي وكتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية وخرجت الى الناس فنظروا فيها وتعلقوا الى علمها وفي أيامه وضع محمد بن اسحق كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدا ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة وكان أول

خليفة استعمل موالية وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدمهم على العرب فاتخذت ذلك الخلفاء من الذين

الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله ففداه أحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فأثخنته فهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم ما فيها ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمبرد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المبرد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن أبى الجبر انحدر فى سفن كثيرة وأخذ القلعة التى لاسمعيل عطارا وقتل بها خلقا من أصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فاطلقهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه وأهله وأمواله فاجابه الى ذلك وأجله سبعة أيام فأخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه ومالم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وأمن سيف الدولة أهل البصرة من كل أذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما وأما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصد هو الباسيان الى ان وصله ماله فى المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت أصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم أنتم سقيتم ولدى افراسياب السم حتى مات وكان قد مات فى صغره من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد وأخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد فى خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا ماله وتفرقوا فارسل الامير براموز من فردهم وأخذ ما معهم من أمواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت فى أهل البصرة اخيرا

## ﴿ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازى بن ارتق الذى كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباوو والبى ابن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازى الرأى اننا نقصد بلاد جكرمش وماوالاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والاموال ووافقه البى فسار الى نصيبين فى عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها أميرين من أصحابه فى عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور فرمى البى بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار وأما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالخامسة التى بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل الى الموصل وقد اجفل اليها أهل السواد فخيم على باب البلد عازما على حرب رضوان واستعمل الخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى افسد نياتهم وتقدم الى أصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة اليه مع الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول فى طاعته ويقول له ان السلطان محمدا قد حصرنى ولم يبلغ منى غرضا فترحل عن صلح وان قبضت على ايلغازى الذى قد عرفت أنت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان قد تغيرت نيته مع ايلغازى فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه يوما وقال له هذه بلاد ممتنعة وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التحمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك مما يعود باجتماع شمل المسلمين فقال له ايلغازى انك جئت بحكمك وأنت الآن بحكمى لا أمكنك من المسير بدون اخذ هذه البلاد فان أقمت والا بدأت بقتالك وكان

وارتاض فى الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت عليهم علومهم قال القاهر قد قلت فأحسنت وعبرت فبينت فأخبرنى عن المهدى كيف كانت خلافته قلت كان سمحا سخيا كريما جوادا فسلك الناس فى عصره سبيله وذهبوا فى أمرهم مذهبه واتسعوا فى مساعيهم وكان من فعله فى ركوبه أن يحمل معه بدر الدنانير والدراهم فلا يسأله أحد الا أعطاه وان سكت ابتدأه المفرق بين يديه وقد تقدم بذلك اليه وامعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم فى أيامه واعلانهم باعتقاداتهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن ديصان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفلهوية الى العربية وما صنف من ذلك ابن أبى العرجاء وحماد عجرد ويحيى ابن زياد ومطيع بن اياس من تأييد المذاهب المانية والدنسقية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقام البراهين على المعاندين وأذاع الشبه

ايلغازي قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان وكان الملك رضوان قد واعد قوما من أصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيدوه فلما سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض ففارقوا رضوان والتجؤا الى سور المدينة وأصعدوا ايلغازي الى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فأعانوه فلما رأى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها ورحل رضوان من وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا لحرب القوم فلما بلغ تل يعفر أتاه المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى سنجار ووصلت اليه رسل رضوان يستدعي منه النجدة ويعتذ عليه مافعل بايلغازي فاجابه مغالطة ولم يف له بما وعده ونازل سنجار ليشفي غيظه من صهره ابي بن ارسلان تاش بما اعتمده من معاداته ومظاهرة اعدائه وكان ابي على شدة من المرض بالسهم الذي أصابه على نصيبين فلما نزل جكرمش عليها أمر ابي أصحابه ان يحملوه اليه ففعلوه في محفة فحضر عنده وأخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بي ما تراه فرق له واعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوالا ولم يظفر منهم بشيء فجاء تميرك اخو ارسلان تاش عم ابي فاصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

## ﴿ذكر ملك طغتكين بصرى﴾

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه آيتكين الحلبي صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت أحوالهم سار طغتكين الى بصرى فحصرها وبها أصحاب آيتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد أجل قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها وأحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ في اكرامهم وكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت النفوس اليه وأحبوه

## ﴿ذكر ملك الفرنج حصن افامية﴾

في هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب الكلابي كان متغلبا على حمص وكان الضرر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية عنده فاخذ هامنه تتش بن الب أرسلان وأبعده عنها فتقلبت به الاحوال الى ان دخل الى مصر فلم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولي لافامية من جهة الملك رضوان أرسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعي منهم من يسلم اليه الحصن وهو من أمنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به وقال انني أرغب في قتال الفرنج وأوثر الجهاد فسلموه اليه وأخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم فاعاد الجواب انني لا انزل من مكاني وابعثوا الي ببعض اعضاء ولدي حتى آكله فايسوا من رجوعه الى الطاعة وأقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت أمواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهي من أعمال حلب وأهله غلاة في التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق أهله فتوجه القاضي الذي به الى ابن ملاعب وأقام عنده فأكرمه وأحبه ووثق به فاعمل القاضي الحيلة عليه وكتب الى أبي طاهر

الغاية وبنى بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل قال فاخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه قلت كان جبارا عظيما وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة المشهورة والقسي الموتورة فسلكت عماله طريقته وعموا منهجه وكثر السلاح في عصره قال لقد أجدت في وصفك وبالغت فيما ذكرت من قولك فأخبرني عن الرشيد كيف كانت طريقته قلت كان مواظبا على الحج والغزو واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور في طريق مكة وأظهر ذلك بها وبنى وعرفات ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم فعم الناس احسانه مع ما قرن به من عدله ثم بنى الثغور ومدن المدن وحصن فيها الحصون مثل طرسوس وأذنة وعمر المصيصة ومرعش وأحكم بناءها الحرب وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين واتبعه عماله وسلكوا طريقته وفقته رعيته مقتدية بعمله مستنة بامامته فحمط الباطل وأظهر الحق وأثار الاسلام وبرز على سائر الامم وكان أحسن الناس في أيامه فعلا أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة واتخاذ المصانع المعروف

المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على القتل بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فظهر شئ من هذا فأتى الى ابن ملاعب أولاده وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضي كذا وكذا وارأى ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فأحضره ابن ملاعب فأتاه في كمه مصحف لانه رأى أمارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له أيها الامير قد علم كل أحد اني أتيتك خائفا جائعا فأمنتني وأغنيتني وعززتني فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدني على منزلتي منك وما عمرني من نعمتك سعى بي اليك فأسألك ان تأخذ جميع ما معي وأخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والصحيح فقبل عذره وأمنه وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن الصائغ وأشار عليه ان يوافق رضوانا على انفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من أسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ويأتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم واهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا أذن لهم في المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وأمرهم بالمقام عنده وأنزلهم في ربض افامية فلما كان في بعض الليالي نام الحراس بالقلعة فقام القاضي ومن بالحصن من أهل سرمين ودلوا الحبال وأصعدوا أولئك الفادمين جميعهم وقصدوا أولاد ابن ملاعب وبني عمه وأصحابه فقتلوهم وأتى القاضي وجماعته معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته وأحس بهم فقال من أنت فقال ملك الموت جئت لقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل أصحابه وهرب ابناه وقتل أحدهما والتحق الآخر بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر لحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له القاضي ان وافقتني وأقمت معي فبالرحب والسعة ونحن بحكمك والا فارجع من حيث جئت فأيس ابن الصائغ منه وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على أبيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق وأخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين منه فأرسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس فيه غير قوت شهر فأقاموا عليه يحاصرونه فجاع أهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليه وأخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان أباطاهر بن الصائغ قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله أعلم

## ﴿ ذكر نهب العرب البصرة ﴾

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها عاملا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليهما من العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير فقاتلهم التونتاش فانهزم وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها بالسيف وأخربوا القعدة وأحرقوا الاسواق والدور والحسان ونهبوا ما قدروا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد أهلها في السواد ونهبت خزانة كتب

أوقفت على ذلك من الوقوف وما ظهر في أيامه من فعل البرامكة وجودهم وافضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم وكان الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان ورمى بالنشاب في البرجاس ولعب بالاكرة والطيطاب وقرب الحذاق في ذلك فعم الناس ذلك الفعل وكان أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس والنرد وقدم اللعاب وأجرى عليهم الرزق فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس وكثير ممن يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف قال الظاهر فأراك قد قصرت في تفضيل أم جعفر فلم ذلك قلت يا أمير المؤمنين ميلا الى الاختصار وطلبا للايجاز قال فتناول الحربة وهزها فرأيت الموت الاحمر في طرفها ثم برق عيني مع ذلك فاستسلمت وقلت هذا ملك الموت ولم أشك أنه يقبض روحي وأهوى بها نحوي فزغت منها فاسترجع وقد أخطأتني فقال ويلك أبغضت ما فيه عيناك وملت الحياة قلت هو يا أمير المؤمنين قال أخمار أم جعفر زدني منها قلت نعم يا أمير المؤمنين

كان من فعلها وحسن سيرتهم في الجد والهزل ما برزت فيه على غيرها فأما الجد والآثار الجميلة التي لم يكن في الاسلام

مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز فانها حفرتها ومهدت الطريق لمائها فى كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر حتى أخرجتها من مسافة اثنى عشر ميلا الى مكة فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور وانفاقها الالوف على ذلك دون ما كان فى وقتها من البذل وماعم أهل الفاقة من المعروف والخصب وأما الوجه الثانى مما تتباهى به الملوك فى أعمالهم وينعمون به فى أيامهم ويصونون به دولهم ويدونّ فى أفعالهم وسيرهم فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجوهر وصنع لها الرفيع من الوشى حتى بلغ الثوب من الوشى الذى اتخذ لها خمسين ألف دينار وهى أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجوارى يختلفون على الدواب فى جهاتها ويذهبون فى حوائجها برسائلها وكتبها وأول من اتخذ القباب الفضة والابنوس والصندل وكلل لبهاء من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الاحمر والاصفر والاخضر والازرق واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر وتشبه الناس فى سائر أفعالهم بأم جعفر ولما أفضى الامر الى ولدها يا أمير المؤمنين قدم الخدم



كانت موقوفة وقفها القاضى أبو الفرج بن أبى البقاء وبلغ الخبر صدقة فأرسل عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا أرسل شحنة وعميدا الى البصرة وأخذها من صدقة وعاد أهلها اليها وشرعوا فى عمارتها

## ﴿ ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج ﴾

كان صنجيل الفرنجى لعنه الله قد ملك مدينة جبلة وأقام على طرابلس يحصرها حيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا وأقام مراصد لها ومنتظرا لوجود فرصة فيها فخرج فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس فأحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض سقوفه المنحرفة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها فى البحر فأخرج اليها فخر الملك بن عمار اسطولا فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فعدمت الاقوات به وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد ومما أضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استجد سقمان بن ارتق فجمع العساكر وسار اليه فمات فى الطريق على ما ذكرناه واذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه فى باب الجهاد فاخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا له انه تأتيه الميرة من عرقة والجبل فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شئ الى البلد فأرسل ابن عمار وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام وأكثرها تجملا وثروة فباع أهلها من الحلى والاوانى الغريبة مالا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيام السلطان الب ارسلان وقد ذكرت ظفرهم بهم سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقد كان بعض أصحابه وهو متشتكين دواتى عميد الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين وأحمدشاه فقتلاه وأرسلا أمواله الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى ملطية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل فى غزاته مائة ألف آدمى ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهى حينئذ للروم ومعهم بنو غير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم ونهبهم وذهب بلاد الروم فأرسل ملك الروم رسولا الى القائم بأمر الله يسأله الصلح فأرسل الى الب ارسلان فى ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغال الافشين فكان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استنجزهم وبين حال الناس فى زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وستترى ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قائما يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم بمن أحب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز

﴿ (ذكر عدة حوادث) ﴾

في هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك المغرب قاصدا الى دار الخلافة فأكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا وعظ الفقيه في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو ملثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل أمير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر وكان أمير الجيوش بدر والد الافضل أراد اصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فأمر بقتل من ظفر به منهم فلما ولي ابنه الافضل أحسن اليهم واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل في بعضها شهيدا وكان شجاعا فتا كامقداما وفيها في ربيع الآخر ظهر كوكب في السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقي يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك فلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فاقام بحران اياما ومرض مرضا شديدا أوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقي أصحابه بحران وفي هذه السنة توفي الشيخ أبو منصور الخياط المقرئ امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضي أبو العلاء صاعد بن أبي محمد النيسابوري الحنفي بجامع اصبهان قتله باطني وفيها توفي أبو الفوارس الحسين بن علي بن الحسين بن الحازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب ختمة وفيها في المحرم توفي القاضي أبو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية المشهورين تفقه على الماوردي وأبي اسحق وأخذ النحو عن الرقي والدهان وابن برهان وكان عفيفا معدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها في المحرم توفي سهل بن أحمد بن علي الارغياني أبو الفتح الحاكم تفقه على الجويني وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن وفيها في صفر توفي الامير مهارش بن مجلي وله نحو ثمانين سنة وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير وأهله ولما توفي ملك الحديثة بعده ابنه سليمان

﴿ ثم دخلت سنة خمسمائة ﴾

﴿ (ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي) ﴾

في هذه السنة توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم والملوك الاندلس على ما ذكرناه جمع الفقهاء وأحسن اليهم فقالوا له ينبغي ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليده ولاية البلاد فكتب له تقليدا من ديوان الخلافة بما أراد ولقب أمير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك سرورا كثيرا وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقي على ملكه الى خمسمائة فتوفي وملك بعده البلاد

المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية وألبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت أردافهن وبعثت بهن اليه فاختلفن في يديه فاستحسنهن واجتذبن قلبه اليهن وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات وألبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر لذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ونادى بأعلى صوته يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة تتهن واحدة وهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فأخذ الكأس بيده فأقبلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه وحسن أولئك الجواري والحربة بين يديه وأسرع في شربه فقال هيه فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم أفضى الامر الى المأمون فكان في يده أمره فلما غلب عليه الفضل ابن سهل وغيره يستعمل النظر في احكام النجوم

ولده على بن يوسف وتلقب أيضا أمير المسلمين فازداد فى اكرام العلماء والوقوف عند اشارتهم وكان اذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب أهل العلم والدين ويحكمهم فى بلاده وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته الغزاوية وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته ياجاهل ما حملك على هذا الذى لا تصل اليه ثم أرسله اليها فتركته فى خيمة ثلاثة أيام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شئ واحد وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته

## ﴿ ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك ﴾

فى هذه السنة قتل فخر الملك أبو المظفر على بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان أكبر أولاده وقد ذكرنا سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته قصد نيسابور وأقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له وأصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت الليلة فى المنام الحسين بن على عليه السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد اشتغل فكرى به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحييك الله والصواب ان لا تخرج اليوم والليلة من دارك فاقام يومه يصلى ويقرأ القرآن ويتصدق بشئ كثير فلما كان وقت العصر خرج من الدار التى كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فاحضره عنده رحمة له فحضر فقال ما حالك فدفع اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطنى الى سنجر فقرره فاقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعونى على قتله وأراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطنى بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

## ﴿ ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت ﴾

فى هذه السنة فى صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبنى مقن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين واربعمائة بيد رافع ابن الحسين بن مقن فمات وولها ابن أخيه أبو منعة خميس بن تغلب بن حماد وجدبها احتماله ألف دينار سوى المصاغ وتوفى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وولها ولده أبو غشام فلما كان سنة أربع وأربعين وثب عليه عيسى فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته أميرة بعد موته أن يعود أبو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقى فى الحبس أربع سنين واستنابت فى القلعة أبا الغنائم بن المحلبان فسلمها الى أصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن أبى غشام بابه وأخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك أمر القلعة الى انسان يعرف بابى العباس الرازى فمات بها بعد ستة أشهر فملكها المهرباط وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن خشنام من بلد الثغر فاقام بها احدى وعشرين سنة ومات وولها ابنه سنتين وأخذتها منه تركان خاتون وولها لها كوهرآيين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بابى المصارع ثم عادت الى كوهرآيين اقطاعا ثم أخذها منه مجد

الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيرا من الجدليين والنظارين كابى الهذيل وأبى اسحق ابراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الادباء وأقدمهم من الامصار وأجرى عليهم الارزاق فرغب الناس فى صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله وكان أكثر الناس عفوا وأشدهم احتمالا وأحسنهم مقدرة وأجودهم بالمال الرغيب وأبذلهم للعطايا وأبعدهم من التقافه واتباعه وزراؤه وأصحابه فى فعله وسلكوا سبيله وذهبوا مذهبه ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك فى النحلة رأى أخيه المأمون وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بالملوك الاعاجم فى الآلة ولبس القلانس والشاشيات فلبسها الناس اقتداء بفعله وائتماما به فسميت المعتصميات وعم الناس افضاله وأمنت به السبل فى أيامه وشمل احسانه ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه وعمه وعاقب المخالف وامتحن الناس وكثر معروفه وأمر القضاة

الملك البلاسانى فولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمى فاقام بها ثانى عشرة سنة فظلم أهلها وأساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين ونهبها كان كيقباذ ينهبها ليلا وسقمان ينهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت أخيه بركيارق اقطعها للامير آقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها فى صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقى ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها وارام بن أبى فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو أقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس فى اعتقاده ومذهبه

﴿ ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة وأخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة أرسل ولده بدران فى جيش الى طرف بلاده مما يلى البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون أهل تلك النواحى فقربوا منه وتهددوا أهل البلاد فكتب الى أبيه يشكوهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضى ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهز وامع عسكره ليأخذوا بثارهم من خفاجة فساروا فى مقدم عسكره فادركوا جملة من خفاجة من بنى كليب ليلا وهم غارون لم يشعروا به فقالوا من أنتم فقالت عبادة نحن أصحاب لدبون فعلموا أنهم عبادة فقاتلوهم وصبرت خفاجة فبيناهم فى القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان فيهم عشرة من وجوههم وتركوا حرمهم فامر صدقة بحراستهن وحمايتهن وأمر العسكر ان يؤثروا عبادة بما غنموه من أموال خفاجة خلفا لهم عما أخذ منهم فى العام الماضى وأصاب خفاجة من مفارقة بلادها ونهب أموالها وقتل رجالها أمر عظيم وارتحلت الى نواحى البصرة واقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت أموالها جاءت امرأة منهم الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا وأضعت حرمتنا فابك الله فى نفسك وجعل صورة أهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك وأعطاها أربعين جملا ولم يمض غير قليل حتى قابل الله صدقة فى نفسه وأولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

﴿ ذكر مسير جاولى سقاو الى الموصل وأسر صاحبها جكرمش ﴾

فى هذه السنة فى المحرم اقطع السلطان محمد جاولى سقاو والموصل والاعمال التى بيد جكرمش وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس وأقام بها سنين وعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة فى أهلها وقطع أيديهم وجدع أنوفهم وسمل أعينهم فلما تمكن السلطان محمد من السلطنة خافه جاولى وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية أشهر فارسل جاولى الى السلطان انى لا أنزل الى مودود فان أرسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع أمير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة باصبهان فرأى من السلطان ما يحب وأمره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل فى الخدمة وحمل المال فاقطع بلاده لجاولى فجاءه الى بغداد وأقام بها الى أول ربيع الاول وسار الى الموصل وجعل

يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد ونهى عن الجدل والمناظرة فى الآراء وعاقب عليه وأمر بالتقليد وأظهر الرواية للحديث فحسنت أيامه وانتظمت دولته ودام ملكه وغير ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه قال القاهر قد سمعت كلامك وكأنى مشاهد للقوم على ما وصفت معاينا لهم فيما ذكرت ولقد سرتنى ما سمعت منك ولقد فتحت أبواب السياسة وأخبرت عن طرق الرياسة ثم أمر لى بجائزة عجل لى عطاءها فى وقتها ثم قال لى اذا شئت فقم فقمت وقام على أثرى بحربته فخيل والله لى أن يرمينى بها من ورائى ثم عطف نحو دار الخدم فمضت الايام يسيرة حتى كان من أمره ما ظهر (قال المسعودى) وهذا الرجل الذى أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان وهو حى يرزق الى هذه الغاية وهى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة مداحا للملوك شاعرا لاهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأى (وفى خلافة القاهر بالله) وهى سنة احدى وعشرين وثلثمائة كانت وفاة أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد وكان ممن قد برع فى زماننا هذا فى الشعر وانتهى فى اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها

طريقه على البوازيج فملكها ونهبها أربعة أيام بعد ان أمن أهلها وحلف لهم انه يحميهم فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب فى جمع العساكر فاتاه كتاب أبى الهيجاء بن موسك الكردى الهذبانى صاحب اربل يذكر استيلاء جاولى على البوازيج ويقول له ان لم تعجل الجئ لنجتمع عليه ونغنمه والا اضطررت الى موافقته والمصير معه فبادر جكرمش وعبر الى شرقى دجلة وسار فى عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وأرسل اليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده فاجتمعوا بقرية باكلبا من اعمال اربل ووافاهم جاولى وهو فى ألف فارس وكان جكرمش فى ألفى فارس ولا يشك انه يأخذ جاولى باليد فلما اصطفوا للحرب حمل جاولى من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقى جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل فى محفة فلما انهزم أصحابه قاتل عنه ركابى أسود قتالا عظيما فقتل وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود اسمه أحمد فقاتل بين يديه فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر أصحاب جاولى على الوصول الى جكرمش حتى قتل الركابى الاسود فحينئذ أخذوه أسيرا وأحضروه عند جاولى فامر بحفظه وحراسته وكانت عساكر جكرمش التى استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فساروا جرائد ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضى الله أمرا كان مفعولا

## ﴿ذكر حصر جاولى سقاو والموصل وموت جكرمش﴾

لما انهزم العسكر وأسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعد وا فى الامر زنكى بن جكرمش وهو صبى عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلى فقام فى ذلك المقام المرضى وفرق الاموال التى جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسقى شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولى عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان واما البرسقى وقلج ارسلان فتذكر حالهما ثم ان جاولى حصر الموصل ومعه كرماوى بن خراسان التركانى وغيره من الامراء وكثر جمعه وأمر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل وينادى أصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويامرهم بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه فى جب ويوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج فى بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من أعيان أهلها وكان أبو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على أموره وحضر معه الحرب فلما أسر جكرمش هرب أبو طالب الى اربل وكان أولاد أبى الهيجاء صاحب اربل قد حضروا الحرب مع جكرمش واسرهم جاولى فارسل الى أبى الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولى ابن أبى الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولى ضمن له فتح الموصل وبلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضى الموصل أبو القاسم بن ودعان عدوا لابى طالب فارسل الى جاولى يقول له ان قتلت أبا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وأرسل رأسه اليه فاظهر الشماتة به وأخذ كثيرا من أمواله وودائعه فثار به الاتراك غضبا لابى طالب ولتفرده بما أخذ من أمواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا

---

من أن نحصيه أو يأتى عليه
كتابنا هذا فمن جيد شعره
قصيدته المقصورة وأولها
أماترى رأسى حاكى لونه
طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده
مثل اشتعال النار فى جزل
الغضى

(ومنها)

ان الجديدين اذا ما استوليا
على جديد أدنياه للبلى
لست اذا ما أنهضتنى غمرة
ممن يقول بلغ السيل الربى

(ومنها)

وان ثوت بين ضلوعى زفرة
تملاما بين الرحا الى الرحا

وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن الفهم التنوخى الانطاكى وهو فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة بالبصرة فى جملة اليزيديين وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة

لولا انتهائى لم أطع نهى الهوى
مدى الصبا نطلب من حاز المدى
ان كنت أقصرت فما أقصر قلـ
ـب داميا ترميه ألحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهل الغضا
أغضت وفى أجفانها جمر الغضى (وفيها يقول) وكم ظباء رعيها ألحاظها * أسرع فى الانفس من حد الظبى ما

مالانحصيه من قرب وفاة أحد المتعاديين بعد صاحبه

## ﴿ ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج ﴾

فى هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجى فسار بيمند الى بلد ملك الروم ونهبه وعزم على قصده فأرسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوى بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم أجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج وأتى القتل على أكثرهم وأسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فأتاهم خبر قتله على ماذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة وأقاموا

## ﴿ ذكر ملك قلج ارسلان الموصل ﴾

قد ذكرنا ان أصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسقى والملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش السلجوقى صاحب بلاد الروم يستدعون كلا منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان وأما قلج أرسلان فانه سار فى عساكره فلما سمع جاولى سقاو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل وأما البرسقى فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولى عنها ونزل بالجانب الشرقى فلم يلتفت أحد اليه ولا أرسلوا اليه كلمة واحدة فعاد فى باقى يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين أقام بها حتى كثر جمعه فلما سمع جاولى بقربه رحل من الموصل الى سنجار وأودع رحله بها واتصل به الامير ياغازى بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه أربعة آلاف فارس فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجزوا عن الشام عن منعهم فسار الى الرحبة وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها فى الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمعروفة وخرج اليه ولد جكرمش وأصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت وأسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى العسكر وأخذ القلعة من غرغلى مملوك جكرمش وجعل له فيها دزدارا ورفع الرسوم المحدثة فى الظلم وعدل فى الناس وتألفهم وقال من سعى الى بأحد قتلته فلم يسع أحد بأحد وأقر القاضى أبا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزورى على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابى البركات محمد بن محمد بن خميس وهو ولد شيخنا أبى الربيع سليمان وكان فى جملة قلج ارسلان الامير ابراهيم بن ينال التركمانى صاحب آمد ومحمد بن جبق التركمانى صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه لمدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده وأما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومى ترجمان ملك الروم وكانت الرها وانطاكية من أعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن زياد من الميرة والاقامة فأخذه جبق وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه وأمره على الرها فلم يزل عليها حتى مات وأخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجى وكان يقطع

وثلثمائة فاقام فى الخلافة الى أن مضى من ربيع الاول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ومات حتف أنفه بمدينة السلام

وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الخلواتى ابن محمد بن زيد الداعى بطبرستان بقوله

قفا خليلى على تلك الربى
وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتى ربعت ربوعها
عليك باستنجادها تشفى الجوى

(ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا)

ماشئت قل هى المها هى القنا
جواهر بكين أطراف الدمى
وممن تأخر بعد موت ابن دريد العمانى أبو عبد الله المفجع وكان كانبا شاعرا بصيرا بالغريب وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن دريد فما جود فيه المفجع قوله

ألا طرب الفؤاد الى ردين
ودون مزارها ذو الحلمتين
ألم خيالها وهنا برحلى
فولى رعيه الشرطين عينى

وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن فى الكتاب الاوسط فمنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب

## (ذكر خلافة الراضى بالله)

وبويع الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس يوم الخميس لست خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين

واستوزر الراضي أبا علي محمد بن علي بن مقلة ثم استوزر أبا علي عبد الرحمن ابن عيسى بن داود ابن الجراح ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات ثم أبا عبد الرحمن ابن محمد اليزيدي وكان الراضي أديبا شاعرا ظريفا وله اشعار حسان في معان مختلفة ان لم يكن ضاهى بها ابن المعتز فانقص عنه فمن ذلك قوله في حاله وحال معشوقه اذا اتقيا

يصفر وجهي اذا تأمله
طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته
من دم وجهي اليه قد نقلا

(ومن جيد شعره قوله)

يارب ليل قد نامزاره
يسترني ومؤنسي أزراره
ساق مليح القد كد جاره
سراجه ووجهه مناره
يشهد لي ببذله زناره
تاه بحد ظهر احمراره
ماس مع الحمرة جلناره
أي كثيب قد حوى ازاره
وأي نور ضمنت أزراره
طوع الكؤس غره عذاره
اخفاؤه تعاده امراؤه
لا كان لي ولم يثر غباره

(وقد كان) أبو بكر الصولي يروي كثيرا من أشعار الراضي ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره وارتياضه بالعلم وفنون

الطريق ويكثر قتل المسلمين فأرسل اليه جبق هدية وخطب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما صاحبه فأجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك افرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه أرسل اليه جبق اني أريد قصد بعض الاماكن وطلب ان يرسل اليه أصحابه فأرسلهم اليه فلما سار وامعه في الطريق تقدم يكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجي وقال لاهليهم والله لئن لم تسلموا الي افرنجي لاضربن أعناقهم ولا آخذن الحصن عنوة ولا قتلنكم على دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه افرنجي فسلخه وأخذ أمواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولي بعده ابنه محمد

﴿ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولي الموصل﴾

قد ذكرنا ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولي عن الموصل الى سنجار ثم الى الرحبة فوصلها في رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بني شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها وأخذ ولده رهينة وحمله معه الى دمشق فلما توفي أرسل هذا الشيباني قوما سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب في بعض الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولي وحصرها أرسل الى الملك رضوان يعرفه انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشرط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على أهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا بأحد الابراج وأرسلوا الى جاولي واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وأمروه ان يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من في البرج أصحابه اليهم في الحبال فضربوا بوقاتهم وطبولهم فخذل من في البلد ودخله أصحاب جاولي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم أمر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيباني صاحب البلد وأطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جاولي سقاو ليحاربه وجعل ابنه ملكشاه في دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه أمير يدبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولي فاختلفوا وكان أول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور الى بلده وكذلك غيره وعمل قلج ارسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولي وكثرة جموعه وأرسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولي أربعة آلاف من جملتهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانه أكثر واغتنم جاولي قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا في العشرين من ذي القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فأبانها ووصل الى جاولي بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل أصحاب جاولي على أصحابه فهزموهم واستباحوا ثقلهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان في بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه في الخابور وحمى نفسه من أصحاب جاولي بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد أيام فدفن بالشمسانية وهي من قرى الخابور وسار جاولي الى الموصل ولما وصل اليها فتح أهلها له بابها ولم يتمكن من بها من أصحاب قلج

ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد وأخذ كل واحد من أصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة فلما ملك جاولى الموصل أعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بهامن أصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشى بن جكرمش ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه بمز غلى فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وأرسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

﴿(ذكر أحوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)﴾

فى هذه السنة ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من أصبهان واسمها شاهدز وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان لها فلما مات استولى أحمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد البسوه تاجا وجمعوا له أموالا وانما فعلوا ذلك به لتقدم أبيه عبد الملك فى مذهبهم فانه كان أديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه أحمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب قلعة الموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان أبيه لانه كان أستاذى وصار لابن عطاش عدد كثير وبأس شديد واستفحل أمره بالقلعة فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى السلطانية وأملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنها الاذى فتعذر بذلك انتفاع السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالحلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة اصبهان التى بأيديهم لان الاذى بها أكثر وهى متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه لحاصرهم فى سادس شعبان وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر فارجفوا ان قلج ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها واقتعلوا فى ذلك مكاتبات ثم أظهروا ان خللا قد تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حربهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له الخت فى أعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم ومواعدتهم وان يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى فاجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا للمناظرة ومعهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بحضرة من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم أخبرونا عن امامكم اذا أباح لكم ما حظره الشرع أو حظر عليكم ما أباحه الشرع اتقبلون أمره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية سألوا السلطان ان يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على أشخاص من العلماء منهم القاضى أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم

أن الراضى رأى فى بعض متنزهاته باليونابستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضر هل رأيتم أحسن من هذا فكل قال أشياء ذهب فيها الى مدحه ووصف محاسنه وانها لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال لعب الصولى بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون (وذكر) أن الصولى فى بدء دخوله الى المكتفى وقد كان ذكر له بجودة لعبه الشطرنج وكان الماوردى اللاعب معجبا بلعبه فلعبا جميعا بحضرة المكتفى فحمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم الخدمة والالسنة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولى غايته غلبا لا يكاد يرد عليه شيأ وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى فعدل عن هواه ونصره للماوردى وقال له صار ما وردك ولا (قال المسعودى) وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف الى جمل من أخبار الشطرنج وما قيل فيها مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الهند

ومبادى اللعب بالشطرنج والنردوا تصال ذلك بالاجسام العلوية والاجرام السماوية فلنذكر جملا مما ذكر فى ذلك مما لم يتقدم

ونناظروهم وعادوا كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلما حينئذ السلطان فى حصرهم فلما رأوا عين المحاققة اذعنوا الى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامة فلا بد من مكان نحتمى به منهم فأشير على السلطان اجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ليرحلوا الى خالنجان ويسلموا القلعة وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال أحد عنهم شيأ سلمه اليهم وان من أتاه منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من الاقامة ما يكفيهم يوما بيوم فأجيبوا اليه فى كل هذا وقصدهم المطاولة انتظار العتق ينفتق أو حادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا فى قلعتهم ثم انهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميرا كان يبالغ فى قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر السلطان باخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهى لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم فى ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة ألموت فأجيبوا الى ذلك فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذى بقى بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذى قرره فأمر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثانى ذى القعدة وكان قد قل عنده من يمنع وقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استأمن الى السلطان انسان من أعيانهم فقال لهم انى أدلكم على عورة لهم فأتى بهم الى جانب لذلك السن لهم لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذى ترون اسلحة وكراغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقى ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم وأما ابن عطاش فانه أخذ أسيرا فترك أسبوعا ثم انه أمر به فشهر فى جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشى جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد وألقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت أيضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتى عشرة سنة

## ﴿ذكر الخلف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة﴾

فى هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن أبى الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن أبى الجبر الى صدقة وأظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك ان صدقة لما أقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب فى الاعمال أولاده وأصحابه فسدوا أيديهم فى الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى فى خلاصه بدران بن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فاخرجه من الحبس وأعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن أبى الجبر واسط فانحل على مهذب الدولة كثير من أمره فآل الامر الى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع اسمعيل جد حماد والمختص محمد والد مهذب الدولة أخوان وهما ابنا أبى الجبر وكانت اليهما رياسة أهلهما وجماعتهما

---

له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب وذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه فى تفضيل صنعة الكلام وهى الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل بن أحمد من أجل احسانه فى النحو والعروض وضع كتابا فى الايقاع وتراكيب الاصوات وهو لم يعالج وترا قط ولا مس بيده قضيبا قط ولا كثرت مشاهدته للمغنين وكتب كتابا فى الكلام ولو جهد كل بليغ فى الارض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ولو أن مرورا استغرق قوامرته فى الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ولا يتأتى مثل ذلك لاحد الا بتعذلان الله الذى لا يقى منه شئ قال الجاحظ ولولا أن أسحف الكتاب وأهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد الى الهزل حكيت صدر كتابه فى التوحيد وبعض ما وصفه فى العدل قال ولم يرض بذلك حتى عمد الى الشطرنج فزاده فى الدولاب حملا فلعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ثم رموا به وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيأتها ست صور لم يظهر فى اللعب غيرها فأولها آلة المربع المشهورة وهى ثمانية فى مثلها ونسبت الى قدماء الهند ثم الآلة المستطيلة وأبياتها أربعة فى سنة عشر والامثلة تنصب فيها فى أول وهلة فى أربعة صفوف من

وجماعتهما فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين وسلمه الى كوهرائين فحمله الى أصبهان فهلك فى طريقها فعظم أمر مهذب الدولة وصبر كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعة تحت حكمه وكان حماد شابا فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنته اله وزاد فى اقطاعه فكثر ماله فصار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه وربما اظهر فى بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه بجهده فلما هلك كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة وأظهر ما فى نفسه فاجتهد مهذب الدولة فى اعادته الى ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حمادا فهرب منه الى سيف الدولة بالحلة فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فحشد مهذب الدولة فارسل حماد الى صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لئلا يظن به العجز فاشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته فلم يفعل وسير سفنه وأصحابه فى الانهر فجعل حماد وأخوه له الكمناء وادفعوا من بين أيديهم فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من لم يحضر أجله فقتل منهم وأسر خلق كثير فقوى طمع حماد وأرسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمرى وغيره من المقدمين وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله فمال اليه واجتمع به وتقرر الامر على ان أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضى عنه وأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم فى ذى الحجة سنة خمسمائة

## ﴿ ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام الملك ﴾

فى شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبى المحاسن وأخذ ماله وصلبه على باب أصبهان وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين اليه أما الوزير فنسب الى خيانة السلطان وأما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة أشهر وكان فى ابتداء حاله يحجب تاج الملك أبا الغنائم وتعطل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره أخوه السلطان بركيارق باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد ووسع له فى الاقطاع وحكمه فى دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة المماليك وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف أولادنا هذه الخبيثة فتؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان ان آبائى أدروا على نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم فامر لابى نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض السلطان على الوزير وأحمد هذا فى الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة وحكمه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار حاكما

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

والآلة المربعة وهى عشرة فى مثلها والزيادة فى أمثلتها قطعتان تسميان الدياسين ومسيرهما كمسير الشاه الا أنهما يأخذان ويؤخذان ثم الآلة المدورة المنسوبة الى الروم ثم الآلة النجومية التى تسمى الهلكية وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيرين وعلى ألوانها (وقد بينا) فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالاجسام السماوية وقد قيل فى عشقها للاشخاص العلوية أو تحرك الفلك بعشقه لما فوقه وقولهم فى النفس ونزولها فى عالم العقل الى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت فى زماننا هذا وهى سبعة أبيات فى ثمانية وأمثلتها اثنا عشر فى كل جهة منها ستة كل واحد من الستة يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهى سائر الحواس والخامس

في هذه السنة في صفر عزل الوزير أبو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياما وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فان أباه أبا نصر بن جهير بناها بانقاض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها في شوال توفي الامير أبو الفوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن أبي الشوك الكردي وكانت له أموال كثيرة وخيول لا تحصى وولي الامرة بعده أبو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة في بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفي هذه السنة توفي أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد الاصبهاني ابن أخت عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفي أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة وأشعار لطيفة وهو من أعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازي الفقيه ولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان يروي الحديث أيضا وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وأبو الكرم المبارك ابن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من أبي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما وكان اماما في النحو واللغة

## ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة

### (ذكر قتل صدقة بن مزيد)

في هذه السنة في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي أمير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فاجارهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية لبده والشد منه على أخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمدا قطاعا من جملته مدينة واسط وأذن له في أخذ البصرة ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمد بن الحسين البلخي وقال في جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم أمره وزاد حاله وكثر ادلاله ويبسط في الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا تحتمله الملوك لاولادهم ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله ثم انه تعدى ذلك حتى طعن في اعتقاده ونسبه وأهل بلده الى مذهب الباطنية وكذب واغا كان مذهبه التشيع لا غير ووافق أرغون السعدي أبا جعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة وأهله فلم يؤاخذهم بشئ مما كان له أيضا هناك من بقايا خراج بلده فامر صدقة أن يخلص ذلك اليه باجمعه ويسلم الى زوجته واما سبب قتله فان صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على أبي دلف سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فاجاره فارسل السلطان يطلب من صدقة ان يسلمه الى نوابه فلم يفعل وأجاب انني لا أمكن منه بل أحامي عنه وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا

---

المشترك وهو الذي من القلب اعب بها كيفية صورها ومبادئها ووجوه علاجها والغرائب فيها وتصنيف القوائم والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات (وقد استعمل) نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار اليها وان ذلك بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادي عند الاعياء والمائح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب كما ان الشعر والارتجاز من عدة المحارب (وقد قيل) فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللعاب فمن ذلك

نوادر الشطرنج في وقتها
أحر من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له
عونا على مستحسن القمر
(ومما قيل فيها) وبالغ في وصف اللعب بها المأمون
أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين الفين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لهاشبها
من غير أن يسعيا فيها بسفك دم
ما غير على هذا وذاك على

---

ذا غير وعين الحرب لم تنم فانظر الى الخيل قد جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم ومما قيل لها وبولغ منه

منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الامر فلما سمع صدقة استشار أصحابه فى الذى يفعله فاشار عليه ابنه دبيس بان ينفذه الى السلطان ومعه الاموال والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال فى القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع اليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل فارسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فاجاب صدقة انى على طاعة السلطان لكن لا آمن على نفسى فى الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء على بن طراد الزينبى ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهروى الى صدقة يطيب قلبه ويزيل خوفه ويأمره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهز للغزاة معه فاجاب ان السلطان قد أفسد أصحابه قلبه على وغيروا حالى معه وزال ما كان عليه فى حقى من الانعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا فى صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا بخلون وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل السلطان الى بغداد فى العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك وسير البرسقى شحنة بغداد فى جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان حريدة لا يبلغ عسكره ألفى فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل الى الامراء يأمرهم بالوصول اليه والجد فى السير وتعجيل ذلك فوردوا اليه من كل جانب ثم وصل كتاب صدقة الى الخليفة فى جمادى الاولى يذكر أنه واقف عند ما رسم له ويقرر من حاله مع السلطان ومهما أمرته من ذلك امتثله فانفذ الخليفة الكتاب الى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة ولا محالة عندى فارسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه ويأمره بانفاذ ثقته ليستوثق له ويحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأى وقال اذا رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه فى الجهاد وأما الآن وهو ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندى مال ولا غيره وان جاولى سقاوو ويابغازى بن ارتق قد أرسلا الى بالطاعة لى والموافقة معى على محاربة السلطان وغيره ومتى أردتهما وصلا الى فى عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوى بن خرسان التركمانى وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائى وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس منهم حسان بن المفرج الذى مدحه التهامى وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رآه طغتكين اتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وعاقده فاكرمه صدقة وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار فى الطلائع ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى أصحابه وأنزله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استأذنه فضل فى اتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب ان أراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وأنفذ السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركمانى فاخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم الا أصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب أحد وأنفذ خيله الى بلد قوسان وهو من أعمال صدقة فنهبه أقبح نهب وأقام عدة أيام

النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده (وقد قيل) فى لعبها ووصفها واحكام الفصين فيها وقضائهما ما على لاعبها أشعار

العمال وممن اشتهر بمعرفتها واللعب بها وهو

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها
عواقب لا يسمو بها غير جاهل
وأبصر اعقاب الاحاديث فى غد
بعينى مجد فى مخيلة هازل
ليجرى على السلطان فى ذلك أنه
أراه بها كيف انتقاء الغوائل
ونصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

(قال المسعودى) فأما ما قيل فى النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب كيفية نصبها والمحدث للعبها على ما حكى من التنازع فى ذلك عند ذكرنا أخبار الهند وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ووجوه من النصب الا ان عدد البيوت واحد لا زيادة فيها ولا نقصان على ما تقدم فى ذلك من عملها والمعهود فى أصولها وان الفصين فيها محكمان واللاعب بهما وان لم يكن مختارا ولا خارجا عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج الى أن يكون صحيح

فارسل صدقة اليه ثابت بن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها الاتراك وأقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من الجندار تضاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت وعسكره لم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدد يأتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت فى وجهه وكثر الجراح فى أصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقدنهبوا بعض البلد ونادى فى الناس بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه ففعلوا فيه ما لا يحد وأما السلطان محمد فانه سار عن بغداد الى الزعفرانية ثانى جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين ابن المطلب يأمره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب وأشار قاضى أصبهان بذلك واتباع أمر الخليفة فأجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على ابن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة فى بلدى وجهز ابنه دبيسا ليسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة فى هذا الحديث اذ ورد الخبر ان طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطيرا باذوان الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهى الركوب الى أصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض أحد منهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف أثق ارسل ولدى الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ما ترون فان تكفلتم برده الى أنفذته فلم يجسروا على كفالته فكتب الى الخليفة يعتذر عن انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأى اننا ننهب شيأ قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع البعض فعبر من أجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لئلا ينسب الى خور وجبن ولئلا يتم على من عبر وهن فيكون عاره واذاه عليهم فعبروا بعدهم أيضا فاتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء وأهل الدين وبنى باقطاعه من اذربيجان عدة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما أخذ منهم من الاموال والدواب خوفا منه حيث فعلوا ذلك بغير أمره وطمع العرب بهذه الهزيمة وظهر منهم الفخر والتيه والطمع وأظهروا انهم باعوا كل أسير بدينار وان ثلاثة باعوا أسيرا بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزا وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى بأسير ويتعشى بآخر وظهر من الاتراك اضطراب عظيم وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح فاجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة أيضا الى السلطان يعتذر مما نقل عنه ومن الحرب التى كانت بين أصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى أصحابه فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يدا من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء وأبا سعد الهروى الى صدقة فقصدا السلطان اولا وأخذا يده بالامان لمن يقصده من اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب

الذكاء اذا ما كان محروما
تربك أفعال فصيرها
بحكمهما
ضدين فى الحال ميمونا
ومشؤما
فما تكاد ترى فيها أخا أدب
يفوته القمر الا كان
مظلوما

(وأخبرنى) أبو الفتح محمد ابن الحسن السمندى بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والادب انه كتب الى صديق له يذم البرد وكان بها مشتهرا أبياتا وهى

أيها المعجب المفاخر بالنر
دليز هو بها على الاخوان
فلعمرى حرصت جهدا على قـ
ـرك لو لم تواتك الغصان
غير ان الاديب يكذبه
الظن
ويبكى لشدة الحرمان
واذا ما القضاة جاءت بحكم
لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمرى ما كنت أول
انسا
ن تمنى فأخلفته الاماني
وأنشدنى أبو الفتح أيضا
لابى نواس
ومأمورة بالامر تأتى بغيره
ولم تتبع فى ذاك غيا ولا رشدا
اذا قلت لم تفعل وليست
مطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

السلطان موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما أخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولا بالخضوع والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدى السلطان لفعلت لكن ورائى من ظهرى وظهر أبى وجدى ثلثمائة امرأة ولا يجهلهن مكان ولو علمت انى اذا جئت السلطان مستسلما قبلنى واستخدمنى لفعلت لكننى أخاف انه لا يقيل عثرتى ولا يعفو عن زلتى وأما ما نهب فان الخلق كثير وعندى من لا أعرفه وقد نهبوا ودخلوا البر فلا طاقة لى عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضنى فيما فى يدى ولا فيمن أجرته وان يقرر سرخاب بن كيخسرو على اقطاعه بساوة وان يتقدم الى ابن بوقا باعادة ما نهب من بلادى وان يخرج وزير الخليفة يحلفه بما اثق اليه من الايمان على المحافظة فيما بينى وبينه فحينئذ اخدم بالمال واداوس بساطه بعد ذلك فعادوا بهذا ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وأرسل السلطان معهم قاضى اصبهان ابا اسمعيل فاما أبو اسمعيل فلم يصل اليه وعاد من الطريق وأصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة فى عساكره الى قرية مطر وأمر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن على بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذى تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان وأحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن على بن فرامرز أبى جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا أصحاب اصبهان وفرامرز هو الذى سلمها الى طغرلبك وقتل أبوه مع تنش وعبر عسكر السلطان دجلة ولم يعبر هو فصار وامع صدقة على أرض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح فى وجوه أصحاب السلطان فلما التقوا صارت فى ظهورهم وفى وجوه أصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب وكان يخرج فى كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع سهم الا فى فرس أو فارس وكان أصحاب صدقة كلما حملوا امتنعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عباده وحفاجه وجعل صدقة ينادى يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ويعدد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكبا على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات وأخذه الامير أحمديل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد فى سفينة فمات فى الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن نفاحة فلما رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضربه غلام منهم على وجهه فشوهه وجعل يقول أنا ملك العرب أنا صدقة فاصابه سهم فى ظهره وأدركه غلام اسمه برغش كان أشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا برغش ارفق فضربه بالسيف فقتله وأخذ رأسه وحمله الى البرسق فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وأمر لبرغش بصلة وبقى صدقة طريحا الى ان سار السلطان ودفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل رأسه الى بغداد وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من أهل بيته وقتل من بنى شيبان خمس وتسعون رجلا وأسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمى الذى كانت هذه الحرب بسببه فاحضر بين يدى السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله انى لا أقتل أسيرا فان ثبت عليك انك باطنى قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما أمكنه وسير أمه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة أبى العباس أحمد بن أبى الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته ونهب

أنه أول من لعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها وجعله لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور وان كلا منها ثلاثون كلبا بعدد أيام الشهور وان الفصين مثال القدر وتلعبه باهل هذا العالم وغير ذلك مما وصفنا من أحوالها وما قدمنا من ذكرها فى هذا الكتاب وغيره مما سلف من كتبنا (وذكر) بعض أهل النظر من الاسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا مستطيعا فيما يفعل وان واضع النرد كان مجبرا قتبين باللعب بها انه لا صنع له فيها بل تصرفه فيها على ما يوجبه القدر عليه بها (وذكر) العروضى وهو ممن كان له أدب الراضى وغيره من الخلفاء وأبنائهم قال حدثت الراضى ذات يوم خبرا ألفيته عن مسلم الباهلى فى الكبر وغيره من الخصال التى توجد فى أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الاخلاق فكتب ذلك منى فى حال صباه وعنفوان حداثته ولقد رأيته مواظبا على درسه الى أن استكمل اتقانه فى مجلسه فدا خله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم أعهدها منه ثم قال لى وقد أقبل على لعل الزمان أن يبلغ بى أن أتأدب بهذه الخصال وأكون فى مرتبة من يرتاض بهذه الآداب وهو أنه

من الاموال مالا حد له وكان له من الكتب المنسوبة الخط شئ كثير ألوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان مابرح ملجأ لكل ملهوف يلقى من يقصده بالبر والتفضل و يبسط قاصديه و يزورهم وكان عادلا والرعايا معه فى امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فاطنك بغيرها ولم يصادر أحدا من نوابه ولا أخذهم باساءة قديمة وكان أصحابه يودعون أمواله فى خزانته و يدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية أحبت أميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار و يبادر الى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وأرسل الى البطيحة أمانا لزوجة صدقة وأمرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وأنفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما القيها ابنها بكى بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الى حتى كنت أفعل معه مايعجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتنى واستخلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

﴿ ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى ﴾

فى هذه السنة فى رجب توفى تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهم عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وأهدروا دمه وكان صلحهم مما يضر به و ببلاده فقال أبياتا يحرض على الطلب بدمه وهى

متى كانت دماؤكم تطل * امافيكم بثار مستقل
أعندكم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
وغتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى * ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى أخرجوا بنى عدى من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذى باعها ذهب عقله وأسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والاوانى الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شئ كثير ثم أمر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم أفاق فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وأمره باعادة جميع ذلك الى داره وكان له فى البلاد أصحاب أخبار يجرى عليهم أرزاقا سنية ليطالعوه باحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر فى بعض الايام التجار تميما ودعواله وذلك التاجر حاضر فترحم على أبيه المعز ولم يذكر فرفع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض أصحابى قال لا قال فلم أطلقت لسانك أمس بذمى فسكت فقال لولا ان بقال شره فى ماله لقتلتك ثم أمر به فصفع فى حضرته قليلا ثم أطلقه فخرج وأصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفى كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور مايزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفى ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذى الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة وكان عمره حين ولى ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما

المالك على الجيش فقال قتيبة انه رجل عظيم الكبر ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيأ ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالاعجاب ونخر بالاستبداد كان من الصنع بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بامره ومن تهاون بامر عدوه وثق بامر قوته وسكن الى جميع عدته ومن سكن الى جميع عدته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قط الا كان منكوبا ومقهورا ولا مخذولا الا والله حتى يكون أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاه وأحذر من عقعق وأشد اقداما من أسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأسخى من ديك وأشح من ظبى وأحرس من كركى وأحفظ من كلب وأصبر من ضب وأجمع من النمل وان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتحفظ على قدر الخوف وتطمع على قدر السبب وقد قيل على وجه الدهر ليس لمجب رأى ولا لمتكبر صديق ومن أحب أن يجب تحبب (قال العروضى) وتذاكرنا يوما بحضرة الراضى بالله فى حال صباه وقد حضر جماعة من ذوى

ولى فرق أموالا جزيلة وأحسن السيرة فى الرعية

## ﴿ ذكر ملك يحيى قلعة قليبية ﴾

لما ملك يحيى بن تميم بعد أبيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهى من أحصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان أبوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش

## ﴿ ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا ﴾

فى هذه السنة فى شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا التسيير العساكر لازاحتهم والذى حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فمن الله عليهم سنة خمسمائة بغيرة فى البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد أن كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد برا وبحرا وأعطاهم جامكية سنة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه بأمرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابى ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصلها القيه عسكرها وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخله حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وأرسل اليه شعارته وفيها دسته الذى يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدى موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد أمرنا ان يكون جلوسك فى دست السلطان فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه وأقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب فلقوه وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد فى الدنيا ولاجر الآخرة أكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وسأله السلطان عن حاله وما يعانيه فى مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب فى قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن أنه اذا سيرت العساكر معه أوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر أيضا نحوا مما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى ان رحل السلطان عن بغداد فى شوال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التى سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولى سقاو وليصوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيأ كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها وأطاعه أهلها واما أهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم

الروم أن يرسل اليه سراويل أجسم رجل عنده فقال معاوية لا أعلمه الا قيس بن سعد فقال لقيس اذا انصرفت فابعث الى سراويلك نخلعها ورمى بها فقال معاوية هلا بعثت بها من منزلك فقال قيس أردت لكي يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عاد قد غطته ثمود فقال قائل ممن حضر قد كان جبلة بن الايهم أحد ملوك بنى غسان طوله اثنا عشر شبرا فاذا ركب مسحت قدماه الارض فقال له الراضى بالله قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الارض واذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب وقد كان جدى على بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله وكان يقول كنت الى منكب عبد الله بن عباس وكان عبد الله الى منكب جدى العباس وكان العباس بن عبد المطلب اذا طاف بالبيت يرى كأنه قسطاط أبيض قال فتعجب والله من حضر من ايراد هذا الخبر مع صغر سنه ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الارض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أحجار أنواع الجواهر وغيرها فقال لى قائل ممن حضر ان أعجب ما فى الدنيا

ومعه الميرة فى البحر فسير اليهم شرف الدولة بن أبى الطيب والياومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد فى الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر فى البحر

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت فى الاسواق وفيها فى شهر رمضان ولى القاضى أبو العباس بن الرطبى الحسبة ببغداد وفيه أيضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم أعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها عاد الاصبهبذ صباوه من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم أكرمه السلطان وأقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى أصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها فى ذى الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها ما لا يحد له وخلص خلق بنقب نقبوه فى سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيأ لتمسكهم بسبتهم وكان بعض أهله قد عبروا الى الجانب الغربى للفرجة على عادتهم فى السبت الذى يلى العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت وأهلهم قد احترقوا وأموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك حريق فى عدة أماكن منها دار القمار وقراح بن زرين فارتاع الناس لذلك وأبطلوا معايشهم وأقاموا الليلا ونهارا يحرسون بيوتهم فى الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر أن سبب هذا الحريق ان جارية أحبت رجلا فوافقته على المبيت عندها فى دار مولاها سرا وأعدت له ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هى أيضا معه فلما أخذها طرحا النار فى الدار وخرجا فاظهر الله عليهما وعجل الفضيحة لهما فأخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة وأقام شهرا يحاصرها فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار فاخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصرى فى الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم أسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لاهل صيدا فرحلوا عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقى ليالى كثيرة ثم غاب * وتوفى فى هذه السنة فى شعبان ابراهيم بن عياش بن مهدى أبو اسحق القشيرى الدمشقى سمع الحديث الكثير من الخطيب البغدادى وغيره وتوفى فى ذى القعدة أبو سعيد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابورى المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسى عشرين مرة

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة﴾

﴿ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود﴾

فى هذه السنة فى صفر استولى مودود والعسكر الذى أرسله السلطان معه على مدينة الموصل وأخذوها من أصحاب جاولى سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولى عليها وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى على

ولا يصيح فى السنة الا فى هذا الفصل فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطيور مما يكون فى المياه وغيرها فترقبه من أول النهار حتى اذا كان فى آخره أخذوا واحدا مما قرب من الطير فقتلوه وكذلك يفعل فى كل يوم الى أن ينقضى هذا الفصل الربيعى فاذا انقضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت الى الفصل الربيعى وهو طير حسن العينين قال وذكر على بن زيد الطبيب الطبرى صاحب كتاب فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس بكادرى ولم ترقط قدماه على الارض معا بل يطأ على الارض باحدى قدميه على البدل لا يطأ الارض بهما فى حالة واحدة قال وقد ذكر الجاحظ ان هذا الطير من احدى عجائب الدنيا وذلك أنه لا يطأ الارض بقدميه بل باحداهما خوفا على الارض أن تخسف به من تحته قال والعجب الثانى دودة تكون من المثقال الى الثلاثة تضئ بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار ويرى لها أجنحة خضراء ملساء لا جناحين لها غذاؤها التراب لا تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الارض فتهلك جوعا وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة قال والعجب كثير

كثير من البلاد والاموال وكان سبب أخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيأ فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة صدقة أرسل الى جاولى يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وعالط فى الانحدار اليه وأظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة واظهر له انه معه ومساعده على حرب السلطان وأطمعه فى الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما ذكرناه تقدم الى الامراء ابنى برسق وسكمان القطبى ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن أبى الشوك الكردى وأبى الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل وبلاد جاولى وأخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولى عاصيا قد شيد سور الموصل وأحكم ما بناه جكرمش وأعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل فحبسهم وأخرج من احداثها ما يزيد على عشرين ألفا ونادى متى اجتمع عاميان على الحديث فى هذا الامر قتلتهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق وأسكنها القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها فى شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقى بالبلد وعسفت نساء الخارجين عنه وبالغت فى الاحتراز عليهم فاوحشهم ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وقوتل أهل البلد قتالا متتابعا فنادى الحصار باهلها من جارح والطم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون عاميا من القرب من السور فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الحصاصين ومقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا وأغلقوا أبوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نيفا وثمانين فلم يشعروا بشئ حتى قتلوا وأخذوا سلاحهم وألقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم مائتا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الامير مودود ونودى بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودود فى ان يفرج لها عن طريقها وان يحلف لها على الصيانة والحراسة فحلف وخرجت الى أخيها برسق بن برسق ومعها أموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما ينضاف اليها

## ﴿ ذكر حال جاولى مدة الحصار ﴾

واما جاولى فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها وأخذ معه القمص صاحب الرها الذى كان قد أسره سقمان وأخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار الى نصيبين وهى حينئذ للامير ايلغازى بن ارتق وراسله وسأله الاجتماع به واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغى أن يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازى الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وأمره بحفظها من جاولى وان يقاتله ان قصدهم وسار الى ماردين فلما سمع جاولى ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وأرسل الى ايلغازى ثانيا فى المعانى وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند ايلغازى بماردين لم يرع الا وجاولى معه فى القلعة وحده وقصد ان يتألفه ويستميله فلما رآه ايلغازى قام اليه وخدمه ولما رأى جاولى محسنا الظن فيه غير مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكر بظاهر نصيبين وسار امنها الى سنجار وحاصرها مدة فلم يجبهما صاحبه الى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وايلغازى يظهر لجاولى

من حضر فقال أبو العباس الراضى معارضا لهذا الخبر الذى أخبر بالخبر الاول قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما فى الدنيا ثلاث اليوم لا تظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجمالها ولما قد تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان فتظهر بالليل والعجب الثانى الكركى لا يطأ بقدميه الارض بل باحداهما فاذا وطئ باحداهما لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ومشى بالتأنى خوفا من أن تخسف الارض من تحته لثقله والعجب الثالث الطائر الذى يقعد على سوق الماء من الانهار اذا انخزنت الذى يعرف بمالك الحزين على شبهه الكركى خوفا من الماء أن يفنى من الارض فيموت عطشا قال العروضى فافترق من حضره وكل متعجب من الراضى مع صباه وصغر سنه كيف تتأنى منه هذه المذاكرات مع أن من حضره من أهل الرأى والسن والمعرفة (قال المسعودى) وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الارض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمنافع والزجاج فأغنى ذلك عن ايرادها فى هذا الموضع وانما عدنا ذكرنا

 أخبار الراضى وما كان من أمره فى صباه وما أخبره عنه مؤدبه ونظمنا من أخباره ما تأتى لنا

المساعدة و يبطن الخلاف و ينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى عرابان من الخابور هرب ايلغازى ليلا وقصد نصيبين

﴿ ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجى ﴾

لما هرب ايلغازى من جاولى سار جاولى الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق القمص الفرنجى الذى كان أسيرا بالموصل وأخذ معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقى فى الحبس الى الآن و بذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولى وخلع عليه وكان مقامه فى السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدى نفسه بمال وان يطلق أسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانها وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص فى تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية وأخذ جاولى جوسلين من قلعة جعبر فاطلقه وأخذ عوضه أخا زوجته وأجاز وجه القمص وسيره الى القمص ليقوى به وليحثه على اطلاق الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج أغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من أصحاب جاولى فانكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

﴿ ذكر ما جرى بين هذا القمص و بين صاحب انطاكية ﴾

لما أطلق القمص وسار الى انطاكية أعطاه طنكرى صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا وثيابا وغير ذلك وكان طنكرى قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن فى ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد أطلقه جاولى سره ذلك وفرح به وسار اليهما طنكرى صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى أمرهما و يجمعا عسكرا و يلتحق بهما جاولى و يجدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا وأطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكرى الى انطاكية من غير فصل حال فى معنى الرها فسار القمص وجوسلين وأغارا على حصون طنكرى صاحب انطاكية والتجآ الى ولاية كواسيل وهو رجل أرمنى ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالى حلب فانجد القمص بالف فارس من المرتدين وألفى راجل فقصدهم طنكرى فتنازعوا فى أمر الرها فتوسط بينهم البطرك الذى لهم وهو عندهم كالامام الذى للمسلمين لا يخالف أمره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان يعيد خال طنكرى قال له لما أراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فاعادها عليه طنكرى تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى أصحاب جاولى المال والاسرى فاطلق فى طريقه خلقا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة مسلم ضعفى فعمر أصحاب جاولى مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه أصحاب جاولى يقول فى الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم و بين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

﴿ ذكر حال جاولى بعد اطلاق القمص ﴾

لما أطلق جاولى القمص بماكسين سار الى الرحبة فاتاه ابو النجم بدران وأبو كامل منصور ابنا

فقلت له يا أمير المؤمنين أرى منك خصالا لم أعهدها وضيق صدر لم أعرفه فقال له دع عنك هذا وحدثنى بحديث فان أنت أزلت بحديثك ما أجده من الهم فلك ما على وما تحتى على أن أشترط عليك ازالة الهم بالضحك قلت يا أمير المؤمنين رحل رجل من بنى هاشم الى ابن عمه بالمدينة فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحا فلما كان بعد الحول أراد الرجوع الى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما أخر فأقام وكان للرجل قينتان فقال لهما أما رأيتما ابن عمى وظرفه أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء فقالتا له فعلينا أن نصنع له شيأ لا يجد معه بدا من الخلاء قال شأنكما وذلك فعمدتا الى خشب العشر فدقتاه وهو مسهل وطرحتاه فى شرابه فلما حضر وقت شرابهما قدمتاه اليه وسقيا مولاهما من غيره فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى وتغمص العتى فقال للتى تليه يا سيدتى أين الخلاء فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه

خلا من آل فاطمة الديار
فنزل أهلها منها اقفار

فغنته فقال الفتى أظنهما كوفيتين وما فهمتا ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا سيدتى أين الحش فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت

سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل أبيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكاش بن تكش بن الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصهبذ صباو وكان قد قصد السلطان فاقطعه الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولى وأشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها أو قريبا منها لم يأمن شرا يصل اليه فقبل قوله وأصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من بني نمير فقتل عليا وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلا من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فاخذه وأسر عددا منهم وأتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولى وسأله ان يرحل الى الرقة ويأخذها وعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوما فضمن له بنو نمير مالا وخيلا فارسل الى سالم انني في أمر أهم من هذا وأنا بازاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره وأنا عازم على الانحدار الى العراق فان تم أمري فالرقة وغيرها لك ولا أشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بني نمير ووصل الى جاولى الامير حسين بن اتابك فتلعتكين وكان أبوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع نخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولى ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولى وأمر بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد وأظهر الطاعة والعبودية فقال جاولى انا مملوك السلطان وفي طاعته وحمل اليه مالا وثيابا لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فاني أرسل معك من يسلم ولدي اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى أمرها وجباية أموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولى فلما وصلا الى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد فامرهم حسين بالرحيل فكلهم أجاب الا الامير مودود فانه قال لا أرحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولى وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولى عنده وسار جاولى الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد ان نقب برجا من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من أعيانه عند النقب وأحضر القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيها صالحا ونهب البلد وأخذ منه مالا كثيرا

## ﴿ ذكر الحرب بين جاولى والفرنج ﴾

وفي هذه السنة في صفر كان المصاف بين جاولى سقاوو وبين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولى من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فأجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فأرسل اليه رضوان سبعمائة فارس فلما سمع جاولى الخبر أرسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته وأطلق له ما بقي عليه من مال الفداء فسار الى جاولى فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه

ثم التفت الى الاخرى فقال لها أعزك الله أين المتوضأ فقالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك أن تغنيه توضأ للصلاة وصل خمسا وأذن بالصلاة على النبي فغنته فقال أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا سيدتي أين الكنيف قالت لها صاحبتها ما يقول لك قالت يسألك ان تغنيه

تكنفني الواشون من كل جانب
ولو كان واش واحد لكفانيا

فغنته فقال أظنهما يمانيتين وما فهمتا عني ثم التفت الى الاخرى فقال لها يا هذه أين المستراح فقالت لها صاحبتها ما قال لك قالت يسألك أن تغنيه

تركت الفكاهة والمزاحا
وقلا الصبابة واستراحا

فغنته والمولى يسمع ذلك وهو متناوم فلما اشتد به الامر أنشأ يقول

تكنفني السلاح وأضجروني
على ما بي بتكرير الاغاني

فلما ضاق عن ذلك اصطباري
ذرفت به على وجه الزواني

ثم انه حل سراويله وسلح عليهما فتركهما آية للناظرين وانتبه المولى في أثر ذلك فلما رأى ما نزل بجواريه قال يا أخي ما حملك على هذا الفعل قال يا ابن الفاعلة لك جواري يرون المخرج صراطا مستقيما لا يدلني عليه فلم أجد جزاء غير هذا ثم رحل عنه قال فذهب بالراسي الضحك

وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقر وبكتاش النهاوندي وبقي جاولي في ألف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقارعهم طنكري وهو في ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من أصحاب ملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولي في ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابري وغيرهما وفي الميسرة الامير بدران ابن صدقة والاصبهبذ صباو وسنقر دراز وفي القلب القمص بغدوين وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل أصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فأزاح طنكري القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولي الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى انهم لا يعودون معه أمهم نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فاما الاصبهبذ صباو فسار نحو الشام واما بدران بن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن جكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية أموالهم وأثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين ففعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

## ﴿ذكر عود جاولي الى السلطان﴾

لما انهزم جاولي سقاو وقصد الرحبة فلما قاربها بات دونها في عدة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين أخذوا الموصل منه أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما رأى الحال كذلك علم انه لا يقدر أن يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويداوي به مرضه فسار قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان وافقا الامير حسين بن قتلغتكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد أخفى شخصه وكتم أمره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من أصبهان فوصل اليه في سبعة عشر يوما من مكانه لجده في السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فحمله الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فأمنه وأتاه الامراء ليهنئونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه اليه فاعتقله بأصبهان

## ﴿ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها﴾

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين أتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن أخت بغدوين الفرنجي ملك القدس فتحاربا واقتتلا وكان طغتكين في ألفي فارس وكثير من الرجالة وكان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس وألفي راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعادوا الحرب وكسروا الفرنج وأسروا ابن أخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار واطلاق خمسمائة أسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها أمرا عظيما

﴿ذكر

---

كل مذهب وسلم الى كل ما كان عليه وتحته من لباس وفرش فكان مبلغ ثمن ذلك نحو ألف دينار (وذكر) الصولي قال قال الراضي ما كان السبب في لبس المأمون الخضرة ورقعة السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك قلت هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا العلافي قال حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن علي وكانت أقعد ولد العباس نسبا وأكرمهم بيتا فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين في تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجاءت الى المأمون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر أهلك من ولد علي ابن أبي طالب أقدر منك على بر هم لنا من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك فدع لباسك الخضرة ولا تطمعن أحدا فيما كان منك قال لها يا عمة ما كلمني أحد في هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ولا أقصد لما أردت لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فولي الامرة أبو بكر فقد عرفت ما كان من أمره فينا أهل البيت ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ثم وليها عثمان فأقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ثم آل الامر الى علي بن أبي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالاكدار فولى مع ذلك عبد الله بن العباس البصرة وولى عبيد الله بن العباس اليمن وولى قثم البحرين وما

﴿ذكر

## ﴿ ذكر انهزام طغتكين من الفرنج ﴾

فى هذه السنة فى شعبان انهزم أتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضى فخر الملك أبى على بن عمار صاحب طرابلس وهو من الحصون المنيعة فعصى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج فى نواحيه فأرسل الى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن منى قد عجزت عن حفظه ولان يأخذه المسلمون خير لى دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج فبعث اليه طغتكين صاحباله اسمه اسرائيل فى ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار عنه رماه اسرائيل فى الاخلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه بالقلعة من المال وأراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار فى أربعة آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السردانى الفرنجى مجىء طغتكين وهو على حصار طرابلس توجه فى ثلثمائة فارس فلما أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين انهزموا وخلوا أثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزاد فى تجملهم ووصل المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لانه لم تجر حرب وقصد السردانى الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان فامنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من فيه قبض على اسرائيل وقال لا أطلق عنه الا باطلاق فلان وهو أسير كان بدمشق من الفرنج منذ سبع سنين ففودى به وأطلقا معا ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة أرسل اليه ملك القدس يقول له لا تظن انى أنقض الهدنة الذى تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم أكثر مما نالك ثم تعود أمورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد

## ﴿ ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد ﴾

فى هذه السنة فى شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر بينهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن فى اصلاح الحلال فتعذر عليهم ذلك الى ان أذن الله تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب فى ذلك ان السلطان محمد لما قتل ملك العرب صدقة كما ذكرنا خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو وأهل بيته فشنع أهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهز والمسير اتفقوا على ان يجعلوا طريقهم فى الكرخ فاظهروا ذلك فاتفق رأى أهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم يمنعونهم فصار السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شئ كثير وجاء أهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عاد وا من زيارة مصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب

رجع الى لبس السواد

وللأمون يا أمير المؤمنين
شعر يشاكل معنى
ماذكرت من هذا الخبر
وهو قوله
ألام على شكر الوصى أبى
الحسن
وذلك عندى من عجائب
ذا الزمن
خليفة خير الناس والاول
الذى
أعان رسول الله فى السر
والعلن
ولولاه ما عدت لهاشم
امرة
وكانت على الايام تقضى
وتمتهن
فولى بنى العباس ما اختص
غيرهم
ومن فيه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبد الله بالبصرة
الهدى
وفاض عبيد الله جودا على
اليمن
وقسم أعمال الخليقة بينهم
فلازلت مربوطا بذا الشكر
مرتهن
وكان القاهر قد عمد الى
كثير من الاموال عند قتله
لمؤنس وبليق وابنه على
وغيرهم فغيبها فلما قبض
عليه وسملت عيناه وأفضت
الخلافة الى الراضى طولب
القاهر بالاموال فانكر
أن يكون عنده شئ من
ذلك فأوذى وعذب بأنواع
من العذاب وكل ذلك لا يزيده الا انكارا فأخذه الراضى وقربه وأدناه وطالت مجالسته اياه واكرامه له واعطاه

فقر ألهم قوم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فتقبله وأكرمه وكان قد هرب بعد قتل والده الى الآن والتحق أخوه بدران بن صدقة بالامير مودود الذى اقطعه السلطان الموصل فاكرمه وأحسن صحبته وفيها فى نيسان زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير امامية وعدم الخبز رأساً واكل الناس التمر والباقلاء الاخضر وأما أهل السواد فانهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفيها فى رجب عزل وزير الخليفة أبو المعالى هبة الله بن المطلب ووزر له أبو القاسم على بن أبى نصر بن جهير وفيها فى شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهى أخت السلطان محمد وكان الذى خطب خطبة النكاح القاضى أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابورى الحنفى وكان المتولى لقبول العقد نظام الملك أحمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة ألف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها تولى مجاهد الدين بهروز شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمداً كان قبض على أبى القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلى أبى الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم أطلقهم الآن وقرر عليهم مالا يحملونه اليه فأرسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وأمره السلطان بعمارة دار المملكة ففعل ذلك وعمر الدار وأحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية العراق جميعه وخلع على سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان صارما حازما ذا رأى وجلد وفيها فى شوال ملك الامير سكمان القطبى صاحب خلاط مدينة ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على أهلها عدة شهور فعدمت الاقوات بها واشتد الجوع بأهلها فسلموها وفى هذه السنة فى صفر قتل قاضى أصبهان عبيد الله بن على الخطيبى بهمذان وكان قد تجرد فى أمر الباطنية تجرداً عظيماً وصار يلبس درعاً حذراً منهم ويحتاط ويحترز فقصده انسان عجمى يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء قاضى نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطنى وقتل الباطنى وولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث وكان حنفى المذهب وفى هذه السنة سار فخر الملك الفرغانى فسار اليه وعارضه فى البر وأخذ كل من فيه ولم يسلم منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفيها فى فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية فى حصن شيز على حين غفلة من أهله فى مائة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا الى القلعة فملكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد أحسنوا الى هؤلاء الذين أفسدوا كل الاحسان فبادر أهل المدينة بالشورة فأصعدهم النساء فى الحبال من الطاقات وصاروا معهم وأدركهم الامراء بنو منقذ اصحاب الحصن فصعدوا اليهم فكبروا عليهم وقاتلوهم فاخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل من كان على مثل رأيهم فى البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء وكتبوا الى أميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء وأحضرهم عنده وأمرهم أن يعملوا شيئاً يراه من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا

الحصون بستان من ريحان وغرس من النارنج قد حمل اليه من البصرة وعمان مما حمل الى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر وقد جعل مع ذلك فى الصحن أنواع الاطيار من القمارى والدباسى والشحارير والببغاء مما قد جلب اليه من الممالك والامصار وكان فى غاية الحسن وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس فلما أفضت الخلافة الى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ثم ان الراضى رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالاموال والحاجة اليها ولا شئ قبله منها وسأله أن يسعفه بما عنده منها اذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع فى كل الامور الى قوله وحلف له بالايمان الوكيدة أن لا يسعى فى قتله ولا الاضرار به ولا بأحد من ولده فأنعم له القاهر بذلك وقال ليس لى مال الا فى بستان النارنج فسار به الراضى الى البستان وسأله عن الموضع فقال له القاهر قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ولكن مر بحمله فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك

يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خاليا من جمع تاروا بهم فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين فى عمامته فلم تصنع شيأ ورفسه يحيى فألقاه على ظهره ودخل يحيى بابا وأغلقه على نفسه فضرب الثانى الشريف فقتله وأخذ القائد ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل أصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زى أهل الاندلس فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير أبا الفتوح بن عم أخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر فى أصحابه فلبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم بن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل أباهم وأخرج الامير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهى ابنة عمه ووكل بهما فى قصر زيادبين المهدية وسفاقس فبقى هنالك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه على سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر فى البحر فوصلا الى اسكندرية على ما ذكره ان شاء الله وفيها فى المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرويانى الطبرى الفقيه الشافعى مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعى لاملينها من قلبى وفيها فى جمادى الآخرة توفى الخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى الشيبانى اللغوى صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها فى رجب توفى السيد أبو هاشم زيد الحسنى العلوى رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضى الامر وكانت مدة رياسته لهما سبعا وأربعين سنة وجده لامه الصاحب أبو القاسم ابن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه أخذ منه السلطان محمد فى دفعة واحدة سبعمائة ألف دينار لم يبع لاجلها أملاكا ولا استدان دينارا وأقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور فى جميع ما يريده وكان قليل المعروف وفيها فى ذى الحجة توفى أبو الفوارس الحسن بن على الحازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواء حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتنى مالا ويتركه * فى كلا الحالين مفتتن
املى كونى على ثقة * من لقاء الله مرتهن
اكره الدنيا وكيف بها * والذى تسخو به وسن
لم تدم قبلى على أحد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وقد ذكرها هناك

## ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ﴾

## ﴿ ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام ﴾

فى هذه السنة حادى عشر ذى الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد صارت فى حكم صاحب مصر ونائبه فيها والمدد يأتى اليها منه وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة أقبل شمبان وصل اصطول كبير من بلد الفرنج فى البحر ومقدمهم قص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السردانى ابن أخت صنجيل وليس بابن أخت ريمند هذا بل هو

حفره فلم يجد شيأ فقال له الراضى فما هنا شئ مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت فقال له القاهر وهل عندى من المال شئ انما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به وكان لذتى من الدنيا فتأسف على أن يتمتع به بعدى غيرى فتأسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان وندم على قبوله منه وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه وكان الراضى كثير الاستعمال للطيب حسن الهيئة سخيا جوادا حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم مقربا لاهل العلم والادب والمعرفة كثير الدنو منهم فاتضا بجوده عليهم ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم الا بصلة أو خلعة أو طيب وكانوا عدة ندماء منهم محمد بن يحيى الصولى وابن حمدون النديم وغيرهما فعوتب على كثرة افضاله على من يحضره من الجلساء فقال أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس لانه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد لا يحضره نديم ولا مغن ولا قينة فينصرف الا بصلة أو كسوة قلت أو كثرت وكان لا يؤخر احسان محسن لغد ويقول العجب من انسان يفرح انسانا فيتعجل

قص آخر فجرت بينهما فتنة أدت الى الشر والقتال فوصل طنكرى صاحب انطاكية اليهما معونة للسردانى ووصل الملك بغدوين صاحب القدس فى عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا فى قتالها ومضايقة أهلها من أول شعبان وألصقوا أبراجهم بسورها فلما رأى الجند وأهل البلد ذلك سقط فى أيديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصرى عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله أمرا كان مفعولا وسد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالى الذى كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

## ﴿ ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس ﴾

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكرى صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وامن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذى كان صاحب طرابلس وكان الموت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكها فى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك ابن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصرى بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية أيام للقضاء النازل بأهلها وفرقت الغلال التى فيه والذخائر فى الجهات المنفذه اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن على بن منقذ الكنانى واحترمه وسأله ان يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فانزله طغتكين صاحبها واجزل له فى الحمل والعطية وأقطعه اعمال الزبدانى وهو عمل كبير من اعمال دمشق وكان ذلك فى المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

## ﴿ ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك ﴾

فى هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد اعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغربك فالتقوا بنواحى الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلما فرغوا من حربهم وامن محمد خان من شر ساغربك عاد العسكر السنجرى الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة فى المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك الى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها فى شوال من السنة أيضا وفيها فى شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح فى رقبته فبقى مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فاقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالى

ممن حضره الا مسرورا ونحن وان لم تتأت لنا الامور كتأتيها لمن سلف فانا نواسى جلساءنا بل اخواننا ببعض ما حضرنا وكان سخيا على سائر الاشياء لا يستكثر لاحد من ندمائه كثرة ما يصل اليه على طول الايام حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله وكان الغالب عليه من الخدم راغب الخادم وزيرك ومن الغلمان ذكى وغيره (وحدث) أبو الحسن العروضى مؤدب الراضى قال اجتزت فى يوم مهرجان بدجلة بدار يحكم التركى فرأيت من الهرج والملاهى واللعب والفرح والسرور مالم أر مثله ثم دخلت الى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراه هم فوقفت بين يديه فقال لى ادن فدنوت فاذا بيده دينار ودرهم فى الدينار نحو من مثاقيل وفى الدرهم كذلك عليه صورة يحكم شاك فى سلاحه وحوله مكتوب انما العز فاعلم * للامير المعظم * سيد الناس بسكم * ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس فى مجلسه كالمفكر المطرق فقال الراضى أمانرى صنع هذا الانسان وما تسمو اليه همته وما تحدثه به نفسه فلم أجبه بشئ وأخذت به

ابن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم وأخذوا ست قطع من شوانى المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش فى البحر والبر وسير ابنه أبا الفتوح الى مدينة سنفاقس والياعليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفى الامير ابراهيم بن نال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم فخلا كثير من أهلها الجوره وملك بعده ولده وكان أصلح حالا منه وفيها فى ثامن ذى القعدة ظهر فى السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقى يطلع الى آخر ذى الحجة ثم غاب

﴿ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة﴾

﴿(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا)﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل فى البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس ويغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصرى مقيما على صور فلم يقدر على انجاد صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا ان يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فامنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذى عندهم ومن أراد المقام به عندهم أمنوه ومن أراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الموالى وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد فى العشرين من جمادى الاولى الى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فافتقرهم واستغرق أموالهم

﴿(ذكر استيلاء المصريين على عسقلان)﴾

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى اليه مالا وعروضا فامتنع به من أحكام المصريين عليه الا فيما يريده من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل أمير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قواده وأظهرا أنه يريد الغزاة وأنفذا الى القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرى وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان الى الفرنج فأرسل اليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف أهل عسقلان فأحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة

لذلك حتى تصلح أمورهم وتستقيم أحوالهم فسلا عما عرض لنفسه ثم قلت يمتع الله أمير المؤمنين أن يكون كالمأمون فى هذا الوقت حيث يقول

صل الندمان يوم المهرجان
بصاف من معتقة الدنان
بكأس خمر وانى عتيق
فان العيد عيد خمر وانى
وجنبنى الزبيبين طرا
فشأن ذوى الزبيب خلاف شانى

فأشربها وأزعمها حراما
وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا
وتلك على الشقى خطيئتان
فطرب وأخذته أريحية فقال لى صدقت ترك الفرح فى مثل هذا اليوم عجز وأمر باحضار الجلساء وقعد فى مجلس التاج على دجلة فلم أر يوما كان أحسن منه فى الفرح والسرور وأجاز فى ذلك اليوم من حضر من الندماء والمغنين والملهين بالدنانير والدراهم والخلع وأنواع الطيب وأتته هدايا حكم وألطافه من أرض العجم فسر فى ذلك اليوم وجميع من حضره (قال المسعودى) وقد أتينا على ما كان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث مجملا ومفصلا فى كتابنا أخبار الزمان ومن



أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وما كان من

أربع وخمسمائة فأنكر الامر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع مافيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الاموال بهذه الحجة وأرسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسر ابذلك وأحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه والياً يقيم به ويستعمل مع أهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

## ﴿ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره﴾

في هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقباً قصدوا أن يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبي أرمني فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد في قتالهم حتى ملك الحصن قهراً وعنوة وقتل من أهله ألفي رجل وسبى وأسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الاثارب فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج وكذلك أهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنهما وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب أهلها امنهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه فشرع أصحاب البلاد الاسلامية بالشام في الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردي صاحب حماه على ألفي دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب أقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فأخذوها وغنموا مامع التجار وأسروهم فسار جماعة من أهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبراً الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم أهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة أيضاً فأرسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعوداً مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيرون الى قتال الفرنج وانقضت السنة وسار وا في سنة خمس وخمسمائة وكان ماذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذي وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان أهل حلب يقولون للسلطان أما تتقي الله

بعد ذلك بناصر الدولة وقصدنا فيما ذكرناه في هذا الكتاب الى الاختصار دون الشرح والاكثار اذ كان في الاكثار من الاخبار ثقل على القلوب وملل للسامع وقليل الاخبار يغني عن كثير الاقتدار

## ﴿ذكر خلافة المتقي لله﴾

وبويع المتقي لله وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر لعشر خلون من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وخلع وسملت عيناه يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكان خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهراً وثلاثة وعشرين يوماً وأمه أم ولد

## ﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه﴾

ولما أفضت الخلافة الى المتقي لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ثم استوزر أبا الحسن أحمد ابن محمد بن ميمون وكان كاتبه قبل الخلافة ثم استوزر أبا اسحق محمد بن أحمد القرار يطي ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني ثم استوزر أبا الحسن علي بن مقلة وغلب على الامر أبو الوفاء توزون التركي واشتد أمر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم

تعالى أن يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد أرسل اليك فى جهادهم وفيها فى رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا وأخذت بانفاس الناس ولم يقدر أحد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل و يئس الناس من الحياة وأيقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من أول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها فى المحرم توفى الكيا الهراس الطبرى واسمه أبو الحسن على بن محمد بن على وكان من أعيان الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن امام الحرمين الجوينى ودرس بعده فى النظامية ببغداد وتوفى بها ودفن عند تربة الشيخ أبى اسحق ودرس بعده فى النظامية الامام أبو بكر الشاشى وفيها توفى أبو الحسين ادريس بن حمزة بن على الرملى الفقيه الشافعى من أهل الرملة بفلسطين تفقه على أبى الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى وعلى الشيخ أبى اسحق الشيرازى ودخل خراسان وولى التدريس بسمرقند فتوفى بها ﴿ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة﴾

## ﴿ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج﴾

فى هذه السنة اجتمعت العساكر التى أمرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكان الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبى صاحب تبريز و بعض ديار بكر والامير ايلبكى و ونكى ابنا برسق ولهما هذان وماجاورهما والامير أحمديل وله مراغة وكوتب الامير أبو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازى صاحب ماردين والامراء البكجية باللحاق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ماعدا الامير ايلغازى فانه سير ولده ابارا وأقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتل من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ليمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه وأقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج و يعبروا الفرات اليهم و يقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها كل ما يحتاجون اليه بعد ان كانوا قليلى الميرة وقد أشرفوا على ان يؤخذوا وأخذوا كل من فيه عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامى وطرقوا أعمال حلب فافسدوا مافيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما أخذه الفرنج من أعمالها فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا باعمالها مافعلوا واما العسكر السلطانى فانه لما سمع بعود الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التى تركت عندهم و بكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة وأربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبى فعاد مريضا فتوفى فى بالس فجعل أصحابه فى تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازى ليأخذهم و يغنم ما معهم فجعلوا تابوته فى القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازى وغنموا ما معه وساروا الى بلادهم ولما غلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم

يقاتل فيها صغار وكبار وجيش فى البر عظيم واصطنعوا الرجال وبذلوا الرغائب فانضاف اليهم بحرية السلطان وغلمانه وصار جيش السلطان الاتراك والديلم والجيل ونفر من القرامطة وكل ذلك مع تورون وكان تورون من رفقاء بحكم والخواص من أصحابه فانحدر تورون الى واسط لحرب اليزيديين وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها فكانت بينهم محالا والمتقى لله لا أمر له ولا نهى فكاتب المتقى أبا محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة وأخاه أبا الحسن على ابن عبد الله سيف الدولة أن ينجدوه و يستنقذوه مما هو فيه و يفوض اليهما الملك والتدبير وقد كان قبل ذلك خرج اليهم وتورون فى جملتهم منضاف وغيره من الاتراك والديلم وذلك عند قتلهم محمد بن رائق فى سنة ثلاثين وثلثمائة وانحدارهم الى مدينة السلام واستيلائهم على الملك والقيام له وحربهم اليزيديين وما كان بينهم من الوقائع الى أن توجه عليهم ما ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان من خروج أبى محمد الحسن بن عبد الله من الحضرة الى الموصل ولحوق أخيه أبى الحسن على بن عبد الله وخلاصه مما دبره عليه تورون وجمع التركى فخرج المتقى الى الموصل فلما بلغ تورون ذلك رجع

طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة في حقه فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذي هو أكبر الامراء كان به نقرس فهو يحمل في محفة ومات سكمان القطبي كما ذكرنا وأراد الامير أحمديل صاحب مراغة العود ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد وأتابك طغتكين صاحب دمشق خاف الامراء على نفسه فلم ينصحهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقي مودود وطغتكين بالمعرة فساروا منها ونزلوا على نهر العاصي ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا كلهم بعد الاختلاف والتباين وساروا الى قامية فسمع بهم السلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود وطغتكين وهوّن عليهما أمر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ولزموهم بالقتال والفرنج يحفظون نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى قامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا الى شيزر في ربيع الاول

## ﴿ذكر حصر الفرنج مدينة صور﴾

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فسار والهام الملك بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفي كل برج ألف رجل ونصبوا عليها المجانيق وألصقوا أحدها الى سور البلد وأخلوه من الرجال وكانت صور للآمر بأحكام الله العلوي ونائبه بها عز الملك الاعز فأحضر أهل البلد واستشارهم في حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى أن وصلوا الى البرج الملتصق بالمدينة فالقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين في البرج باطفاء النار ويتخلصون فرماهم بجرب كان قد أعدها لمواقعة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وعبأنا لهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم أخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة وأحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا سراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان علوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج وأعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار في عساكره الى نواحي بانياس وسير اليهم نجدة مائتي فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففتى نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفتى النفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور أرسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فأرسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره ان يقيم مركبا بمكان ذكره لتجيء الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فأخذه رجلان مسلم وافرنجي فقال الفرنجي نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه

الى بغداد وقصد بني حمدان فكان التقاؤهم بعكبر فكانت بينهم سجالا ثم كانت لنورون عليهم فرجع الى بغداد ثم جمعوا له أيضا ورجعوا اليه فتركهم حتى قربوا الى بغداد فخرج عليهم فلقيهم فهزمهم بعد مواقعات كانت بينهم وسار هو حتى دخل الموصل وخرج عنها الى مدينة بلد فصالحوه على مال حملوه اليه فرجع الى بغداد وهو مستظهر بمن معه من الاتراك والجيل والديلم وكمال العدة والسلاح وسار المتقي الى نصيبين ورجع عنها الى الرقة فنزلها وذلك لايام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكاتب الاخشيد محمد بن طغج فسار الى الرقة وحمل اليه مالا كثيرا وأهدى اليه غلمانا وأتاتا وضم اليه قائدا من قواده وجعل أمره وزاد في حاله وبر جميع من معه من وزيره أبي الحسن علي بن مقلة وقاضي القضاة أحمد بن عبد الله بن اسحق الحرقي وسلام الحاجب المعروف بأخي نجح الطولوني وجماعة الوجوه والغلمان ثم لم يعبر الاخشيد محمد بن طغج الى الرقة ولا الى شيء من جانب الجزيرة وديار مضر وعبر المتقي وسار الى معسكره من الجانب الشامي فكانت بينهم خطوب وأيمان وعهود وأبو الحسن علي بن عبد الله ابن حمدان مقيم بحران طول مقام المتقي بالرقة وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار

المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذى ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكاموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فأخذوهم أسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور فكان طغتكين يغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من أعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فاحضروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا وأغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية وأحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل أهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل أهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى أوان ادراك الغلات فخاف الفرنج ان طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر طغتكين اليه وأعطاهم أهل صور الاموال وغيرها ثم أصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

## ﴿ذكر انهزام الفرنج بالاندلس﴾

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فأكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكرها وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا وأسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من أموالهم ما يخرج عن الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان فى البلاد حاميا لها وذابا عنها وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الامام المشهور

## ﴿ثم دخلت سنة ست وخمسمائة﴾

فى هذه السنة فى المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زروعها ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك وأهل الفرنج ولم يحترزوا منهم فلم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة فى المرعى فأخذ الفرنج كثيرا منها وقتلوا كثيرا من العسكر فلما أتاهم المسلمون للقائه عاد عنهم الى سروج وفيها رحل السلطان محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر فلما وصل الى أصبهان قبض على زين الملك أبى سعد القمى وسمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الرى أركبه كاميار على دابة بمركب ذهب وأظهر أن السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من أهل القمى ثم صلبه وكان سبب قبضه انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها كان ببغداد رجل مغربى يعمل الكيمياء بزعمه اسمه أبو على فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها ورد الى بغداد يوسف بن أيوب الهمدانى الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه فى مسئلة وعادوه فقال له اجلس فانى أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مدة ان ابن السقاء خرج الى بلاد الروم وتنصر وفيها فى ذى القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم أحد أى صوت كان وفيها توفى بسيل الارمنى صاحب الدروب ببلاد

تورون هنالك وترجل له ومشى بين يديه فأقسم عليه أن يركب ففعل حتى وافى به الى المضرب الذى كان ضربه له على الشط

وانضافوا الى الحسن بن على بن عبد الله واتصلت كتب تورون بالمتقى وتواترت رسله يسأله الرجوع الى الحضرة وأشهد تورون من حضره من القضاة والفقهاء والشهود وأعطى العهود والمواثيق بالسمع والطاعة للمتقى والتصرف له بين أمره ونهيه وترك الخلاف عليه وأنفذ اليه كتب القضاة والشهود بما بذل من الايمان وأعطى من العهود وأشار بنو حمدان على المتقى أن لا يحذر وخوفوه من تورون وحذروه أمره فانه لا يأمنه على نفسه فأبى الا محالفتهم والثقة بما ورد عليه من تورون وقد كان بنو حمدان أنفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم يكثر وصفها ويعسر علينا فى التحصيل ايرادها با كثار المخبرين لنا بتحديدها وانصرف الاخشيد عن الفرات متوجها نحو مصر وانحدر المتقى فى الفرات فتلقاه أبو جعفر بن سيرا ركاتب تورون بأحسن لقاء وأقام الاتراك ومضى فى انحداره حتى دخل النهر المعروف بنهر عيسى وسار الى الضيعة المعروفة بالسندرية على شاطئ هذا النهر فتلقاه

ابن لاون فسار طنكري صاحب انطاكية أول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا فى ان يملكها فمرض فى طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها بعده ابن أخته سرخالة واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس والرهبان وفيها توفى قراجه صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قرجان مكانه وكان مثله فى قبح السيرة وفى هذه السنة توفى المعمر بن على أبو سعد بن أبى عمامة الواعظ البغدادى ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين وتوفى أحمد بن الفرج بن عمر الدينورى والد شهدة وكان يروى عن أبى يعلى بن الفراء وابن المأمون وابن المهتدى وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفى أبو العلاء صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابورى وكان من أعيان الفقهاء وولى قضاء خوارزم وكان يروى الحديث

## (ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

## (ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)

فى هذه السنة فى المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل وتبرك صاحب سنجار والامير ايلبا زبن ايلغازى وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع المسلمين أن ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه أو اخر سنة ست وخمسمائة وانقطعت الموادعن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذى القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن ونزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر ومن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم فى بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غرب طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزل بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر فى العود والاستراحة ثم الاجتماع فى الربيع لمعاودة الغزاة وبقى فى خواصه ودخل دمشق فى الحادى والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة فى ربيع الاول ليصلى فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده فى يد طغتكين وثب عليه باطنى فضربه بخرجه أربع جراحات وقتل الباطنى وأخذ رأسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثنى) والدى قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين

من نهر لعيسى وذلك على شوط فلما حصل المستكفى فى المضرب قبض على المتقى ونهب جميع ما كان معه وقبض على وزيره أبى الحسن على بن محمد بن مقلة وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن اسحق ونهب جميع العسكر وانصرف القائد الذى كان الاخشيد ضمه الى المتقى ومن معه الى صاحبهم وأحضر المستكفى فبويع له وبكى المتقى وصاح النساء والخدم لصياحه فامر نوروز بضرب الدبادب حول المضرب فخفى صراخ الخدم وأدخل الى الحضرة مسمول العينين وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم الى المستكفى بالله وبلغ ذلك القاهر فقال قد صرنا بحقيق نحتاج الى صدر يعرض بالمستكفى بالله (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما نزل المتقى الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه وأقرب منه فى الخدمة لطول صحبته فقال لى فى بعض الايام فى الرقة وهو جالس فى داره على الفرات اطلب لى رجلا أخبار يا يحفظ أيام الناس أتفرج اليه فى خلواتى واستريح به فى الاوقات قال فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف فأرشدت الى رجل بالرقة كهل لازم منزله فصرت اليه ورغبته فى الدخول الى المتقى لله فقام معى كالمكره

بعد قتل مودود كتابا من فضوله ان أمة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها الحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار ما معه من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل الى أصبهان

﴿ ذكر الخلاف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما ﴾

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى أموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار يستخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شئ منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو أكبر أمير مع سنجر يسأله ان يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل أيضا الى خوار زمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضاء السلطان عنه واعترف بأنه اخطأ فأجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم أجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب العربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة سار قفل عظيم من دمشق الى مصر فلما الى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البر وأخذهم أجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفي هذه السنة توفي الوزير أبو القاسم علي بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الرئيس أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفي الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت أمور رضوان غير محمودة فقتل أخويه أباطالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في كثير من أموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلؤ ولم يكن الب ارسلان أخرس وانما في لسانه حبسة وتمتمة وأمه بنت ياغسيان الذي كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه وهو من أبيه وأمه واسم الآخر ميارکشاه وهو من أبيه وكان أبوه فعل مثله فلما توفي قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع أخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب في أيامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان أهلها فلما توفي قال ابن بديع لالب ارسلان في قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدميهم أبي طاهر الصائغ وعلى جميع أصحابه فقتل أباطاهر وجماعة من أعيانهم وأخذ أموال الباقين وأطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد وفي هذه السنة توفي ببغداد أبو بكر احمد بن علي بن بدران الحلواني الزاهد منتصف جمادى الاولى روى الحديث عن القاضي أبي الطيب الطبري وأبي محمد الجوهري وأبي طالب العشاري وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسي خطيب الموصل واسمعيل بن أحمد بن الحسين بن علي أبو علي بن أبي بكر البيهقي الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وتوفي بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن

وصرنا الى المتقي فأعلمته احضاري للرجل الذي طلبه فلما خلا وجهه دعا به واستدناه فوجد عنده ما أراد فكان معه أيام مقامه بالرقة فلما انحدر كان معه في الزورق فلما صار الى نهر سعيد وذلك بين الرقة والرحبة أرق المتقي ذات ليلة فقال للرجل ما تحفظ من أشعار البيضة واخبارها فأقر الرجل في أخبار آل أبي طالب الى أن صار الى أخبار الحسن ابن زيد وأخيه محمد بن زيد ابن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان وذكر كثيرا من محاسنهما وقصد أهل العلم والادب اياهما وما قالت الشعراء فيهما فقال له المتقي أتحفظ شعر أبي المقاتل نصر بن نصر الحلواني في محمد بن زيد الحسني الداعي قال لا يا أمير المؤمنين لكن معي غلام لي قد حفظ بحداثة سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والادب عليه مما لم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم قال أحضره ولم أخفيت عني خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة في أنسنا فأحضر الغلام من زورق آخر فوقف بين يديه فقال له صاحبه أتحفظ قصيدة أبي المقاتل في ابن زيد قال نعم قال المتقي أنشدنيها فابتدأ ينشده اياها

لا تقل بشرى وقل لي بشريان
غرة الداعي ويوم المهرجان
خلقت كفاه موتا وحيا * وحوت أخلاقه كنه الجنان
وفصل في زمان بدوي

فارس أبو غالب الدهلي الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن أبيه وأبي القاسم وابن المهتدي والجوهري وغيرهم والاديب أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد الابيوردي الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لي دهري ولم يدر أنني * أعز وأحداث الزمان تهون
وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

﴿وله أيضا﴾

ركبت طرفي فأذري دمعه أسفا * عند انصرافي منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذيني فان سنحت * حوائج لك فاركبني الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن أبي سفيان بن حرب الاموي وتوفي أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الامام الفقيه الشافعي في شوال ومولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة سمع أبا بكر الخطيب وأبا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على أبي عبد الله محمد بن الكاز رونى بديار بكر وعلى أبي اسحق الشيرازي ببغداد وعلى أبي نصر بن الصباغ وفيها توفي أبو نصر المؤتمن بن أحمد بن الحسن الساجي الحافظ المقدسي ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث وتفقه على أبي اسحق وكان ثقة

﴿(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)﴾

﴿(ذكر مسير آقسنقر البرسقي الى الشام لحرب الفرنج)﴾

في هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقي الى الموصل واعمالها والياعليها لما بلغه قتل مودود وسيره معه ولده الملك مسعودا في جيش كثيف وأمره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقر الذي ملك هو وأولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة في الغاية واتصل به أيضا تميرك صاحب سنجار وغيرها فسار البرسقي الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقي حتى أذعن له ايلغازي صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقي الى الرها في خمسة عشر ألف فارس فنازلها في ذي الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج وأصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمي المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من أعيانهم وأقام عليها شهرين وأياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج وبلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما ذكره ثم عاد الى شحنان فقبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردين

﴿(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقي)﴾

في هذه السنة توفي بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج وأحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقي وهو على الرها واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها أكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها اذ جاء جمع من الفرنج فوافوا أصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم أكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد أصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقي وأذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

وابن زيد مالك رق الزمان فيه استنبط أجناس المعان مسرف في الجود من غير اعتذار
وعظيم البرمن غير امتنان وهو من أربى رسول الله فيه
وعلياه المعلى والحسان سيد عرق فيه السيدان
والذي يكبر عن ذكر الحصان مختف فكرته في كل شئ
فهو في كل محل ومكان يعرف الدهر على ما غاب عنه
فيرى المضمر في شخص العيان تتناهى الفاظنا عنه ولكن
هو بالاوصاف في الاذهان دان
أخرجت ألفاظه ما في الخفايا وكفاه الدهر نطق الترجمان
كافر بالله جهرا والمثاني كل من قال له في الخلق ثان
واذا ما أسبغ الدرع عليه وانكفت يمناه بالسيف اليمان
بعثت سطوته في الموت رعبا أيقن الموت بأن الموت فان
يحدق الابطال بالالحاظ حتى يترك المقدام في شخص الجبان
ملك الموت ينادي أجرني منك كم تغزو بضرب وطعان
لا تكلفني فوق الوسع وأرفق فلقد ملكك الله عنان
ياشقيق القدر المحتوم كم قد رضت بالضيم عماداً وحزان
لك يومان فيوم من لبان يقتفي يوم أرون أوريان
انجزت كفاك وعدا ووعيدا * واحاطت لك بالدنيا اليدان فاذا ما أروت اليمنى حباء * همت اليسرى بارواء السنان

﴿ذكر

﴿ ذكر الحرب بين البرسق وايلغازى وأسر ايلغازى ﴾

لما قبض البرسق على ايازبن ايلغازى سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داودبن أخيه سقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره وأحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسق فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبر وافيه فانهزم البرسق وعسكره وخلص ايازبن ايلغازى من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده لخلافه وسار الى الشام الى جبهة طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده أياما وكان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازى الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قيرخان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازى أصحابه فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصه وأرسل الى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تجهيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازى ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وأسل فى اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يعد طغتكين لقتل ايلغازى فارسل ايلغازى الى طغتكين ان الملاحة تؤذينى وتسفك دمى والمصلحة عودك الى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه لخوف ان يخدع أصحابه لطغتكين و يسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازى على أن يطلقه و يأخذ ابنه اياز رهينة و يصاهره و يمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه ونحالفا وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب و جمع التركمان وعاد الى حمص وطلب ولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازى على ماذكره

﴿ ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر ﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى الملك علاء الدولة أبوسعد مسعودبن أبى المظفر ابراهيم بن أبى سعد مسعودبن محمودبن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه أرسلانشاه وأمه سلجوقية وهى أخت السلطان ألب ارسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجربن ملكشاه فارسل الى أرسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فجهز سنجر للسير الى غزنة واقامة بهرامشاه فى الملك فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمد يشكوه أخيه سنجر فارسل السلطان الى أخيه سنجر يأمره بمصالحة ارسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت أخى وقد قصدهم وسار نحوهم أوقارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت فى عضده و يوهنه ولا يعود ولان يملك أخى الدنيا أحب الى فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير ارتق مقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وسمع ارسلانشاه الخبر فسير جيشا كثيفا فهزمهم ونهبهم وعاد من سلم الى غزنة على اسوأ حال فخضع حينئذ أرسلانشاه وأرسل الى الامير ارتق يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه و يحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد أن راسل للمسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبوسعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها

فدمتك المدح الغر وصالت
لك أيضا فى أعاديك الهجان
أنت لانحوى بمعقول كتاب
لك شأن خارج عن كل شان
لك اثقال أيادٍ مثقلات
عجزت عن حملهن الثقلان
انما مدحك وحى وزبور
والذى ضمت عليه الدفتان
ها كها جوهرة تبرية تو
لى وجوه الموت تكفين الحنان
يا امام الدين خذها من امام
ملكت أشعاره سبق الرهان
واستمع للرمل الاول ممن
كشف المحنة من غير امتحان
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
صنعة أحرزها عز الوزان
كرة الآفاق لاتطلع الا
صارت الريح لها كالصولجان
حليت فى صنعة الالفاظ مما
يرتجيه كل ذى عفو وجان
انت تحكى جنة الخلد طباعا
والقوافى فيك كالحور الحسان
وابق للشعر بقاء الشعر
والشكر
رمع الدهر فنعم الباقيان
عمر رضوى بل ثبير وشمام
وأرام وشمار يح أبان
شهد الله على مافى ضميرى
فاسمع لفظى ترجيع أذان
حسنات ليس فيها سيئات
مدحة الداعى اكتبا
باكتبان
فلم يزل المقتفى كلما مر به
بيت استعاده ثم أمر الغلام



بالجلوس فلما كان فى اليوم الذى لقيه فيه ابن سيار الكاتب سمعه

الآن ارسلانشاه فلما وصلت الى أخيه أوصلت ما معها من الاموال والهدايا وكان معها مائتا ألف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلم أخاه بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من ارسلانشاه فهونت أمره على سنجر واطمعته فى البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست أرسل خادما من خواصه الى ارسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه أطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهرابا ذ وكان أرسلانشاه فى ثلاثين ألف فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل أربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الا تراك ترموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وحالت عليهم فضعف من فى الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحتها فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنر وهو فى الميمنة ما فى الميسرة من الحرب فخاف عليها فحمل من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم وأعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضهم الحرب وعمل فيهم السيف ألقوا أنفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة فى العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فاما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهى عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهرا الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم ارسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر وأما قلعة البلد فان ارسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما أطلقه بقى غلمانه بها فسلموا القلعة أيضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة للخليفة وللسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من أعجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان فى دورها لوكها عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقى المياه الى البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما سمع سنجر ما يفعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفى جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفى ألف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقى قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك واما أرسلانشاه فانه لما انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه أصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وأرسل الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا وأقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب أخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم

ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجن فأسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ثم ثنى أحد السنبكين قليلا فشرب فلما بغير

*داست البشرى فقل لى بشريان* وقد كان انشده أولا القصيدة لا تقل بشرى وأنشده هذا الوجه دامت البشرى فقل لى وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعى فوالله مازال المتقى يقول لا تقل بشرى ولا يختار فى ذلك الوجه غير ذلك فقال له الرقى والغلام والله لتطيرنا الامير المؤمنين من اختياره انشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ما ذكرنا (وحدث) محمد بن عبد الله الدمشقى قال لما انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا الى مدينة عانة دعا بالرقى وغلامه فحادثاه وتسلسل بهم القول الى فنون من الاخبار انى أن صاروا الى ذكر الخيل فقال المتقى أيكم يحفظ خبر سليمان بن ربيعة الباهلى فقال الغلام ذكر عمرو بن العلاء يا أمير المؤمنين أن سليمان بن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى زمن عمر بن الخطاب فجاءه عمرو ابن معديكرب بفرس كميت هجينا فاستعدى عليه عمر وشكاه اليه فقال سليمان ادع بإناء وزجاج قصير الجدر فدعا به فصب فيه ماء ثم أتى بفرس عتيق لا شك فى عتقه فأسرع ونزل وشرب

رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بحضرته قال أنت سليمان الخيل فقال المتقى فما عندكما عن الاصمعى وغيره من علماء

بغير قتال للخوف الذى قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجر فى أثره وأخربوا البلاد التى هو فيها وأرسلوا الى أهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فأخذه متقدم جيش الملك سنجر وأراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان أحسن اخوته صورة وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك خلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب وأقاموا بعده أخاه سلطانشاه بن رضوان وكان المستولى عليه اؤلؤ الخادم وفيها توفى الشريف النسيب أبو القاسم على بن ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق

﴿ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة﴾

﴿ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج﴾

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتل ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثيرا لعدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لامرها اؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يأمرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وأرسلا الى ايلغازى وطغتكين يستنجدانهما فسارا اليهم فى ألفى فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماه وهى فى طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة أيام وسلمها الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد أمر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى قرجان فلما سلموا حماه الى قرجان سلم اليهم ايازبن ايلغازى وكان قد سار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها وجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماه فلما بلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهروا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهى للفرنج أيضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى بزاعة فملكه وسارت العساكر عن المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جارى العادة والعساكر فى

العرب فى صفاتها قال الرقى ذكر الرياشى عن الاصمعى قال اذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين منفرج الكتفين لم يكد يسبق وقال اذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما مغروز عنقه فى كاهله ومغروز عجزه فى صلبه واذا جادت حوافره فهو هو وأنشدنا المبرد ولقد شهدت الخيل تحمل سكتى عنه كسرحان الغضية منهب فرس اذا استقبلته فكأنه فى العين جزع من أوائل مشرب واذا اعترضت له استوت اقطاره فكأنه مستدبر المتصوب وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطر بن دراج أى الخيل أفضل وأوجز فقال الذى اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زافر سوطه عنانه وهواه أمامه قال فاى البراذين شر قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذى اذا أرسلته قال أمسكنى واذا أمسكته قال أرسلنى قال الغلام أحسن ما قيل فى الفرس

ووصفه قول بعضهم خير ما ركب الشجاع اذا ما ٭ قيل يوما ألا اركبوا للغوار كل نهد أقب معتدل الخلـ ٭ ـق متين الشظى عتيق التبار

أثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون أحدا يقدم على القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار في خمسمائة فارس وألفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذي ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بها فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هناك وقتل كثيرا من السوقية والغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق في نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هناك وصعد أخوه زنكي وأحاط بهم السوقية والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا أفعل بل اقتل في سبيل الله واكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتموا الغنيمة والقتل وأحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر وأخذ كل واحد جهة وما سمع الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفرطاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل بايازبن ايلغازي قتله أيضا وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن في الحساب وعادت العساكر عنهم الى بلادها واما برسق وأخوه زنكي فانهما توفيا في سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينا وقدم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه أجله

## ﴿ ذكر ملك الفرنج رفنية وأخذها منهم ﴾

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من أرض الشام وهي لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر والغوا في تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوي عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فاتاه الخبر عن رفنية بخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هناك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا وأخذ كل من فيه من الفرنج أسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

## ﴿ ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه علي ﴾

في هذه السنة توفي يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجما قد قال له في منستير مولده ان عليه قطعا في هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج أولاده وأهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وأنشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يعش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده علي بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد ابن حمديس الصقلي يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما أغمد العضب الاجرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى امنت الناس كلهم * حتى اذا ما على جاءهم نشروا
ان يبعثوا بسرور من عمله * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
أوفى على قسن الملك ضاحكة * وعينها من أسى دمعها همر
شقت جيوب المعالي بالاسى فبكت * في كل أفق عليه الانجم الزهر
وقل لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر

بطساعي الجفون والاشفار
مسرف مفتل نجيب اذا أد
برمستدبر كذكر صغار
فهو في خلقه طوال ورحب
وعراض الى سداد قصار
طال زاهيه والذراعان والاص
لاع منه فتم في اخفار
ثم طالت وأيدت فحذاه
فهو كفت الوثوب بيت الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمش
رفقدام منحر كالوجار
والعريض الوظيف والجنب والاو
رالك والجبهة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر
قوب والطرف حدة في وقار
فهو صافي الاديم والعين والحا
فر غمر بديهة الاحضار
والقصير الكراع والظهر والرس
غ العصيب العسيب والصلب وار
لم تحن مثله القطاة ولم يس
لمه تركيبها الى استعثار
معطمن النسور بين جزام
كل لام أحتم كالمنقار
يكفت المشي كالذي يتخطى
طنبا أو يستل كالمسمار
واذا ما استمر من غير مابأ * س به مانع من استمرار لان فاهتز مقبلا فاذا أد * برأهوى متابع الادبار قام

قام الدليل ويحيى لاحياء له * أن المنية لاتبقى ولاتذر

وكان يحيى عادلا فى رعيته ضابطا لامور دولته مدبرا لجميع أحواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب أهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وأيام الناس والطب وكان حسن الوجه أشهل العين الى الطول ماهو ولما استقر على فى الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان أهلها كانوا يقطعون الطريق ويأخذون التجار فحصرهاوضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح أمر البحر وأمن المسافرون

﴿(ذكر عدة حوادث)﴾

فى هذه السنة فى رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق فى ذى القعدة وسأل الرضا عنه فرضى عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهى منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من أحسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضى بالله ثم تهدمت وصارت تلا فامر القادر بالله ان يستورعليها سورا لانها مع الدار الامامية ففعل ذلك فلما كان الآن أمر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها فى شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين أهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقى للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعودا وأقام البرسقى بالرحبة وهى اقطاعه الى ان توفى السلطان محمد وكان ماذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفى اسمعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الاصبهانى أبو عثمان بن أبى سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبد الله بن المبارك بن موسى السقطى أبو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

﴿ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة﴾

﴿(ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان)﴾

فى هذه السنة أول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم أحمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادى الكردى صاحب مراغة وغيرها من أذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكى ويسأله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه أحمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطى وضرب أحمديل سكينا أخرى فاخذتهما السيوف وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة أخرى فهجم الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بأمر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

﴿(ذكر وفاة جاولى سقاو ووحال بلاد فارس معه)﴾

فى هذه السنة توفى جاولى سقاو ووكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير الى أصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكت منه وأخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه أقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وأمره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها

فالعقبان تهوى كواسر الاعسار

فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما فقال عودا الى ما كنتما عليه البارحة واشرعا فى أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها قال الغلام ياأمير المؤمنين أذكر قولا جامعا أخبرنى به كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها عشرة عشرة أو أسفل والقصب تسعة ولايدخل الحجر المحجر من الخيل الاثمانية وهذه أسماؤها الاول السابق وهو المجلى قال أبو الهندام كلاب انما سمى المجلى لانه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة وقال الفراء انما سمى المجلى لانه يجلى عن وجه صاحبه والثانى المصلى لانه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهى صلاة والصلا عجب الذنب بعينه والثالث المسلى لانه كان شريكا فى السبق وكانت العرب تعد من كل مايحتاج ثلاثة أولانه سلى عن صاحبه بعض همه بالسبق والرابع التالى سمى بذلك لانه تلا هذا المسلى فى حال دون غيره والخامس المرتاح وهو المتنعل من الراحة لان فى الراحة خمس أصابع لايعد منها غيرهن واذا أومأت العرب من العدد الى خمس فتح الذى يومئ بها يده وفرق أصابعه الخمس وذلك أيضا مايومئ به من غير عقد الحساب ثم يكون بعدها الى أتم

فاول ما اعتمده فيها انه لما توسط بلاد الامير بلدجي وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان متمكنا بتلك البلاد راسله جاولي ليحضر خدمة جغري ولد السلطان وعلم جغري ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجي قال جغري على عادته خذوه فاخذ وقتل ونهبت أمواله وكان لبلدجي من جملة حصونه قلعة اصطخر وهي من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب في حفظها وزيراله يعرف بالجهرمي فعصى عليه وأخرج اليه أهله وبعض المال ولم تزل في يد الجهرمي حتى وصل جاولي الى فارس فاخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري فاجاب اتى عبد السلطان وفي طاعته فاما الحضور فلا سبيل اليه لاني قد عرفت عادتك مع بلدجي وغيره ولكني أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولي جوابه علم أنه لا مقام له بفارس معه فاظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدواب وسار كانه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فاخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن وأما جاولي فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة في نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فانهبه أخوه فضلاوه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فافاق وركب من وقته وانهزم وتفرق أصحابه ونهب جاولي ثقله وأمواله وأكثر القتل في أصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما اغ وسار جاولي الى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منهم جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم أن المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فاقام بها ثم توجه الى كازرون فملكها وحصر أبا سعد محمد بن عماد في قلعته وأقام عليه اسنتين صيفا وشتاء فراسله جاولي في الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فاطعمهم الهريسة والقطائف ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم والقوا في الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند أبي سعد فطلب الامان فامنه وتسلم الحصن ثم ان جاولي أساء معاملته فهرب فقبض على أولاده وبث الرجال في اثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيأ فقال ما معك فقال زادي ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فاقر على أبي سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصدوه وهو في شعب جبل فاخذه الجندي وحمله الى جاولي فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي وطلب منه النجدة وسار جاولي بعد هربه منه الى حصار رتيل رزنه يعني مضيق رزنه وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه وادٍ نحو فرسخين وفي صدره قلعة منيعة على جبل عال وأهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فاقاموا به وحفظوا أعلاه فلما رأى جاولي حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كاتما أمره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد مظهرا أنه عسكر الملك ارسلانشاه صاحب كرمان فلم يشك أهل الحصن انهم مددهم مع صاحبهم فاظهروا السرور وأذنوا له في دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيمن هناك فلم ينج غير القليل ونهب أموال أهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه انه عازم على التوجه الى كرمان ويدعوه اليه فلم يجد بدا من موافقته فنزل اليه طائعا وسار معه الى كرمان وأرسل الى صاحبها القاضي أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى أعادهم عاد

تكون عشرة فيفتح الذي يومئ بها بديه جميعا ويقابل الخمس أصابع بالخمس فلما كان الخامس مثل خامسة الاصابع وهي الخنصر سمي مرتاحا وسمي السادس حظيا لان له حظا وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس فضة وهي آخر خطوط خيل الحلبة فله حظ وسمي السابع العاطف لدخوله الحجرة لانه قد عطف بشئ وان قل وحسن اذ كان قد دخل المحجور وسمي الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سموا الفلاة مفازة واللديغ سليما وكنوا الحبشي أبا البيضاء ونحو ذلك فكذلك سموا الخائب المؤمل أي أنه يؤمل وان كان خائبا لانه قرب من بعض ذوات الخطوط بعد والتاسع اللطيم لانه لو رام الحجرة للطم دونها لانه أعظم جرما من السابع والثامن والعاشر السكيت لان صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا وكانوا يجعلون في عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا ويدفعون للقرد سوطا فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه وأنشد في ذلك الوليد بن حصن الكلبي

اذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا
فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فان بعضهم كان يفعل ذلك ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل حتى يتجفف وقد عن

عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولى أحسن اليه وأجزل له العطاء وأفسده على صاحبه وجعله عينا له عليه وقرر معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول وبلغ السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش أعلم الوزير ما عليه جاولى من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه وأكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداه جاولى طمعوا فيه بهذا العسكر والرأى ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر ودخلت السيرجان وسار جاولى فى أثر الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك ملك كرمان أحضر الرسول وأنكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولى ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت أمواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر وأشار عليهم بترك الجادة المسلوكة وقال ان جاولى محتاط بها وسلك بهم طريقا غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير أميرا فى طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم ير أحدا فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال ان العسكر كان قليلا فعاد خوفا منا فاطمأن حينئذ جاولى وأدمن شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلا وهو سكران نائم فايقظه بعض أصحابه وأخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وأيقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم وأسر كثير وأدركه خسرو وابن أبى سعد الذى قتل جاولى أباه فسارا معه فى أصحابهما فالتفت فلم ير معه أحدا من أصحابه الا تركك فخاف على نفسه منهم فقال له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسار معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من أصحابه وأطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة فى شوال سنة ثمان وخمسمائة وبينما جاولى يدبر الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره توفى الملك جغرى بن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك فى عضد فارس ملك كرمان رسولا الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولى عنه فاجابه السلطان انه لا يدمن ارضاء جاولى وتسليم فرج اليه فعاد الرسول فى ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد الى أصبهان خوفا على فارس من صاحب كرمان

## ﴿ ذكر فتح جبل وسلات وتونس ﴾

فى هذه السنة حصر عسكر على بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها أحمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما أراد وفيها فتح أيضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل أهله طول الدهر يفتكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استمر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان أهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون أشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة فى الصعود الى الجبل من شعب لم يكن أحد يظن انه يصعد منه فلما صار فى أعلاه فى طائفة من أصحابه ثار اليه أهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه أشد قتال وتتابع الجيش فى الصعود اليه فانهزم أهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من أفلت

الحلبة العشرة باسمائها وصفاتها وذكرها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان وكان بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسلمة من اقليم بلخ من كورة الرقة من ديار مضر فانه قال فى ذلك

شهدنا الرهان غداة الرهان
بجمعية ضمها الموسم
نقود اليها مقاد الجميع
ونحن بصنعتها أقوم
غدونا بقوودة كالقداح
غدت بالسعود لها الانجم
مقابلة نسبة فى الصريح
فاهن للاكرم الاكرم
كميت اذا ما تباطى بيل
يفوت الخطوط اذا يلجم
فهن أحوى ممر أغر
وأجود ذو غرة أرثم
تلا لا فى وجهه فرجة
كان تلا لؤها المرزم
فقيدت لمدخورها عندها
لمنتظرى أنها تنجم
على بن سحم صغار الشخوص
غماهم لحام انى تنجم
كانهم فوق اشباحها
زرازير فى نفق حوّم
فصفت على الخيل فى محضر
بلى أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم
فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسيف عن ساعة
من الناس كلهم أعلم
فقلت ونحن على جدة
من الارض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون * ومهما يكن فهو لا يكتم فاقبل فى أمرنا نافر * كما يقبل الوابل المنجم

واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما أحاط بهم الجيش طلبوا أن يرسل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثاروا بهم أولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى أعلى القصر ونادوا أصحابهم من الجيش فاتوهم وقاتلوهم بعضهم من أعلى القصر وبعضهم من أسفله فالقى من فيه من أهل الجبل أيديهم فقتلوا كلهم

## ﴿ذكر الفتنة بطوس﴾

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة وقعت النار في الخزائن المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في أبراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب ان فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لاغرو ان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فاحسن ماشاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

## ﴿ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة﴾

## ﴿ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود﴾

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على العماط فنهبه الناس ثم أذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكاثف القعود لهم وبين يديه عماط كبير فاكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة أيس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وأمره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على أربع عشرة سنة فقال



فواصل من كل سقط له
كان عنا بيها العندم
وللرمث من فرح ما تستثير
سنابكهن سنا يحزم
تجلى الاغر وصلى الكميت
وسلى فلم يندم الا دهم
وأردفها رابع تاليا
وأين من المنجد المتهم
وماذم مرتاحها خاصما
وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظى لها سادسا
فاسهمه حظه المسهم
وسابعها العاطف المستجير
يكاد لحيرته يحرم
وجاء المؤمل فيها يخيب
وغنى له الطائر الاشيم
وجاء اللطيم لها تاسعا
فمن كل ناحية يلطم
يخب السكيت على اثره
وذفراه من قبة أعظم
كأن جوانبه بين ذى
جمانة نيط بها قمقم
اذا قيل من رب ذا لم يجز
من الخزى بالصمت يستعصم
ومن لا يمد للحلاب الجواد
وشيك لعمرك ما يندم
وماذو اقتضاب لحم ولها
كمن ينتميها ويستلزم
فرحنا بسبق شهر نابه
ونيل به الفخر والمغنم
وأحرز عن قصبات الرهان
رغائب أمثالها تقسم
يرود من القصب مؤشية
وأكسية الخز والملحم
فراحت عليهن منشورة
كأن حواشيهن الدم
ومن ورق صامت بدرة * ينوء بها الاغلب الاعصم فغضت لهن خواتيمها * وبدرتنا الدهر لا تختم

لوالده انه يوم غير مبارك يعنى من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على أبيك وأما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفى يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء وأعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يأمره بالعدل والاحسان وفى الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة أربع وسبعين واربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وستة أيام وأول ما دعى له بالسلطنة ببغداد فى ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقى من المشاق والاخطار لاحد عليه فلما توفى أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتى عشرة سنة وستة أشهر

## ﴿ ذكر بعض سيرته ﴾

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقى فحضروا مجلس الحكم وأحذوا معهم غلمان القاضى فلما رآهم السلطان قال لحاجبه انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا انا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فاعلمه ذلك فاشتد عليه واكره وأمر باحضار العامل وأمره بايصال أموالهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد ندمت ندما عظيما حيث لم أحضر معهم مجلس الحكم فيقتدى بى غيرى ولا يمتنع أحد عن الحضور فيه وأداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابى أحمد القزوينى وقد له الباطنية فلما قتل أمر بعرض الخزانة فعرض عليه فيها درج فيه جوهر كثير نفيس وقال ان هذا الجوهر عرضه على منذ أيام وهو فى ملك أصحابه وسلمه الى حادم ليحفظه وينظر من أصحابه فيسلم اليهم فسأل عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه أطلق المكوس والضرائب فى جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامر امسيرته فلم يقدم أحد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن أعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

## ﴿ ذكر حال الباطنية أيام السلطان محمد ﴾

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكره هنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان فى أيامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازى صاحب قلعة ألموت وكانت أيامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له فى أقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله وأسره رجالهم وسبى نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما اتصل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبه وساوه وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلى بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم أيضا قلعة بيره وهى على سبعة فراسخ من قزوين وأمنهم وسيرهم الى ألموت أيضا وسار الى قلعة الموت فبين معه من العساكر وأمده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة فى قتالهم مع جوده فى رأى وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء أشهرا يقيمونها فكانوا يبنون

كما يصلح الصبية المعظم
ويخلطها بصميم العيال
بمن لم يخب وهو المحروم
مشاربها الصافيات العذاب
ومطعمها فهو المطعم
فهن باكناف أبياتنا
صوافن يصهلن أو حوم
ومال محمد بن يزيد فى كلمته هذه الى انه لاحظ للثامن وجعل للسابع حظا فى السبق والهندسة اجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية وانما سميت الحلبة حلبة لان العرب تحلب اليها خيولها من كل مكان
(قال المتقى) اثبتنا ما يجرى فى هذه الاوقات ودوناه فلم يزالا معه فى ذلك يجدد لهما البرانى أن كان من أمره ما قد اشتهر وقد تناهى بنا الكلام الى هذا الموضع من خلافة المتقى فلنذكر الآن بعض من اشتهر شعره فى هذا الوقت واستفاض فى الناس وظهر فنهم أبو صخر القاسم ابن أحمد الحرورى وهو أحد المطبوعين المجودين فى البديهة المعروفين بالغزل فمن جيد شعره قوله

أضنى الهوى جسدى
وبدا لى به
جسدا تكون من هوى
متجسد

مازال ايجاد الهوى عدمى الى
أن صرت لو أعدمته لم أوجد

ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر وهو لم لا ترى لصداقتى تصديقا

ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم مستأمنين ويسألون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك وأعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجرى لكل رجل منهم فى اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذى لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا وأخذوا ما أعددناه من الاقوات والذخائر والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفد ما ثقلنا وما أعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير ونزل اليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

## ﴿ذكر حصار قابس والمهدية﴾

فى هذه السنة جهز على بن يحيى صاحب افريقية أسطولا فى البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهمانى أنشأ مركبا باساحلها ليحمل التجار فى البحر وكان ذلك آخر أيام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته فى المداراة فلما ولى على الامر بعد أبيه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من أهل افريقية ان يناوينى فى اجراء المراكب فى البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه على التجأ الى اللعين رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه فى البحر وأنفذ فى الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق على اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية أخرج على اسطوله فى أثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج مركبه فعاد اسطول الفرنج وبقى اسطول على يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وتمادى رافع فى المخالفة لعلى وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها وخادع عليا وقال انى انما جئت للدخول فى الطاعة وطلب من يسعى فى الصلح وافعاله تكذب أقواله فلم يجبه عن ذلك بحرف وأخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما رأى ذلك النساء صحن وولولن فغارت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند على غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر على مرة أخرى فاقتتلوا أشد من القتال الاول كان الظهور فيه لعسكر على فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه أهلها من دخولها فقاتلهم أياما قلائل ثم دخلها فارسل على اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى ان خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا فى الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك وتعاهد عليه

## ﴿ذكر الوحشة بين رجار والامير على﴾

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير على صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتأكدت الوحشة

وفينا ولم تدع الصديق صديقا * وعلى الرفيق بأن يكون رفيقا
ان غاب غاب محافظا أو حل كا * ن مداعبا أو قال كان صدوقا

وفى هذا الشعر يقول

ويكاد من علق الهوى بفؤاده * مما تفكر أن يرى زنديقا

وقوله

أعليك أعتب أم على الايام * بدأت وكنت مؤكدا بتمام
قطع التواصل قربنا بتواعد * وقطعت أنت تواصل الاقلام
هلا ألفت اذ الزمان مشتت * الالف للارواح لا الاجسام

وفى هذا الشعر يقول

عذرا أباعيسى عسى لك فى القلا * عذرا وذا علم بلا اعلام
من غابت الاخبار عنه ودينه * دين الامامة قال بالاوهام
خذ من فرائدك الذى أعطيتنى * فالدر درك والنظام نظامى
حكم معانيها معانيك التى * فصلتها الى والكلام كلامى

وشعره فى الهزل وغيره أكثر من أن نأتى عليه وأكثر الغناء المحدث فى وقتنا هذا من شعره وقد أشيع موته وأن اليزيدى غرقه لانه كان هجاه وقيل بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبى طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين

(قال المسعودى) وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان فى أيامه من الكوائن والاحداث على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط الذى كنا بنا هذا تال له وانما نذكر من

الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز على منه وأمر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش فى الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

﴿ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازى عليها﴾

فى هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب واعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولى اتابكية ولده الب ارسلان فلما مات أقام بعده فى الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم فى دولته أكثر من حكمه فى دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار نحوها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل بريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما هلك نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولى أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص ياروقتاش فبقى شهرا وعزلوه وولى بعده أبو المعالى بن المخلحى الدمشقى ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله فقطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازى فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر فرزقه الله غير أولاده فلما رأى ايلغازى خلو البلد من الاموال صادر جماعة من الخدم عمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة فى رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كليا وفى هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها فى يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربى وفيها مات احمد العربى ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفى هذه السنة فى شوال توفى أبو على محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالى الاسناد روى عن أبى على بن شاذان وغيره والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضى الحاسب وكان واحد عصره فى علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبى الحسين بن المهتدى وغيره وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

﴿ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقى شحنكية ببغداد﴾

لما توفى السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الزينبى أبو منصور أرسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداد فخطب له فى الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد يومئذ أنر بيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده على ما ذكرناه فاحسن اليه وأقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفى السلطان محمد خاطب السلطان محمودا فى العود الى بلده الحلة فاذن له فى ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد

بحكم التركى وكان مقتله فى رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وما كان من أمره مع الاكراد بناحية واسط وما كان من كونكار الديلمى واستيلائه على جيش بحكم وانحدار محمد بن رائق من الشأم ومحاربته كونكار بعكبر ومخاتلته اياه ودخوله الحضرة وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة الى أن انهزم كونكار واستولى محمد بن رائق على الامر وما كان من اليزيديين ومواقفتهم الحضرة وخروج المتقى عنها مع محمد ابن رائق الموصلى فى كتابنا المترجم باخبار الزمان فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المستكفى بالله﴾

وبويع المستكفى بالله وهو أبو القاسم عبد الله بن على المكتفى يوم السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وخلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة لسبع بقين من هذا الشهر فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر الا أياما وامه أم ولد

﴿ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه﴾

قد قدمنا عند ما ذكرنا خلع المتقى لله أن المستكفى بويع له بالسبق على نهر عيسى من أعمال قادور بازاء القرية المعروفة بالسندية فى الوقت الذى سملت فيه عينا المتقى بايع له أبو

وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شئ فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فأرسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه وكان عند السلطان محمد وخافوا ان يزداد تقدما عند السلطان محمود وحكما فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولى شحنكية بغداد الامير صنكو برس وهو من أكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما أعطى الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن أزبك أحد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ ليذب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله ليأمره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الامر عليه فأرسل اليه الخليفة فأجاب ان رسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي أصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل أخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بأيام

## ﴿ذكر وفاة المستظهر بالله﴾

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى وأربعين سنة وستة أشهر وستة أيام وخلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن الوزارة أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في أيامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان توفي بعده القائم بأمر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بأمر الله ولما توفي السلطان محمد توفي بعده المستظهر بالله

## ﴿ذكر بعض أخلاقه وسيرته﴾

كان رضي الله عنه ابن الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم بأقوال أصحاب الاغراض وكانت أيامه أيام سرور للرعية فكأنها من حسنها أعياد وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك والزجر عنه وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه المسترشد بالله وكبر أربعا ودفن في حجرة له كان يأنس بها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا

ابن أبي الشوارب وجماعة من الهاشميين فصلى بهم في يومهم ذلك المغرب والعشاء وسار حتى نزل في يوم الاحد بالشماسية فلما كان في يوم الاثنين انحدر في الماء راكبا في الطيار الذي يسمى الغزالة وعليه قلنسوة طويلة محدودة ذكر أنها كانت لابيه المكتفي بالله وعلى رأسه نورون التركي ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد وجماعة من غلمانه وسلم اليه المتقي ضربا وأحمد بن يحيى القاضي مقبوضا عليه وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري مدة ثم غضب عليه وغلب على أمره محمد بن شيرزاد وجلس للناس وسأل عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة فأمر باسقاط بعضهم وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لاشياء كان قد علمها منهم قبل الخلافة فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك واستقضى على الجانب الشرقي محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفي وعلى الجانب الغربي محمد بن الحسن بن أبي الشوارب الاموي الحنفي فقالت العامة الى ههنا انتهى سلطانه وانتهى في الخلافة أمره ونهيه وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذي يسمى بالمطيع قبل ذلك محاورة في دار ابن وكيف

وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق فى مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهرى بما وعدا
ان كنت أنقض عهد الحب فى خلدى * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

﴿(ذكر خلافة الامام المسترشد بالله)﴾

لما توفى المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبى العباس أحمد بن المستظهر بالله وكان ولى عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدى بأمر الله وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولى لاخذ البيعة القاضى أبو الحسن الدامغانى وكان نائبا عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غيره هذا وأحمد بن أبى دواد فانه أخذها للواثق بالله والقاضى أبو على اسمعيل بن اسحق أخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل قاضى القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الرئيس أبى منصور وزير السلطان محمود وكان والده خطب فى معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن أبى طاهر يوسف بن أحمد الحزرى

﴿(ذكر هرب الامير أبى الحسن أخى المسترشد وعوده)﴾

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فأكرمه دبيس وعلم منه وفاد المستظهر بالله وأقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره أهمه ذلك وأقلقه وأرسل الى دبيس يطلب منه اعادته فأجاب بانى عبد الخليفة وواقف عند أمره ومع هذا فقد استذم بى ودخل منزلى فلا أكرهه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبى فقصد الامير أبا الحسن وتحدث معه فى عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده فاجاب الى العود وقال انى لم أفارق أخى لشر أريده وانما الخوف حملنى على مفارقته فاذا أمننى قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداد فعاد النقيب وأعلم الخليفة الحال فأجاب الى ما طلب منه ثم حدث من أمر البرسقى ودبيس وسنكوبرس ما ذكرناه فتأخر الحال وأقام الامير أبو الحسن عند دبيس الى ثانى عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوى الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولى عهده ولده أبى جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة فخطب له ثانى ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وأرسل الى دبيس بن مزيد فى معنى الامير أبى الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومديده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوته فأرسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحيرهو وأصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا أثقاله وهرب الاكراد من أصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقى الامير أبو الحسن فى عشرة من أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فأيقن بالتلف وتبعه بدويان فاراد الهرب منهما فلم يقدر فاخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين ألف دينار فحمل الى الدار العزيزة وكان بين خروجه عنها وعوده اليها أحد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله المسترشد

الفتح فلما حمل المستكفى الى نهر عيسى ليبايع له هرب المطيع من داره وعلم أنه سيأتى عليه فلما استقرت للمستكفى طلب المطيع فلم يقف له على خبر فهدم داره وأتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره (وذكر) أبو الحسن على بن أحمد الكاتب البغدادى قال لما استخلف المستكفى ضم اليه تورون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه وكان للمستكفى غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ فى خدمته فكان المستكفى يميل الى غلامه وكان تورون يريد من المستكفى أن يقدم المضموم اليه على غلامه الاول فكان المستكفى يبعث بالغلام التركى فى حوائجه اتباعا لمرضاة تورون فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه (قال) وأقبل المستكفى يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب فقال له أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشأم قال لا يا أمير المؤمنين قال ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتبى قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه فبلغ اليه كلامهم فركب فى جماعة من الفريقين وأوغل بهم فى الصحراء فلاح لهم من بعد قطار ابل فدعا برجل من أهل الشأم

وبكيا وأنزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلي الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف الكثيرة وطيب نفسه وأمنه

## ﴿ ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقي ودبيس ﴾

في هذه السنة في جمادى الاولى برز البرسقي ونزل باسفل الرقة في عسكره ومن معه وأظهر أنه على قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه أي ابه جيوش بك وأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لا مانع دونه فسارا في جيوش كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي بن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة في الغاية ومعهم أيضا صاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوي بن خراسان التركماني صاحب البوازيج فلما علم البرسقي قربهم حافهم وكان البرسقي قديما قد جعله السلطان محمد أتابك ولده مسعودا على ما ذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما علم مسعود وجيوش بك ذلك أرسلوا اليه الامير كرباوي في الصلح وأعلمه أنهم انما جاؤا لنجدته على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كثير فسار البرسقي عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقي فبنى أمره على الحاجزة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقي وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوي بصاحبه فلما اجتمعا سارا الملك مسعود والبرسقي وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن أتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقي والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا الخاضات عليه ونهب الطائفتان السوادنهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستباحوا النساء وأرسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقي ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانباري والامام الاسعد الميهني مدرس النظامية فانكر البرسقي ان يكون جرى منهما شئ من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخي دبيس والامير حسين بن ازبك ربيب منكبرس وسيراه وعبر عند درزيجان ليقطعوا المخاضة عند ديالى الى بغداد فحالوا هامن عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقي الى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقر فوصل الى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومين فاتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد نحو بغداد وعبر الى الجانب الغربي وعبر منصور وحسين فسارا في عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقي الى الملك مسعود فاخذ بركه

---

فقال له امض فاعرف ما هذه محملة قال لا أدري ولكني أعود وأتعرف ذلك وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشأم يسمعون فقال ما هي قال ابل قال وكم عددها قال ثلاثون قال وما تحمل قال زيتا قال ومن أين صدرت قال من موضع كذا قال ومن ربها قال فلان فالتفت الى أهل الشأم فقال ألام على عمرو ولومات أونأى لقل الذي يغني غناءك يا عمرو

فقال ابن شيرزاد فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الادب في هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله
منه الى العود والامران سيان

كذلك ما قال أهل العلم في مثل

طريق كل أخي جهل طريقان

قال المستكفي ما أحسن ما وصف البحتري الرسول بالذكاء بقوله

وكأن الذكاء يبعث منه
في سواد الامور شعلة نار

وعلم ابن شيرزاد استثقال المستكفي لغلام تورون فأخبر تورون بذلك فأعفاه منه وأزاله عن خدمته

(وحدث) أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل البغدادي قال كان أبي قديما في خدمة المكتفي وماله

وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة وأصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان وأصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود بن البرسقى عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان قد أرسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر انه لقى من السلطان احسانا كثيرا وانه أقطعهم اذربيجان فلما بلغه رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول ان السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بأم الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخافا من البرسقى ان يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ فى مقابلته البرسقى ليخلوا العسكر منه ويقع الاتفاق وكان الامر فى مسيره على ما تقدم وكان البرسقى محبوبا الى أهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن البرسقى أصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه واستقر منكبرس فى شحنكية بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعد ان طالب بدار أبيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت فى جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال وأقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى أرباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى ان بعض أهل بغداد زوت اليه امرأة بزوجها فعلم بعض أصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فأخذ الجندى الى دار الخلافة فاعتقل أياما ثم أطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لح فى جمع الاموال والمصادرات فلما علم أهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

## ﴿ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين﴾

فى ذى الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفى بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر فى جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوى طمعه فى الديار المصرية وبلغ مقابل بلبيس وسبح فى النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذى كان أسره جكرمش وأطلقه جاولى سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قيامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان أتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فأتته رسل ملك الفرنج يطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التى بينهم من جبل عوف والحمانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين وأعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين

فرأيته فى بعض الايام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من جيرانه بناحية دار ابن طاهر وقد تذاكروا الخمر وأفعالها وما قال الناس فيها من المنثور والمنظوم وما وصفت به فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين ما رأيت أحدا وصف الخمرة بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر فى بعض كتبه فى الشراب ووصفه انه ليس فى العالم شئ واحد أخذ من أمهاته الاربع فضيلتها وابتزها أكرم خواصها الا الحمرة فلها لون النار وهو أحسن الالوان ولذوبة الهواء وهى ألين المجسات وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات وبرد الارض وهى ألذ المشروبات قال وهذه الاربع وان كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الخمر قال واصفها قد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها

لست أرى كالراح فى جمعها
لاربع هن قوام الورى
عذوبة الماء ولين الهوا
وسحنة النار وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذى وصفناها به من الفضل على سائر ما ينال ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بما ينفع من فنون الشهوات قال وأما شعاع الخمر فانه يشبه

ولم يؤثروا فى الفرنج أثرا فعاد طغتكين الى دمشق فأتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من اعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا اذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بورى بن طغتكين فانحاز واعنه الى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما أيس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها وأسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفسل الى دمشق على أسوأ حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازى فاستنجده وطلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو يجلب أتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من أعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وايلغازى على عود طغتكين الى دمشق وحماية بلاده وعود ايلغازى الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان ما نذكره سنة ثلاث عشرة ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات فى كثير من البلاد وكان أشده بالعراق فغلت الاسعار وأجلى أهل السواد وتقوت الناس بالخالة وعظم الامر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها أسقط المسترشد بالله من الاقطاع المختص به كل جور وأمر ان لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة وأطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها وأذى عظيما وفيها تأخر مسير الحاج تأخرا أرجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الامير نظر خادم أمير الجيوش يمين وولاه من أمر الحج ما كان يتولاه أمير الجيوش واعطاه من المال ما يحتاج اليه فى طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفاية نظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما قوة ونجدة للفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا ممن فيهما وفيها وصل رسول ايلغازى صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين فى الديار الجزرية وانهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا أميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها نقل المستظهر الى الرصافة وجمع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر ام المقتدى وكان وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من أولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربى من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة فى خمسين غلاما أترا كا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد فى مائتى غلام فلم يظفر بهم وذهب العيارون يومئذ قطفتا وفى هذه السنة فى شعبان توفى أبو الفضل بكر بن محمد بن على بن الفضل الانصارى من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفى أبو طالب الحسين بن محمد بن على بن الحسن الزينبى نقيب النقباء ببغداد فى صفر واستقال من النقابة فوليها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها فى ذى الحجة توفى أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الاصبهانى المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفى أبو الفضل أحمد بن الخازن وكان أديبا ناظريقا له شعر حسن فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخل غلمانه الى بستان فى الدار وحمام فقال فى ذلك

أحمر فى العالم وأصفر من ... ياقوت وعقيق وذهب
وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة قال وقد شبهها الاولون بدم الذبيح ودم الجون وشبهها غيرهم بالزيت والرازقى وغيرهما وتشبيهها بالجوهر الاكرم أفضل لها وأحسن فى مدحها قال فأما صفاؤها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء وقد قال بعض الشعراء المتقدمين فى صفائها تريك القذى من دونها وهى دونه
وهذا أحسن ما قاله الشعراء فى وصف الخمر قال وقد أتى أبو نواس فى وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعلها فى النفس وصفة آلاتها وظروفها وأوانيها وحال المنادمات عليها والاصطباح والاغتباق وغير ذلك من أحوالها بما يكاد يعلو به باب وصفها لولا اتضاع الاوصاف لها واحتمالها اياها وأنها لا تكاد تحصر ولا يبلغ الى غاياتها قال وقد وصف أبو نواس نورها فقال

فكأنه فى كفه
شمس وراحته قمر

(وقال)

فعلت فى البيت اذ مزجت * مثل فعل الصبح فى الظلم
هى نار فى مهب ريح * ان تهدى سارى الظلام بها * كاهتداء السفر بالعلم

وافيت

وافيت منزله فلم أر صاحبا * الا تلقانى بوجه ضاحك
والبشر فى وجه الغلام نتيجة * لمقدمات صباه وجه المالك
ودخلت جنته وزرت حميمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود﴾

كان الملك طغرل بن محمد لما توفى والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة فى المحرم واقطعه والده سنة أربع ساوة وآوه وزنجان وجعل أتابكه الامير شير كير الذى تقدم ذكره فى حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما فتحه شير كير من قلاعهم فارسل اليه السلطان محمود الامير كنتغدى ليكون اتابكه ومدبر الامره ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة أخيه وترك المجىء اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين أنوشروان ابن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدى بانه فى طاعة السلطان وأى جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما نقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس حريدة فى جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقمص عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا فى ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فابلغه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه منحميا وقصد قلعة سميران فصد لاعن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجمعا العساكر وكان صلاحهما هذا يقتضى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سميران وقال انها حصنهما الذى فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله اليها سارا اليها فربما صادفهما فى الطريق فسلما منه بما طاهما وصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة أخيه ثلثمائة ألف دينار وذلك المال الذى أنفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الرى ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

﴿ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود﴾

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك فقد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد وأغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفى أخوه محمد تلقب بمعز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره أبى جعفر محمد بن فخر الملك ابى المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه أوحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه

وما لم تكن فيه من البيت مغربا

(وقال أيضا)

وكأن شاربها الغرطة شعاعها
فى الكأس يكرع فى ضيا مقباس

(وقال أيضا)

فقلت له ترفق بى فانى
رأيت الصبح من خلل الدياز
فقال تعجبا منى أصبح
ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها
فعاد الليل مصبوغ الازار

(وقال أيضا)

وحمراء قبل المزج صفراء دونه
كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

(وقال)

كان نارا بها محرشة
تهابها تارة وتحشاها

(وقال أيضا)

حمراء لولا انكسار الماء
لاختطفت
نور النواظر من بين الحدائق

(وقال أيضا)

ينقض منها شعاع كلما مزجت
كالشهب تنقض فى اثر العفاريت

(وقال)

عتقت فى الدنان حتى استفادت
نور شمس الضحى وبرد الظلام

(وقال)

يجودها حتى عيانا يرى لها
الى الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت لنا حتى الصباح صباحا قال وله فى هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها فى مشابهة النار ومخالفة الانوار والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم أنوارا مما هو اغراق الواصف واشتطاط المادح قال وليس الى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها اذ ليس بعد الانوار شئ فى الحسن قال فدخل المستكفى سرور وفرح وابتهاج بما وصف فقال ويحك فرج عنى من هذا الوصف قال نعم ياسيدى (قال) عبد الله بن محمد الناشى وقد كان المستكفى ترك النبيذ حتى أفضت الخلافة اليه فدعا بها من وقته ودعا الى شربها وقد كان المستكفى حين أفضت الخلافة اليه طلب الفضل ابن المقتدر على حسب ما قدمنا لما كان بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه أعرضنا فهرب الفضل وقيل انه هرب الى أحمد بن بويه الديلمى منتصرا وأحسن اليه أحمد ولم يظهره فلما مات تورون ودخل الديلمى الى بغداد وخرج الاتراك عنها صار الى ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن العلاء فكان بينه وبين ابن بويه الديلمى من الحرب ما قد اشتهر وانحاز الديلمى الى الجانب الغربى ومعه المستكفى والمطيع مختف ببغداد والمستكفى يطلبه

أشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست أرسل ارسلان شاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة ألف دينار ليثنى سنجر عن قصده فاشار عليه بصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها انه نقل عنه انه أخذ من غزنة أموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من ايحاشه الامراء وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال مالا حد عليه والذى وجد له من العين ألفا ألف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق ابن أخى نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا أنه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علو المنزلة فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض والملك ما لا يبلغه بكثرة العساكر لميل الناس اليه ومحله عندهم ثم ان السلطان محمودا أرسل الى عمه سنجر شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتى ألف دينار كل سنة فوصلا اليه وأبلغاه الرسالة فتجهز ليسير الى الرى فاشار عليه شرف الدين أنوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه فى ذلك ان ولد أخى صبى وقد تحكم عليه وزيره والحاجب على فلما سمع السلطان محمود بسير عمه نحوه ووصول الامير أرغش مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير على بن عمر وهو أمير حاجب السلطان محمد وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن له جمعا كثيرا من العساكر والامراء فاجتمعوا فى عشرة آلاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التى عليها الامير أرغش فراسله الامير على بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى أمره ونهيه والقبول منه وانه ظن ان سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود وأخذ عليها بذلك العهود فليس لما أن نخالفه وحيث جئتم الى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نقضى عليه وقد علمت ان معك خمسة آلاف فارس فانا أرسل اليك أقل منهم لتعلم انكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الامير أرغش ذلك عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فاخذوا قطعة من سواده وأسروا عدة من أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الرى وهو بها وعاد الامير على بن عمر اليه فشكره على فعله واثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الرى والمقام بها وقيل ان عساكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدونها فلم يقبل ذلك وضجر من المقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمود الامير منكبرس من العراق فى عشرة آلاف فارس والامير منصور بن صدقة أخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود الى همذان وتوفى بها وزيره الربيب واستوزر أباطالب السميرمى وبلغه وصول عمه سنجر الى الرى فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثانى جمادى الاولى من السنة وكان عسكر السلطان محمود قد عرفوا المقارعة التى بين يدى عسكر سنجر وهى ثمانية أيام فسبقوهم الى الماء وملكوه عليهم وكان العسكر الخراسانى فى عشرين ألفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها باذهو ومن الامراء الكبار ولد الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمد والامير أرغش والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر السلطان محمد وسنجر على أختهما وكان أخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقى الذى صار صاحب بلاد فارس فسار حينئذ علاء الدولة الى سنجر وهو من مماليك الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامراء من أخذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان محمود ثلاثين ألفا ومن الامراء

الكبار الامير علي بن عمر أمير حاجب والامير منكبرس وأتابكه غزغلي وبنو برسق وسنقر البخاري وقراجة الساقي ومعه تسعمائة حمل من السلاح واستهان عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية لما رأوا هذا العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط أصحابه واضطرب أمرهم وسار وا منهزمين لا يلوون على شئ ونهب من أثقالهم شئ كثير وقتل أهل السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة في جمع من أصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلي فالجأت سنجر الضرورة عند تعاظم الخطب عليه أن يقدم الفيلة للحرب وكان من بقي معه قد أشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر او القتل وأما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود في تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبي بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه في القلب وأسر اتابكه غزغلي فكان يكاتب السلطان ويعده أنه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ في ظلم أهل همذان فعجل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد في عشرة أيام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله في الخطبة للسلطان سنجر فخطب له في السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود وأما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرمي والامير علي بن عمر وقراجة واما سنجر فانه سار الى همذان فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن أخيه فراسله في الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت ما لاحد عليه وقررت الجميع على أصحابه فاجعل ولد أخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر هي جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقي وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه عن بغداد الى هذه الغاية فقوي بهم فعاد الرسول وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده أن يجعله ولي عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى عمه سنجر في شعبان فنزل على جدته والدة سنجر واكرمه عمه وبالغ في ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التي بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد مثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الري وقصد بأخذها ان تكون له في هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج

## ﴿ ذكر غزاة ايلغازي بلاد الفرنج ﴾

في هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحي حلب فلكوا بزاعة وغيرها وأخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم أهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها أحد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج أهل حلب على ان يقاسموهم على أملاكهم التي بباب حلب فارسل أهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازي صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي والامير طغان أرسلان بن المكر

أبو اسحق ابراهيم بن اسحق المعروف بابن الوكيل ومنزلته من خدمة المستكفي ما قدمنا قال كان المستكفي في سائر أوقاته فارغا وجلا من المطمع أن يلي الخلافة ويسلم اليه فيحكم فيه بما يريد فكان صدره يضيق لذلك فيشكو ذلك في بعض الاوقات الى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطمع الى أن قال لهم في بعض الايام قد اشتهيت أن نجتمع في مكان كذا وكذا فنتذاكر أنواع الاطعمة وما قال الناس في ذلك منظوما فاتفق معهم على ذلك فلما كان في اليوم الذي حضر وأقبل المستكفي فقال هاتوا ما الذي أعده كل واحد منكم فقال واحد منهم قد حضرني يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة سكارج كواخ فقال

امتع بسلة قضبان أتتك وقد
حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة
حمر وصفر وما فيهن انكار
فيهن كامخ طرخون مبوهرة
وكامخ أحمر فيها وتيار
أعطته شمس الضحى لونا لجامه
كانه من ضياء الشمس عطار
في الطعم شبه ولا في لونه عار

فيهن كامخ مرزنجوش قابله * من القرنفل نوع منه مختار وكامخ الدارصيني فليس له *

صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل سار وا فنزلوا قريبا من الاثارب بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفى هذا الموضع قتل شرف الدوله مسلم بن قريش وظن الفرنج ان أحدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فأخلدوا الى المطاولة وكانت عادة لهم اذا رأوا قوة من المسلمين وراسلوا ايلغازى يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فأعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فأشاروا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان أحدا يقدم عليهم لصعوبة المسالك اليهم فلم يشعروا الا وأوائل المسلمين قد غشيهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقى العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة وأحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم وأخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان فى جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا فى نفوسهم ثلاثمائة ألف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما سير جال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فمما مدح به ايلغازى فى هذه الوقعة قول العظيمى

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الانجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازى أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر أمرها وأصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

## ﴿ ذكر وقعة أخرى مع الفرنج ﴾

فى هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر فى جمع من الفرنج نحو مائتى فارس من طبرية فكبس طائفة من طيئ يعرفون ببنى خالد فأخذهم وأخذ غنائمهم وسألهم عن بقية قومهم من بنى ربيعة فأخبروه انهم من وراء الحزن بوادى السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو فى خمسين فارسا على طريق آخر واعدهم الصبح ليكبسوا بنى ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فأرادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بنى ربيعة وكانوا فى مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة وخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم أو سيدركهم فأخذ الطريق وتساوت العدتان فاقتتلوا وطعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأى فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد فى فداء نفسه مالا جزيلا وعدة من الاسرى واما جوسلين فانه ضل فى الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعا وأسرى الى عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مفلولا

## ﴿ ذكر قتل منكوبرس ﴾

فى هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذى كان شحنة ببغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداد ذهب عدة مواضع من طريق خراسان وأراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيفه وكفنه فقال له أنا لا أو اخذ أحدا وسلمه الى السلطان

كانه المسك ريحا فى تنسمه * حريف فى طعمه والريح معطار

وكامخ الزعتر البرى ان له * لونا حكاه لدينا المسك والقار

وكامخ الثوم لما أن بصرت به * أبصرت عطر اله بالاكل أمار

كأن زيتونها فيها اظلام دجى * فى الجيب منه من المحضور أسفار

اذا تأملت ما فيهن من بصل * كانهن لحسن حشوه نار

وسلجم مستدير القد خالطه * طعم من الخل قد حازته أسطار

كان أبيضه فيه وأحمره * دراهم صفقت فيهن دينار

فى كل ناحية منها يلوح لنا * نجم الينا بصفو الفجر نظار

كانها زهرة البستان قابلها * بدر وشمس واظلام وأنوار

قال المستكفى تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف وها نوافليس نأكل اليوم الا ما تصفون

فقال آخر من الجلساء ياأمير المؤمنين لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم فى صفة سلة نوادر

متى تنشط للاكل

فقد أصلحت الجونه

وقد زينها الطاهى

لنا أحسن ما زينه

فجاءت وهى من أطيـ

ـب ما يؤكل مشحونه

فمن جدى شويناه

وعصبنا مصارينه

ونضدنا عليه نه

مع الفلفل وطرخونه

وفرخ وافر الزور

أجدنا لك تسفينه وطيهوج وفروج * أجدنا لك تطجينه وسنبوسجة مقلوة * ة فى اثر طريونه وحمراء من البيض محمود

محمود وقال هذا عمل كان فاصنع به ما تريد فأخذه وكان فى نفسه منه غيظ شديد لاسباب منها انه لما توفى السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها ومنها اجراءته عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

﴿ (ذكر قتل الامير على بن عمر) ﴾

فى هذه السنة أيضا قتل الامير على بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهى بين بروجرد وكرج وكان بها أهله وماله وسار منها فى مائتى فارس الى خوزستان وكانت بيد أقبورى بن برسق وابنى أخويه أوغلى بن يلبكى وهندو بن زنكى فارسل اليهم وأخذ عهودهم بامانه وحمايته فلما سار اليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو وأصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فأزاله فعاود التعلق فابطأ فأدركوه وأسروه وكاتبوا السلطان محمودا فى أمره فأمرهم بقتله فقتل وحمل رأسه اليه

﴿ (ذكر الفتنة بين المرابطين وأهل قرطبة) ﴾

فى هذه السنة وقيل سنة أربع عشرة كانت فتنة بين عسكر أمير المسلمين على بن يوسف وبين أهل قرطبة وسببها ان أمير المسلمين استعمل عليها أبا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فقد عبد من عبيد أبى بكر يده الى امرأة فأمسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير أبى بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان نقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فأنكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد وأظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر وأحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة واتصل الخبر بأمير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد ان يحمى دمه وحريمه وماله فلما رأى امير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا فى الصلح فأجابهم الى ذلك على ان يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

﴿ (ذكر ملك على بن سكمان البصرة) ﴾

فى هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد أقطع البصرة الامير آقسنقر البخارى فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتى فاحسن السيرة الى حد أن الماء بالبصرة ملح فاقام سفنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفى السلطان محمد عزم هذا الامير سنقر على القبض على أمير اسمه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو مذكور وحج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى أمير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه وأخذا القلعة وما وجداه له ثم ان سنقر الب أراد قتله فمنعه

بالعنبر مجنونه
وحريف من الخبز
به الاوساط مقرونه
وطلع كاللآلى فى
سموط العيد مكنونه
وخل ترعف الاسنا
ف منه وهى مختونه
وباذنجان بوران
به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى به
لك تستعذب هليونه
ولوز يضحة فى الدهـ
ـن والسكر مدفونه
وعندى للك رستيجـ
ـة مطبوخ وقنينه
وساق واعد بالوصـ
ـل منه عطفة النونه
له شدة ألحاظ
وفى ألفاظه لينه
وقرى يغنيك
لحونا غير ملحونه
ألا يا من لمحزون
نأى عن دار محزونه
فما عذرك فى أن لا
ترى من سكره طينه
فقال المستكفى أحسنت
وأحسن القائل فيما وصف
ثم أمر باحضار كل ما يجرى
فى وصفه مما يمكن احضاره
ثم قال هاتوا من معه شئ فى
هذا المعنى فقال آخر فى
هذا المعنى لابن الرومى فى
صفة وسط
ياسائلى عن مجمع اللذات
سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما أنشأته من قصه
مسلما من سوئه ونقصه خذ يا مريد المأكل اللذيذ * جردقتى خبز من السميذ لم ترعينا ناظر مثليهما * فتشعر الحرفين عن وجهيهما

غزغلى فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلى على سنقر الب فقتله ونادى فى الناس بالسكون واطمأنوا وكان أمير الحاج من البصرة هذه السنة أميرا اسمه على بن سكمان أحد الامراء البلدقية وكان فى نفس غزغلى عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف ان يأخذ بثار سنقر ألب اذهو مقدم البلدقية فارسل غزغلى الى عرب البرية يأمرهم بقصد الحجاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحجاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وأبلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقى بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلى يمنعه من قصد البصرة فقصد العونى أسفل دجلة هذا والعرب يقاتلونه فلما وصل الى العونى حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلى الى على بن سكمان فى عدد كثير وكان على فى قلة فتحاربوا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلى نشابة فسقط وقتل وسار على الى البصرة فدخلها وملك القلعة وأقر عمال آقسنقر البخارى ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيه وأحسن السيرة الى سنة أربع عشرة فسير السلطان محمود الاميرآقسنقر البخارى فى عسكر الى البصرة فاخذها من على بن سكمان

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها فى ربيع الاول توفى الوزير رئيس الدولة ووزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمى وكان ولد رئيس الدولة وزيرا للمسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة أبو على بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير وهو عم الوزير جلال الدين أبى الرضا صدقة الذى وزر للراشد والاتبك زنكى على ماذكره وفيها طهر قبر ابرهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس وزارهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم فى المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة بن أسد التميمى فى تاريخه والله أعلم وفيها فى المحرم توفى قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد الدامغانى ومولده فى رجب سنة تسع وأربعين وأربعمائة وولى القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شئ لم يكن لغيره ولما توفى ولى قضاء القضاة الاكمل أبو القاسم على ابن أبى طالب الحسين بن محمد الزينبى وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه أمير المؤمنين المكتفى بعد سنة تسعين ومائتين وفيها آخر الحج فاستغاث الناس وأرادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس بن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحجاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثانى عشر ذى القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها أرسل دبيس بن صدقة القاضى ابا جعفر عبد الواحد بن أحمد الثقفى قاضى الكوفة الى ايلغازى بن ارتق بماردين يخطب ابنته فزوجها منه ايلغازى وحملها الثقفى معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو الوفا على ابن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على أبى الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

---

حتى اذا ما صار تاطفاطفا ... واجعل عليها أسطرا من لوز

معارضات أسطرا من جوز ... اكفاحها الجبن مع الزيتون

وشكلها التنعم بالطرخون ... حتى ترى بينهما مثل اللبن

مقسومة كانها وشى اليمن ... واعمد الى البيض السليق الاحمر

فدرهم الوسط به ودنر ... وترتب الاسطر بالملح ولا

تكثر ولا تزل معتدلا ... وردد العينين فيه لحظا

فان للعينين منه حظا ... ومتع العين به مليا

وأطبق الوسط وكل هنيا ... وامسك بنابيك وأكدم كدما

تشرع فيما قد بنيت هدما ... طورا ترى حلقة الدولاب

حروفه ودوره كالداب ... وتارة مثل الرحى بلا سغب

قد شذبت عنها بنابيك الشذب ... لهفى عليها وأنا الزعيم

بعمدة شيطانها رجيم

وقال آخر يا أمير المؤمنين لاسحق بن ابراهيم الموصلى فى صفة سنبوسج

يا سائلى عن أطيب الطعام ... سألت عنه أبصر الانام

اعمد الى اللحم اللطيف الاحمر ... فدقه بالشحم غير مكثر

واطرح عليه بصلا مدورا ... وكزبرا طريا جنيا أخضرا

والق السذاب بعده موفرا ... ودارصينى وكف كزبرا

وبعده شئ من القرنفل ... وزنجبيل صالح وفلفل وكف كمون وشئ من مرى ... ومل كفين بملح تدمر فدقه يا سيدى شديدا ثم

ثم اوقد النار له وقودا واجعله فى القدر وصب الماء * من فوقه واجعل له غطاء حتى اذا الماء فنى وقلا ونشفته النار عنك كلا فانه ان شئت فى رقاق ثم احكم الاطراف بالازاق أو شئت خذ جزأ من العجين معتدل التفريك مستكين فابسطه بالسوبق مستديرا ثم اطفرن أطرافه تطميرا وصب فى الطابق زيتا طيبا ثم اقله بالزيت قليا عجبا وضعه فى جام له لطيف ووسطه من خردل حريف وكله أكلا طيبا بخردل فهو ألذ ما أكل المجمل فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب فى وصف هليون

لنار ماح فى أعالبها أود
منقلات الجسم فتلا كالمسد
مستحسنات ليس فيهن عقد
لها رؤس طالعات فى جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد
منتصبات كالقداح فى العمد
ثوب من السندس من فوق يرد
قد اشربت حمرة لون يتقد
كأنها ممزوجة حمرة خد
قد فرضت حمرته كف حرد
لفاظته حمرة خد ويد
كأنها فى صحن جام أو برد
منضدات كتناضيد الزرد
نسائج العسجد حسنا منتضد
كأنها مطرف خز قد نضد
لو أنها تبقى على طول الابد

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة ﴾

﴿ (ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما) ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود يحثه على طلب السلطنة للملك مسعود بعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسق أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد أقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسق وينسبه الى الميل الى السلطان محمود ويبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسق ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد فى تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين ابن على الاصبهانى الطغرائى بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبى اسمعيل يكتب الطغراء مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب حوى فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يعنفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته ووافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم وأسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر ألفا فسار أيضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقى فى مقدمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ أبو اسمعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم أصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى أخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال أخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقى بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره فكان مسعود بعد ان أرسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان وأشار عليه بمكاتبة دبيس بن صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقى فلم يره فأخبر بمسيره فسار فى أثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد فى السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو أخيه عنه وضمن له ما أراد وأعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وأمر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له وأحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذل له وخلطه بنفسه فى كل افعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابكه جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ وانتظر الملك مسعود فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل اليه فلما أيس منه سار الى

كانت فصوصا يخوا تيم الحرد من فوقها مودى عليها يطرد يجول فى جانبها جرد مرد مكشوفة من فوقها ثوب زبد

كأنه من فوقه حين لبد * شراك تبر أو لجين قد مسد فلو رآها عابد أو مجتهد * أفطر مما يشتهيها وسجد فلما فرغ منها قال

الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع أخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذا الحال فسار كأنه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه انى قد عزمت على قصد السلطان محمود وأحاطر بنفسى فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وأمنه وأحسن اليه وأما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود ذهب البلاد وأخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان أتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

## ﴿ ذكر حال دبيس وما كان منه ﴾

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله أرسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويأمره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وأمره بمنع أصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة وأظهر الضغائن التى فى نفسه وكيف طيف برأس أبيه وتهدد الخليفة وقال انك أرسلت تستدعى السلطان فان أعدتموه والا فعلت وصنعت فأعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسمعيل فكف على ان تسير الرسل فى الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد فى رجب ووصل السلطان فى رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسأل الصفح عنه فأجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه وذهب جشيرا للسلطان فسار السلطان عن بغداد فى شوال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب ألف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان أرسل يطلب الامان فأمنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فأرسل نساءه الى البطيحة وأخذ أمواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازى ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير أحدا فبات بها ليلة واحدة وعاد وأقام دبيس عند ايلغازى وتردد معه ثم انه أرسل أخاه منصورا فى جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وأرسل الى برنقش الزكوى يسأله ان يصلح حاله مع السلطان فلم يتم أمره فارسل الى أخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وأرسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازبر وهو نهر سندادو وصل العسكر اليها وهى فارغة قد أجلى أهلها عنها وليس بها اقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان مقدم العسكر سعد الدولة برنقش الزكوى فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة أخرى تحفظ الطريق على دبيس وأرسل الى عسكر واسط يحفظ طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل برنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس أخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

## ﴿ ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس ﴾

فى هذه السنة خروج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قد عاثوا فيها وعاثوا فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازى ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل

---

له المستكفى هذا مما يتعذر وجوده فى هذا الوقت بهذا الوصف فى هذا البلد الا أن نكتب الى الاخشيد محمد بن طغج يحمل الينا من ذلك البر من دمشق فانشدونا فيما يمكن وجوده قال آخر يا أمير المؤمنين لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقى فى صفة أرزية

لله در أرزة وافى بها
طاه كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف سحه
من صنعة الاهواء والانداء
وكأنها فى صحفة مقدودة
بيضاء مثل الدرة البيضاء
تهرب عيون الناظرين بضوئها
وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكأن سكرها على أكنافها
نور تجسد فوقها بضياء
فقال آخر يا أمير المؤمنين أنشدت لبعض المتأخرين فى هريسة

ألذ مما كله الانسان
اذا أتى من صيغه نيسان
وكانت الجديان والخرفان
هريسة يصنعها النسوان
لحم طيب الكف والاتقان
يجمع من فيه الطير والجلان
وتلتقى فى قدرها الادهان
واللحم والالية والشحمان
وبعده أوزه السمان
والحنطة البيضاء والجلبان
وبعده الارز واللبان
جوّدها بطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان

* كأنها ريد ورسيان تخجل من رؤيتها الالوان * اذا بدت يحملها الغلمان بلد

بلد اران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون فى عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائة رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعدها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازى ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على أهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان أهلها قد أشرفوا على الهلاك فقد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج فى طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاخرقوا بهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستغيثون منهم الى بغداد مستصرخين ومستصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان وأنفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر غزوات ايلغازى هذه السنة﴾

فى هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة ابن الانبارى لنجم الدين ايلغازى وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج والامر بإبعاد دبيس عنه وسار أبو على بن عمار الذى كان صاحب طرابلس مع ابن الانبارى الى ايلغازى ليقيم عنده بعد الوقائع التى ينقم به عليه فاعتذر بإبعاد دبيس ووعده ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من أعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازى وأتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج فى معرة قنسرين يوما وليلة ثم أشار أتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على أن يسلموا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان أكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجنوده خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازى فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازى لا يطيل المقام فى بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر أحدهم ومعه حراب فيه دقيق وشاة وبعد الساعات لغنيمة يتعجلها او يعود فاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال ما يفرقها فيهم

## ﴿ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما﴾

فى هذه السنة كان ابتداء أمر المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة فى جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما افتحه المسلمون مع موسى بن نصير وند كر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة الى آن فرغ من ملك المغرب لنتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل فى شبيبته الى بلاد الشرق فى طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا بأصولى الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل فى سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بأبى بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا يتمشى فى هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر

أبرزها اللآ كل الولدان
يفترس لهيبها العينان
والمرء فيها فله مكان
يؤثرها الجائع والشبعان
ويشتهيها الاهل والضيفان
لها على أضرابها السلطان
تصفو بها العقول والاذهان
وانتفعت باكلها الابدان
أبدعها فى عصرها ساسان
وأعجبت كسرى أنوشروان
اذا رآها الجائع الغرثان
لم يعط صبرا معها الجيعان
وقال آخر يا أمير المؤمنين لبعض المتأخرين فى صفة المضيرة
ان المضيرة فى الطعام
كالبدر فى ليل التمام
اشراقها فوق الموا
ئد كالضياء على الظلام
مثل الهلال اذا بدا
للناس فى خلل الغمام
فى صحفة مملوءة
للناس من جرع الحمام
قد أعجبت لابى هري
رة اذ أتت بين الطعام
حتى لقد مال الهوى
بهواه عن طلب الصيام
ولقد رأى فى أكلها
حظا فبادر بالقيام
ولقد تكلب ان يكو
ن مؤاكلا عند الامام
ادليس ثم مضيرة
تشفى السقيم من السقام
لا عذر فى اتيانها
من غير اتيان الحرام
فهى اللذيذة والغريـ



ـبة والعجيبة فى الانام فقال آخر يا أمير المؤمنين لمحمود بن الحسن فى صفة جوزابة

في المركب وألزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى بن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلي مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وأزاله فلما كثر ذلك منه أحضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فاخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها صلالة فلقيه بها عبد المؤمن بن علي فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فاخبره انه من قيس عيلان ثم من بني سليم فقال ابن تومرت هذا الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من أي قيس فقال من بني سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من اعمال تلمسان وهو من عائذ قبيل من كومية نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدي ملازما للامر بالمعروف والنهي عن المنكر في طريقه الى أن وصل الى مراكش دار مملكة أمير المسلمين يوسف بن علي ابن تاشفين ورأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقه فزاد في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر أتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفرن نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن وضرب هو وأصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابتها فرفع أمره الى أمير المسلمين علي بن يوسف فاحضره وأحضر الفقهاء لينا ظروه فأخذ يعظه ويخوفه ويبكي أمير المسلمين وأمر أن يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة أدلته في الذي فعله وكان عند أمير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا أمير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحي فاقتله وتلذذ دمه فلم يفعل ذلك فقال اذا لم تقتله فاحبسه وغلده في السجن والا آثار شرا لا يمكن تلافيه فأراد حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى التحق بالسوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة أربع عشرة فأتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر أعيانهم بين يديه رجل يعظهم ويذكرهم بأيام الله ويذكرهم شرائع الاسلام وما غيره منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم وامنعهم عما هم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمي اتباعه الموحدين وأعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلا وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا له انا وجدنا هذا الامر فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشا من أصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذي هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدونني وأخاف عليكم منهم فالرأي أن أخرج بنفسي الى غير هذه البلاد لتسلموا أنتم فقال له ابن توفيان من مشايخ هرغة هل تخاف شيأ من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان فليأتنا كل من في الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدي ابشروا بالنصر والظفر بهذه

وردية من صنعة الخالق
بسكر الاهواز مصنوعة
فطعمها أحلى من الرائق
غريقة في الدهن رجراجة
تزور بالنفخ من الرائق
لينة ملمسها زبدة
وريحها كالعنبر العائق
كانها في جامها اذ بدت
تزهر كالكوكب في الغاسق
عقيقة صفرتها فاقع
في جيد خود بضة عاتق
أحلى من الامن أتى موهنا
الى فؤاد قلق خافق
(وقال آخر يا امير المؤمنين
معي لبعض المحدثين في صفة
جوزابة أخرى)
وجوزابة مثل لون العتيق
وفي الطعم عندي كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة
ومن خالص الزعفران السحيق
مغرقة بشحوم الدجاج
وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم اذا استعملت
وفي اللون منها كلون الخلوق
عليها اللآلئ من فوقها
تضم جوانبها ضم ضيق
يردد ها في الانا نفخه
وما في حلاوتها من مطيق
(وقال آخر يا أمير المؤمنين
لمحمود بن الحسين كشاجم
في صفة قطائف)
عندي أصحابي اذا اشتد
السغب
قطائف مثل أضابير الكتب
كانه اذا ابتدى من كثب * كوافر النحل بياصاقبه قد مج دهن اللوز مما قد شرب * وابتل مما عام فيه ورسب الشرذمة

الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولفوا حيش أمير المسلمين فهزموهم وأخذوا أسلابهم وقوى ظنهم في صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم وأقبلت اليه أفواج القبائل من الحلل التي حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعه قبيلة هنانة وهي من أقوى القبائل فاقبل عليهم واطمأن اليهم وأتاه رسل أهل تينمال بطاعتهم وطلبوه اليهم فتوجه الى جبل تينمال واستوطنه وألف لهم كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة ونهج لهم طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين أظهرهم وأقام بتينمال وبنى له مسجدا خارج المدينة فكان يصلي فيه الصلوات هو وجمع ممن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف أن يرجعوا عنه فأمرهم أن يحصروا بغير سلاح ففعلوا ذلك عدة أيام ثم انه أمر أصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد ثم دخل المدينة فقتل فيها وأكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكان عدة القتلى خمسة عشر ألفا وقسم المساكن والارض بين أصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على رأس جبل عال وفي جبل تينمال أنهار جارية وأشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل أحصن منه وقيل انه لما خاف أهل تينمال نظر فرأى كثيرا من أولادهم شقرا زرقا والذي يغلب على الآباء السمرة وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على ألوانهم الشقرة وكانوا يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون ما لهم فيه من الاموال المقررة لهم من جهة السلطان فكانوا يسكنون بيوت أهله ويخرجون أصحابها منها فلما رأى المهدى أولادهم سألهم ما لي أراكم سمر الالوان وأرى أولادكم شقرا زرقا فاخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين فقبح الصبر على هذا وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال اذا حضروا عندكم في الوقت المعتاد وتفرقوا في مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا حبلكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضر أولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدى فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا في الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليه فقويت نفس المهدى بذلك ثم ان أمير المسلمين أرسل اليهم جيشا قويا فحصروهم في الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند أصحاب المهدى الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحسا ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده في ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها قنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينمال وأرادوا اصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدى بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الونشريشي يظهر البله وعدم المعرفة بشئ من القرآن والعلم ويراقبه يجري على صدره وهو كأنه معتوه ومع هذا فالمهدى يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشي يلزم الاشتغال بالقرآن والعلم في السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدى من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فاظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال أنا أبو عبد الله الونشريشي فقال له المهدى ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى في الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشي فاتفقوا وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدى ما قصتك قال اني أتاني الليلة ملك من السماء فغسل قلبي وعلمني الله القرآن

أطيب منه أن تراه يتهب
كل امرئ لذته فيما أحب
فاقبل المستكفي على معلم
كان يعلمه في صباه طيب
النفس وكان يضحك منه
ويستظرفه فقال له أنشدنا
ما سمعت فقال أنشدنا
أنت قال لا أدري ما قال
هؤلاء وما أنشدوا غير أني
مضيت في أمس بوما هذا
أدور حتى أتيت باطرنجا
فرأيت رياضها فذكرت
من أمرها فقلت
نوم عينيك يا ابن وهب غرار
وانار الهوى بقلبك نار
من حديث اني مررت بهاتو
ما وقلبي من الهوى مستطار
وبها ترجمن ينادي علانا
قف فقد أدركت لدينا العقار
وتغنى دراج واستمطر اللهـ
ـو وجادت بنورها الازهار
فانثنينا الى رياض عيون
ناظرات ما ان بهن احورار
ومكان الجفون منها ابيضاض
ومكان الاحداق منها اصفرار
بينما نحن عندها سرخ الور
د الينا يا معشر السمار
عندنا قهوة تغافل عنها
دهرها فالوجوه منها احمرار
وانثنينا للورد من غير أن تنـ
ـبو عن النرجس المضاعف دار
فرأى النرجس الذي صنع الور
د فنادى مستصرخا بالبهار
حميت من وطيسها الاوتار

ورأى الورد عسكرين من الصفـ ـرفنادى فجاءه الجلنار واستجاشا تفاح لبنان لما *

والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال له نحن عتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من أى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد أعطانى نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدق فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدى عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشى قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو مالا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى فى أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشى يعمد الى الرجل الذى يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيتركه على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستتم أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون فى التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد فى أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واخراج المفسد من بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا أسماءهم وارفعوها الى لانظر فى أمرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له أسماءهم من كل قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فاخذ منها ما تكرر من الاسماء فاثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التى كتبها ودفعها الى الونشريشى المعروف بالبشير وأمره ان يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين فى جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وأمر ان يكتنف من على شمال الونشريشى فكتنفوا وقال ان هؤلاء أشقياء قد وجب قتلهم وأمر كل قبيلة ان يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم وكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب منفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم أصحاب ابن تومرت وكان أميرهم أبو عبد الله الونشريشى وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتى وهو من أكبر أصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشى أما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا فى أطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدى قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعنى أهل عشرة وأولهم عبد المؤمن ثم أبو حفص الهنتاتى وغيرهما وهم أشرف أصحابه وأهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعنى أهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعنى أهل سبعين وهم دون التى قبلها وسمى عامة أصحابه والداخلين فى طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون فى أخبارهم فانما يعنى أصحابه وأصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل أمر ابن تومرت يعلو الى سنة أربع وعشرين فجهز المهدى جيشا كثيفا يبلغون أربعين ألفا أكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشى وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وسار والى مراكش

واستجاش البهار جيشا من ٢٠٤ الاتـ*ـرج فيه صغاره والكبار فرأيت الربيع فى عسكر الصفـ*ـر وقلبى يشفه الاحرار

ابس الابجمرة من خدود من أناس بغوا علينا وجاروا فلم أر المستكفى منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه فى ذلك اليوم وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والملهين ثم أحضر ما حضره فى وقته من عين وورق عن ضيف الامر اليه فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله حتى قبض عليه أحمد بن بويه الديلمى وسمل عينيه وذلك أن الحرب لما طالت بين أبى محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان وكان فى الجانب الشرقى ومعه الاتراك وابن عمه الحسين بن سعيد ابن حمدان وابن أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى والمستكفى معه اتهم الديلمى المستكفى بمساءلة بنى حمدان ومكاتبتهم بأخباره واطلاعهم على أسراره مع ما كان قد تقدم له فى نفسه فسمل عينيه وولى المطيع وأعمل الديلمى الحيلة فى البيات بالديلم فحملهم فى السفن مع بوقات ودبادب فى الليل وألقاهم فى مواضع كثيرة من الشارع الى الجانب الشرقى فتوجهت له على بنى حمدان الحيلة فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الاتراك وبينهم ببلاد تكريت واستوثق الامر لاحمد بن بويه الديلمى وشرع فى عمارة البلد وسد البثوق على حسب ما يغوا لينا من خصروها

فحصروها وضيقوا عليها وبها أمير المسلمين علي بن يوسف فبقي الحصار عليها عشرين يوما فارسل أمير المسلمين الى متولي سجلماسة يأمره ان يحصر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدي خرج أهل مراكش من غير الجهة التي أقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل في أصحاب المهدي فقتل الونشريشي أميرهم فاجتمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه أميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم أسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان أدركهم الليل وقد قتل من المصامدة أكثرهم وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

﴿ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن﴾

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحد الامر قائم وهو الذي يفتح البلاد ووصى أصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه أمير المؤمنين ثم مات المهدي وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى تينملل واقام بها يتألف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادا مقداما في الحروب ثابتا في الهراهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار في جيش كثير وجعل يمشي مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فانعه أهلها وقاتلوه فقهرهم وفتحها وسائر البلاد التي تليها ومشى في الجبال يفتح ما امتنع عليه وأطاعه ضناجه الجبل وكان أمير المسلمين قد جعل ولي عهده ابنه سير فات فاحضر أمير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان أميرا عليها فلما حضر عنده جعله ولي عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وصار يمشي في الصحراء قبالة عبد المؤمن في الجبال وفي سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن في النواطر وهو جبل عال مشرف وتاشفين في الوطأة ويحرج من الطائفتين قوم يترامون ويتطاردون ولم يكن بينهم التقاء ويسمى عام النواطر وفي سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الجبل في الشعراء حتى انتهى الى جبل كرباطة فنزل في أرض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالته في الوطأة في أرض لا نبات فيها وكان الفصل شاتيا فتوالت الامطار أياما كثيرة لا تقلع فصارت الارض التي فيها تاشفين وأصحابه كثيرة الوحل تسوخ فيها قوائم الخيل الى صدورها ويحتاج الرجل عن المشي فيها وتقطعت الطرق عنهم فاوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد المؤمن وأصحابه في أرض خشنة صلبة في الجبل لا يبالون بشيء والميرة متصلة اليهم وفي ذلك الوقت سير عبد المؤمن جيشا الى وجرة من أعمال تلمسان ومقدمهم أبو عبد الله محمد بن وقو وهو من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن قانو متولي تلمسان فخرج في جيش من الملثمين فالتقوا بموضع يعرف بخندق الحمر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من أصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى غمارة فاطاعوه قبيلة بعد قبيلة واقام عندهم مدة ومابرح يمشي في الجبال وتاشفين يحاذيه في الصحاري فلم يزل عبد المؤمن كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفي أمير المسلمين علي بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين فقوي طمع عبد المؤمن في البلاد الا انه لم ينزل

ولم يتأت لنا من أخبار المستكفي مع قصر أيامه غير ما ذكرنا والله الموفق للصواب

﴿ذكر خلافة المطيع لله﴾

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وقيل انه بويع في جمادى الاولى من هذه السنة وغلب على الامر ابن بويه والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرازاد بر الامر بحضرة الديلمي فيما يأمر الوزارة برسم الكتبة ولم يخاطب بالوزارة الى أن استأمن الحسين بن علي بن حمدان الى الجانب الغربي وخرج معه عند خروجه الى ناحية الموصل الى أن اتهمه بتغريته الاتراك عليه فسمل عينيه وقد قيل ان أبا الحسن محمد ابن علي بن مقلة يعرض الكتب على الديلمي والمطيع ويتصرف برسم الكتبة لا برسم الوزارة في هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم نفرد بجوامع تاريخ المطيع بابا منفصلا عن أخباره كما فرادنا لغيره مما سلف ذكره في هذا الكتاب لانا في خلافته بعد (قال المسعودي) وقد كنا شرطنا في صدر كتابنا هذا ان نذكر مقاتل آل

الصحراء وفى سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه فى جبل باسلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة ووجه جيشا مع عمر الهنتاتى الى مدينة وهران فهاجمها بغتة وحصل هو وجيشه فيها فسمع بذلك تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر فى شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة يعظمها أهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار اليه تاشفين فى نفر يسير من أصحابه متخفيا لم يعلم به الا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر بن يحيى الهنتاتى فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه الى جهة البحر فسقط من حرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار فاتفق ان عمر الهنتاتى متقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن يعلمهم بضعف من فيه ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار فى بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط فى النار فأخذ تاشفين فاعترف فأرادوا حمله الى عبد المؤمن فمات فى الحال لان رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده أخوه اسحق بن على ابن يوسف ولما قتل تاشفين أرسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاءه من تاجرة فى يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر أمير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احداهما تاحررت وبها عسكر المسلمين والاخرى اقادير وهى بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت أبوابها وتأهب أهلها للقتال وأما تاجررت فكان فيها يحيى بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها المسافر منها العسكر وافيه أهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل أكثرهم ودخلها عسكره ورتب أمرها ورحل عنها وجعل على أقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة أربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة أشهر وفيها يحيى بن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد وأراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله أهله فنازح السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجيانى عاملا عليها وعلى جميع أعمالها فاتفق هو وجماعة من أعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن فى طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه فتحوا له بابا من أبوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة أربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس وأمر فنودى فى أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من فى البلد ما عندهم من سلاح اليه فأخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل بأهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذى كان على تلمسان فانهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على أهل البلد اجتمع

لنذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه (وبقى) علينا من ذلك ما لم نورده وقد ذكرناه فى هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا فى هذا الكتاب (فمن) ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه فقتله أحمد بن طولون بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وذلك نحو سنة سبعين ومائتين وكان خروج ابن عبد الرحمن العمرى على أحمد بن طولون بصعيد مصر وما كان من أمره الى أن قتل (ومن ذلك) ظهور ابن الرضا وهو محمد ابن جعفر بن على بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى أعمال دمشق سنة ثمانمائة فكانت له مع أميرها أحمد ابن كيغلغ وقتل صبرا وقيل قتل فى المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى (وظهر) ببلاد طبرستان والديلم الاطروش وهو الحسن بن على بن محمد ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وأخرج عنها المسودة وذلك فى سنة احدى وثلثمائة وقد كان أقام فى الديلم

والجبل سنين وهم جاهلية ومنهم مجوس فدعاهم الى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا الا قليلا منهم في مواضع من بلاد الجبل والديلم في جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواضع خشنة على الشرك الى هذه الغاية وبنى في بلادهم مساجد وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين وسالوس وغيرهما من بلاد طبرستان وقد كان بمدينة شالوس حصن منيع وبنيان عظيم بناه ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرابطون بإزاء الديلم ثم جاء الاسلام وهلك كذلك الى أن هدمه الاطروش والحسن بن القاسم الحسني الداعي وافى الري وذلك في سنة سبع عشرة وثلثمائة في جيوش كثيرة من الجيل والديلم ووجوههما فاخرج عساكر أحمد بن اسمعيل بن أحمد وصاحبه عنها واستولى عليها وعلى قزوين وزنجان وقم وآبه وغير ذلك مما اتصل بالري وكتب المقتدر كتابا الى نصر بن أحمد بن اسمعيل ابن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ويقول اني ضمنتك المال والدم فأهملت أمر الرعية وأضعفت البلد حتى دخلته المبيضة وألزمها خراجهم عنه فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على انفاذ رجل من أصحابه بالجيل يقال له اسفار بن شيرويه وأخرج معه ابن النساج وهو أمير من أمراء خراسان في جيش كثير ليحارب من مع الداعي وما كان بن كاكي من الديلم لما

جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وأدخلوهم البلد فلم يشعر أهله الا والسيف يأخذهم فقتل أكثر أهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال مالا يحصى ومن الجواهر مالا تحد قيمته ومن لم تقتل سبع باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذي حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله أعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم أهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا في طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى وأربعين

## ﴿ ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش ﴾

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحي سار الى مراكش وهي كرسي مملكة الملثمين وهي من أكبر المدن وأعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وهو صبي فنازلها وكان نزوله عليها سنة احدى وأربعين فضرب خيامه في غربيها على جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا وأقام عليها أحد عشر شهرا وكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على أهله ونعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو بإزاء المنظر الذي بإزائها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا الى مراكش ليتبعوهم الى الكمين الذي لهم فتبعهم الملثمون حتى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا وعادت الهزيمة على الملثمين فسلت في زحمة الابواب ما لا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة اسحق بن علي بن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج الى عبد المؤمن مستأمنا وأطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوي الطامع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت أقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف انسان فانتن البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسألون الامان فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من أبواب البلد يقال له باب اغمات ودخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار أمير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق وجميع من معه من أمراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على أبيك وأمك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين وأربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولي منهم أربعة يوسف وعلي وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر

بين اسفار بن شيرويه الجيلي وبين ما كان بن كاكي الديلمي فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كاكي الديلمي وقواده مثل مستر وتايجين وسليمان بن سلكة والاسكري ومرد الاشكري وهشونه ابن أومكن في آخرين من قواد الجيلي فحمل عليهم ما كان في نفر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الاتراك فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان وانهزم الداعي بين يديه وما كان على حاميته فلحقته خيول خراسان والجيل والديلم والاتراك فيهم اسفار بن شيرويه ومضى ما كان لكثرة الخيول وانحاز الداعي وقد لحق بقرب بلاد طبرستان الى ناحية هنالك وقد تخلى عنه ما كان معه من الانصار فقتل هنالك ولحق ما كان بالديلم واستولى اسفار ابن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوين وزنجان وابهر وقم وهمذان والكرج ودعا لصاحب خراسان واستوثقت له الامور وعظمت جيوشه وكثرت عدته فتجبر وطغى وكان لا يدين بملة الاسلام وعصى صاحب خراسان وخالف عليه وأراد أن يعقد التاج على رأسه وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ويتملك ما في يده مما قد ذكرنا من

فنودي بامان من بقي من أهلها فخرجوا فاراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الاسواق من ننتفع به فتركوا وأمر باخراج التتلي من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد أساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بسجنه على الحالة المذكورة أقبح مركب فلا جرم سلط الله عليه في أعقابه من ارتى في الاخذ عليه وزاد فتبارك الحي الدائم الملك الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فاف لها ثم أف نسأل الله ان يختم اعمالنا بالحسنى ويجعل خيرا يامنا يوم نلقاه بمحمد وآله

## ﴿ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة﴾

في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة أربع وأربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر في مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذي فيه دكالة كثيرا لحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء فاحمل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فاخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل أكثرهم وغنمت ابلهم وأغنامهم وأموالهم وسبي نساءهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس في جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

## ﴿ذكر حصر مدينة كنكده﴾

في هذه السنة يعني سنة أربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كنكدة وهي بالقرب من مرسية في شرق الاندلس فحصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين علي بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل في المسلمين وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن العراء قاضي المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد في الدنيا العادلين في القضاء

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ايدكان وأسر عفراس وكثير من عسكره وفيها أغار جوسلين الفرنجي صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربي الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيأ كثيرا ولما عاد خرب براعة وفيها انسلم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل وأتابكه كنتغدي ذلك فسارا الى كنجة من بين يدي العسكر ولم يجر قتال وفيها في المحرم توفي خالصة الدولة أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن السيبي صاحب المخزن ببغداد وولي مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والدعلم الدين الكاتب المعروف وفي

جمادى الاولى منها توفى أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى الامام ابن الامام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من امام الحرمين أبى المعالى الجوينى وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزاء به حتى فى بغداد برباط شيخ الشيوخ

## ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة

### ﴿ ذكر اقطاع البرسقى الموصل ﴾

فى هذه السنة فى صفر أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرسقى وسبب ذلك أنه كان فى خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له فى حروبه كلها وكان له الاثر الحسن فى الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذى أحضر الملك مسعودا عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقى وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها فى عسكر كثير وملكها وأقام يدبر أمورها ويصلح أحوالها

### ﴿ ذكر وفاة الامير على وولاية ابنه الحسن افريقية ﴾

فى هذه السنة توفى الامير على بن يحيى بن تميم صاحب افريقية فى العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفى ولى الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بأمر دولته صندل الخصى لانه كان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل فى الحفظ والاحتياط فلم تطل أيامه حتى توفى فوقع الاختلاف بين أصحابه وقواده كل منهم يقول أنا المقدم على الجميع وبيدى الحل والشد فلم يزالوا كذلك الى ان فوض أمور دولته الى قائد من أصحاب أبيه يقال له أبو عزيز موفق فصلحت الامور

### ﴿ ذكر قتل أمير الجيوش ﴾

فى هذه السنة فى الثالث والعشرين من رمضان قتل أمير الجيوش الافضل بن بدر الجمالى وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرق على الاجناد على جارى العادة فى الاعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فمر بالغبارى فأمر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين فى خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى دار الافضل فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فأبو الحسن بن أسامة الكاتب يعرفه وكان من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة وأما الباطن فابن البطائحى يعرفه فقال الاصدق فلما توفى الافضل نقل من أمواله ما لا يعلمه الا الله تعالى وبقى الخليفة فى داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا وجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانية وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع أيام المستعلى الى هذه السنة من أيام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها تركه معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عن معارضتهم واذنه للناس فى اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد

فانكشف هرون وقتل من أصحابه خلق كثير وذلك بباب قزوين وقد كان أصحاب قزوين عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب وسار اليهم اسفار بن شيرويه فأتى على خلق عظيم بها وملك القاعة التى فى وسط قزوين وتدعى بالفارسية مكثرين وهو الحصن الذى كان للمدينة أولا فى نهاية المنعة مما كانت الفرس جعلته ثغرا بازاء الديلم وشحنته بالرجال لان الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استحبوا شرعا ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هى وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها الى ان كان من أمر الحسن بن على العلوى الداعى والاطروش واسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره فى صدر هذا الباب من خبره والآن فقد فسدت مذاهبهم وتغيرت آراؤهم والحد أكثرهم

وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون فى الاسلام وينصرون من

لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله وقلع أبوابها وسبا وأباح الفروج وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع وأمر أن ينكس منها على أم رأسه وخرب المساجد ومنع الصلوات فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق واستفحل أمره وسار صاحب خراسان يريد الري لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره وانفصل عن مدينة بخارى وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور وسار اسفار بن شيرويه الى الري وجمع عساكره وضم اليه رجاله من الاطراف وعزم على محاربة صاحب خراسان وأشار عليه وزيره وهو مطرف الجرجاني وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه في المال واقامة الدعوة فان الحرب تارات وأوقاتها سجال والانفاق عليها من رأس المال فان جنح الى مادعوته وراسلته به والا فالحرب بين يديك لان من معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان انما هم رجاله وانما قد تملكتهم بالاحسان اليهم ولا يدري عليه اذا قرب منك صار وامع صاحبهم فقبل قوله وأمر

مصر وكان حسن السيرة عادلا حكم انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل مسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه الآمر بأحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ماذكرناه قبل ففسد الامر بينهما فاراد الآمر ان يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام أو في أيام الاعياد فمنعه من ذلك ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد وهو الذي ولي الامر بعده بمصر وقال له في هذا الفعل شناعة وسوء سمعة لانه قد خدم دولتنا هو وأبوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك في أقطار البلاد فلا يجوز ان يظهر منا هذه المكافأة الشنيعة ومع هذا فلا يتوان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه ويتمكن مثله أو مايقاربه فيخاف ان نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفي هذا الفعل منهم مايسقط المنزلة والرأي ان تراسل أبا عبد الله بن البطائحي فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر في قتله لمن يقاتله اذا ركب فاذا ظفرنا بمن قتله قتلناه وظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا ويزول عنا قبح الاحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولي بعده أبو عبد الله بن البطائحي الامر ولقب المأمون وتحكم في الدولة فبقي كذلك كما في البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر عصيان سليمان بن ايلغازي على أبيه ﴾

في هذه السنة عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على أبيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة ممن عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا الوقته ولم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فأمسك عنه وقبض على من كان أشار عليه بذلك منهم أمير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم انسان من أهل حماه من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازي على أهل حلب وجعل اليه الرياسة فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات وأحضر ولده وهو سكران فأراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه وهرب الى دمشق وأرسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن أخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

## ﴿ ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازي ﴾

في هذه السنة أقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي وسبب ذلك انه أرسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع في دبيس بن صدقة ويبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلة كل يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي بن القاسم ابن الشهرزوري فتردد الخطاب في ذلك ولم ينفصل حال فلما أراد العود أقطع السلطان آباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازي وبقيت في يده ويد أولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر حصر بلك بن بهرام الرها وأسر صاحبها ﴾

في هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد أخي ايلغازي الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركماني وأعلمه ان جوسلين صاحب الرها وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك أصحابه وبقي في أربعمائة فارس فوقف مستعد القتالهم وأقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى أرض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا فاغاصت خيولهم فيه فلم تمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجري فرماهم أصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسلين وجعل في جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء نفسه أموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنه بها وأسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار وأسر أيضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهي والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفي الخطير محمد بن الحسين الميذي ببلاد فارس وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قد ياس وزير السلطانين بركيارق ومحمد وكان جوادا حليما سمع ان الابيوردي هجاه فلما سمع الهجو مصه فمض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفي الشهاب أبو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله وزير السلطان سنجر وهو ابن أخي نظام الملك وكان يتفقه فدياس على امام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي وتوفي بعد شهور ووزر بعده عثمان القمي وفيها في جمادى الاولى أوقع أتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم وأسر وأرسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها تصدع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثير منها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد فرغت قبل وفاته بيسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق ان جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر مالا حد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب وأقيم الغسالون يخلصون لذهب وما أمكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم تجدد عمارتها وتطيرمنها الان أيام لم يقتع بها ثم احترق فيها من أموالهم الشئ العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع أصبهان وهو من أعظم الجوامع وأحسنها أحرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمي عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ما هاله واتعظ فاعرض عنه وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه أعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوي وأمر بالمعروف فكثر جمعه ونازع أمير مكة ابن أبي هاشم وقوي أمره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد وفيها ألزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون ألف دينار وللخليفة أربعة آلاف دينار وفيها حضر السلطان محمود وأخوه

يقبل منه وأن يرضى منه بما يحمل من الاموال واقامة الدعوة فان الحرب عثراتها الانتقال ولا يدري الى ما تؤول لان الرحل قوي بالمال والرجال فان هزم لم يكن في ذلك كبير فتح اذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت اليه عساكرك وغلمانك فخالف عليك وان كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك فشاور صاحب خراسان ذوي الرأي من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسددوا رأيه وصوبوا قوله فجنح الى قولهم وما أشير عليه فأجاب اسفار بن شيرويه لما سأل وأعطاه ما طلب من مشروط اشترطها عليه من حمل أموال وغير ذلك فلما ورد الكتاب على اسفار بن شيرويه قال لوزيره هذه أموال عظيمة قد اشترط علينا حملها ولا سبيل الى اخراجها من بيت المال فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد فقال له وزيره ان في استفتاح الخراج في غير وقته مضرة على أرباب الضياع وخراب البلاد وخلال للكبير من أهل الخراج قبل ادراك غلاتهم قال له اسفار فما الوجه قال الوزير الخراج انما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم من المسلمين وسائر

الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من أصحاب السلطان منهم وزيره أبو طالب لسيبرى وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر أحمد بن محمد بن حامد المستوفى وعلى غيرهم من الامراء وفيها فى ذى القعدة وهو الحادى والعشرون من كانون الثانى سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقى على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت أشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

يا صدور الزمان ليس بوفر * ما رأيناه فى نواحى العراق
انما عمم ظلمكم سائر الخلـ * ـق فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة أيام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفى أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى صاحب المقامات المشهورة وهزارسب بن عوض الهروى وكان قد سمع الحديث كثيرا

## ﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ﴾

## ﴿ ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود ﴾

وفى المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل أخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان فى السنة الخالية ليتغلب عليها وكان اتابكه كنتغدى يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق انه مرض وتوفى فى شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمدىلى صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه فى المضى الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدى من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به وأشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغه اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى أردبيل أغلقت أبوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فاتاهم الخبر ان السلطان محمود اسير الامير جيوش بك الى أذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة فى عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خوى وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شير كير الذى كان أتابك طغرل أيام أبيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدى قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم أطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه ابهر وزنجان وكاتبوه فأجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما أرادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة أول هذه السنة وتمت

## ﴿ ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه ﴾

قد ذكرنا سنة أربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوى ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة أخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا فى ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحى وتردد الخطاب فى ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بعقوده منها قتل أبيه وأن يحضر السلطان آقسنقر البرسقى من الموصل ويوليه سنجنكية ببغداد والعراق ويجعله فى وجه دبيس ففعل السلطان ذلك وأحضر البرسقى فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة ببغداد وأمره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان عن بغداد فى صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بأمور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقى

أن تجعل على كل رأس دينارا فيكون فى ذلك ما اشترط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة وأمره اسفار بذلك فكتب أهل الاسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى استوفى الاحصاء الى من فى الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم وحشر الناس الى دار الخراج بالرى وسائر أعمالها فطولبوا بهذه الجزية فمن أدى كتب له براءة بالاداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية فى سائر الامصار فأخبرنى جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالاهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه البراءة بادائها فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله وكان الباقى من ذلك ألف ألف دينار ونيفا وقيل أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلائق الذين بالرى وأعمالها ورجع صاحب خراسان الى بخارى وعظم أمر اسفار على خلاف ما عهد وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج ابن زياد الى ملك من ملوك الديلم يعرف بالى قزوين وهو صاحب الطرم من أرض الديلم وهو ابن أسوار المعروف بالمسير

بالمسير اليه وازعاجه عن الحلة فارسل البرسقى الى الموصل وأحضر عساكره وسار الى الحلة وأقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرقى الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقى وكان سبب الهزيمة انه رأى فى ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاء خيمته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها فلما رأوا الخيمة وقد سقطت ظنوها عن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقى وقيل بل أعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجى يريدون الفتك به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد ثانى ربيع الآخر وكان فى جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبى الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لريحان محكويه خادم السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر أيضا المظفر بن حماد بن أبى الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهر ملك فقتله المظفر ومضى الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا وأطاعه وأما دبيس فانه لم يعرض لنهر ملك ولا لغيره وأرسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقى وجميع من معه وسأل ان يخرج له الناظر الى القرى التى لخاص الخليفة ليقبض دخلها وكانت الوقعة فى حزيران وحمى البلد فاحمد الخليفة فعله وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين أبى على بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور أصحابه والمنتمين اليه وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة أخى دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهى قلعة حصينة على شاطئ دجلة من أعمال واسط وسير جماعة من أصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل ابن أبى العسكر وأرسل الى المظفر بن أبى الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وأرسل الواسطيون الى البرسقى يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل فى عسكر دبيس ولم ينتظر الناظر فظن منه انه بمفرده ينال منهم ما أراد ويفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون وأخذ مهلهل أسيرا وجماعة من أعيان العسكر وقتل ما يزيد على ألف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن أبى الجبر فانه أصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من أصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان فى جملة ما أخذ العسكر الواسطى من مهلهل تذكرة بخط دبيس يأمره فيها بقبض المظفر بن أبى الجبر ومطالبته باموال كثيرة أخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذى تختاره وقد امضى الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلما جرى على أصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرناه شمر عن ساعده فى الشر وبلغ ان السلطان كحل أخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد وأخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هناك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقى بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر قتل السميرمى ﴾

وفى هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرمى وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو فى موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التى بناها فخار تكين التتشى واجتاز فى منفذ ضيق فيه حظائر

فى طاعته فسار مرداويج الى سلام فتشاكيا ما نزل بالاسلام من اسفار بن شيرويه واخرابه البلاد وقتله الرعية وتركه العمارة والنظر فى عواقب الامور فتحالفا وتعاقدا على التظافر على اسفار والتعاون على حربه وقد كان اسفار سار فى عساكره الى قزوين وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن اسوار منتظرا لصاحبه مرداويج بن زياد وانه ان لم ينقد ابن اسوار الى طاعته ورجع اليه رسوله بما لا يحب وطئ بلاده وسلام هذا هو خال على بن دهشوذان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم وهو الذى قتل بالرى قتله ابن اسوار هذا فى خبر يطول ذكره فلما قرب مرداويج من عساكر اسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك باسفار وأعلمهم مظافرة سلام عليه وقد كان القواد وسائر أصحابه سئموا وملوا دولته وكرهوا سيرته فأجابوا مرداويج الى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر اسفار بن شيرويه البلاء وعلم توجه الحيلة عليه وان لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته فهرب فى نفر من غلمانه فوافى مرداويج وقد فاته اسفار فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والاموال وأحضر

الشوك فتقدم أصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطنى وضربه بسكين فوقعت فى البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين فى خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وبتر به عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهما ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاه فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان فى الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وانتهب ماله وأخذ السلطان خزانته ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمى قد خرجت هذا اليوم فى موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع عراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة أحزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمى ظالما كثير المصادرة للناس سيئ السيرة فلما قتل أطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

﴿ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة على بن طراد﴾

فى جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين على بن طراد الزينبى فى نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله فى معنى وزارة نظام الملك أبى نصر أحمد بن نظام الملك وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر فى شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم دارا استجدها ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس فى الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان بن مهارش فاجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه فى الطريق انسان من مفسدى التركمان يقال له يونس الحرامى فامره ونهب أصحابه فخاف الوزيران يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للمداوة التى بينهما فقرر أمره مع يونس على ألف دينار يحمل منها ثلثمائة ويؤخر الباقى الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات فى تخليصه وانفاذ من يضمن الباقى الذى عليه فاعمل العامل الحيلة فى ذلك فاحضر انسانا فلاحا وألبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا وأركبه وسيره معه غلمانا وأمره ان يمضى الى يونس ويدعى انه قاضى بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقى من المال فسار السوادى الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترماه وضمن السوادى الوزير منه وقال له أقيم عندك الى ان يصل المال مع صاحب لك تنفذه مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك وأطلق الوزير ومعه جماعة من أصحابه فلما وصل الحديثة قبض على من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادى والمال الذى أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه وعلم الحيلة التى تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس لقى انسانا أنكره فاخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير اليه وكان خلاصه من أعجب الاشياء

﴿ذكر قتل جيوش بك﴾

فى هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان محمود وعوده الى خدمته فلما رضى عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين

فيهم الاموال من الارزاق والجوائز وزادهم وأحسن اليهم عما لم يكونوا يعرفونه من اسفار ومضى اسفار الى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده وحار فى أمره فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة ألموت وكان فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبى موسى مع عدة من الرجال قبله ذخائر اسفار ابن شيرويه من خزائنه وأمواله وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك الجيش والاموال خرج يتصيد على أميال من قزوين نحو الطريق الذى سلكه اسفار ليستعلم أمره وأى البلاد سلك والى أى القلاع لجأ فمال الى القلعة فنظر الى خيل يسيرة فى بعض الاودية فاسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها فوجدوا اسفار بن شيرويه فى عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها من الاموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود الى حرب مرداويج ابن زياد فأتى عليه مرداويج فلما وقعت عينه عليه نزل فذبحه من ساعته وأقبل رجال الديلم والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله واحسانه الى جنده وتسامع الناس بادراره الارزاق على جنده فقصدوه من سائر الامصار فعظمت عساكره جماعة

جماعة من الامراء مشاهرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله في رمضان على باب تبريز وكان تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم في ضيق والطريق خائفة فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد البشنوية وحافه الاكراد ولى قصدهم بنفسه فهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وأمنت الطرق وانتشر الناس واطمأنوا وبقي الاكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

﴿ذكر وفاة ايلغازي وأحوال حلب بعده﴾

في هذه السنة في شهر رمضان توفي ايلغازي بن ارتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ابن ارتق فبقي بها الى ان أخذها ابن عمه

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة أقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقي مدينة واسط وأعمالها مضافا الى ولاية الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقي سير اليها عماد الدين زنكي ابن آقسنقر الذي كان والده صاحب حلب وأمره بحمايتها فسار اليها في شعبان وولها وقد ذكرنا اخبار زنكي في كتاب الباهر في ذكر ملكه وملك أولاده الذين هم ملوك الآن فينظر هناك وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذي القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعي وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها في شعبان قدم الى بغداد البرهان أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي وعقد مجلس الوعظ في جميع المواضع وورد بعده أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ونزل رباط شيخ الشيوخ فوعظ في جامع القصر والناجية ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده أبو الفتوح الاسفرايني ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضا ووعظ في هذه المواضع وفي النظامية وأظهر مذهب الاشعري فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله وسلم اليه رباط الارجوانية والده المقتدي بالله بدرب راحي وفيها توفي عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندي أخو أبي القاسم بن السمرقندي ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفيني وابن المقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفي ذي الحجة توفي عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكي والجوهري والعشاري وكان ثقة حافظا للحديث

﴿ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة﴾

﴿ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس﴾

في هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا أطلق عفيفا خادم الخليفة وكان مأسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقي الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان كحل أخاه وبالغ في الوعيد ولبس السواد وجز شعره وحلف ليتهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقي

قم وخرج أبو دلف الى البرج وهمذان وانهروزنجان فكان من أنفذ الى همذان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة من قواده ورجاله وكان بها جيش السلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف الدينوري السرماني ومعه خفيفا غلام أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من قواد السلطان فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة وعاون أهل همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل أربعة آلاف وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بأبي الكراديس بن علي الطلحي وكان من وجوه قواد مرداويج وولت الديلم نحو مرداويج أوحش هزيمة فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر ولدها سار عن الري في جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب الاسد وانما سمي هذا الباب بباب الاسد لان أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية الى الري وجادة خراسان أعظم ما يكون من الاسد كالثور العظيم كأنه أسد حي يدنو

الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الاسد فكان أهل همذان به يتوارثون

بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فأتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة فى عقيل وأتاه قراوش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس الى نهرملك فهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد ووصل أهله الى بغداد فأمر الخليفة فنودى ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغراة الغراة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرى ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة جديد صينى ونزل الخيام ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية حهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترحلوا بأجمعهم وقصدوا الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة ونزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة برا لملك والمتدعى البرسقى والامراء واستحثهم على المناجزة فى الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمبارك وبنى البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى حاشية وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا وجعله وميسرة وقلبا وجعل الرحالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد أصحابه نهب بغداد وسبى النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين أيديهم الاما يضربون بالدبوس والحديث بالملاهى ولم ير فى عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح ودعاء فقامت الحرب على ساق وكان مع اعلام الخليفة الامير كرباوى بن خراسار وفى الساقة سليمان بن مهارش وفى ميمنة عسكر البرسقى الامير أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبى العسكر فى طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فتراجعت على اعقابها وقتل ابن أخ للامير أبى بزا البكجى وعاد عنتر وحمل حملة ثانية على هذه الميمنة فكان حالها فى الرجوع على اعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر حمل وهم معه على عنتر ومن معه وأنوهم من ظهورهم فبقى عنتر فى الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه فأسر عنتر وأسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يسلم أحد وكان البرسقى واقفا على نشز من الارض وكان الامير آق بورى فى الكمين فى خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم وألقوا انفسهم فى الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وصبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة أن تضرب أعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة آلاف فارس واثنى عشر ألف راجل وعسكر البرسقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى بنت ايلغازى وبنت عميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما فى المشهد وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بهما ونهبوا مشهد باب التبن وقلعوا أبوابه فأنكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتأديب من فعل ذلك وأخذ ما نهب ففعل وأعاد البعض وخفى الباقى عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم

خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرهما وأن ذلك الاسد جعل طلسما للمدينة وسورها وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الاسد وقلعه من موضعه وأن ذلك من وجه الديلم والجبل وكان أهل همذان يمنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتأففة من أحداثهم أن يقلبوا ذلك الاسد أو يكسروا شيأ منه ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره الا بالخلق الكثير من الناس وقد كان عسكر مرداويج الذى سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا فى تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ماذكر هذا الاسد فكسر فكان من أمر الوقعة ماذكرنا ودلك على طريق الولع من الديلم فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر الى مصارع أصحابه وقتل أهل همذان لابن أخته اشتد غضبه لذلك فكانت بينه وبين أهل همذان ثورة ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان فدخلوا فقتلوا فى اليوم الاول فى قول المقلل من الناس على ما أدركه

نجا بفرسه وسلاحه وأدركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نحفظ الخليفة والسلطان فرحل الى المستفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فسار واليها ودخلوها ونهبوا أهلها وقتل الامير صخت كان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرسقى يعاتبه على اهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخربها فتجهز البرسقى للانحدار اليه فسمع دبيس ذلك ففارق البصرة وسار على البر الى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب وأطمعهم فى أخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب ﴾

فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من أعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد أكثروا قصد حلب وأعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن أرتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على ان يسلم الاثارب ويكفوا عن بلاده فاجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام أمر الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدى الفرنج الى ان ملكها تاج الملوك بورى بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر ملك بلك حران وحلب ﴾

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار منها الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها أنه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج فعظم ذلك عليه وعلم بحجره عن حفظ بلاده فقوى طمعه فى ملكها فسار اليها ونازلها فى ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها وأحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقى مالكا لها الى ان قتل على ما نذكره

## ﴿ ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية ﴾

قد ذكرنا ان الامير على بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من رجار صاحب صقلية جدد الاسطول الذى له وكثر عدده وعدده وكاتب أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين يحرا كثر بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير أمير المسلمين اسطولا ففتحوا قوطرة بساحل بلاد فلورية فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فجد فى تعمير الشوانى والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد المغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن على خروج العدو الى المهدية فامر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجى فى ثلثمائة قطعة فيها ألف فرس وفرس واحد الا انهم لما سارو امن مرسى على فرقهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبى وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى

ثم نادى برفع السيف فى اليوم الثالث وأمن بقيتهم ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه اليه فلما سمعوا النداء أملوا الفرج فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ومن لحق بهم فخرجوا الى المصلى فدخل اليه صاحب عذابه وكان يقال له الشقطينى فسأله عن أمره فيهم فامره أن يطوف بهم الديلم والجيل بحرابهم وخناجرهم فيوقى عليهم فاطافت بهم الرجال من الديلم فاتى على القوم جميعا وألحقوا بمن مضى منهم وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزوينى وكان يلقب بخواجه وذلك أن أهل خراسان اذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه فى عسكر من عساكره الى مدينة الدينور ومن هناك اليها ثلاثة أيام فدخلها بالسيف وقتل من أهلها فى اليوم الاول سبعة عشر ألفا فى قول المقلل والمكثر يقول خمسة وعشرين ألفا فخرج اليه رجل من مشهور أهل الدينور وصوفيتها وزهادها يقال له ممشاد وبيده مصحف فنشره فقال لابن علان المعروف بخواجه أيها الشيخ اتق الله وارفع السيف عن هؤلاء المسلمين فبلا ذنب لهم ولا جناية يستحقون ما قد نزل بهم فأمر بأخذ المصحف

من يده فضرب به وجهه ثم أمر به فذبح ٢١٨ وسبي وأباح الاموال والدماء والفروج وبلغت عساكر مرداويج وجنوده الى الموضع

المعروف بالسوس وهو فرز بين الجبل واعمال حلوان مما يلي العراق وذلك من بلاد طرز والمطامير ومرج القلعة قتلا وسبيا وغنم الاموال ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الاموال وقتلت الرجال وملكت الاولاد وأخذوا الغلمان وملكوهم وسبوا من بلاد الدينور وقد سامين والربذة الى حيث ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجواري العتق العواتق والغلمان في قول المقل خمسين ألفا وفي قول المكثر مائة ألف فلما تم لمرداويج ما وصفنا وحملت اليه الاموال والغنائم بعث بها الى اصبهان بجماعة من قواده في قطعة من عساكره فملكوها وأقيمت لهم الانزال والعلوفات وعمرت لهم قصور أحمد بن أبي دلف العجلي وهيئت له البساتين والرياض وزرع له فيها أنواع الرياحين على حسب ما كان في آل عبد العزيز فسار مرداويج الى اصبهان فنزلها وهو في نحو من خمسين ألفا وقيل أربعين سوى ماله بالري وقم وهمذان وسائر أعماله من العساكر وقد كان أنفذ جماعة من قواده وعساكره مع أبي الحسن محمد بن وهبان الصنعاني وهو الذي استأمن بعد ذلك الى السلطان ثم قصد الى محمد بن سيفك

الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجوع الى الفرغ وأقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها وأخذ الفرغ حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب في قلوب الفرغ فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى ثوانيهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها أربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرغ وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرغ الى مراكبهم أقاموا بها ثمانية أيام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم وأقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في أمم لا يحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرغ وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم في الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرغ مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء في هذه الحادثة فاكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل

﴿ذكر استيلاء الفرغ على خرتبرت وأخذها منهم﴾

في هذه السنة في ربيع الاول استولى الفرغ على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك أن بلاك ابن بهرام بن أرتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهي تقارب خرتبرت فسمع الفرغ بالشام الخبر وسار يغدو بين ملك الفرغ في جموعه اليه ليرحل عنها حوفا ان يقوى بلاك فلما سمع بلاك بقربه منه رحل اليه والتقيا في صفر واقتتلا فانهزم الفرغ وأسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وحجبتهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة أيضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمي الفرغ كان قد أسرهم سنة خمس عشرة وسار بلاك عن خرتبرت الى حران في ربيع الاول فملكها فاعمل الفرغ الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فلما ملك بلاك بعدوين فانه اتخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر ببلاك صاحبها فعاد في عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرغ وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

﴿ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة﴾

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة في محالفته تغير عليه وذكر أعداؤه عنده بسوء ونبهوا على ثغوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فنفسد رأي السلطان فيه ثم ان الشهاب أبا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفي وهو ابن أخي نظام الملك ووزر بعده أبو طاهر القمي وهو عدو للبيت النظامي فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان أبا نصر المستوفي الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نأمن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير وحتى اقتل به لا نأمن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فامر السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلني حتى أصلي ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفي أجود من

سيفك فاقتلني به ولا تعذبني فقتل ثاني جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالمدرسة النظامية ببغداد وأما العزيز المستوفي فانه لم تطل أيامه حتى قتل على ما نذكره جزاء لسعيه في قتل الوزير

## ﴿ ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج ﴾

في هذه السنة اشتدت نكاية الكرج في بلد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من أعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخي فنزل السلطان في بستان هنالك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا وأشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هنالك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل معك فأنت عندنا وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بقية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده وألقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها ثاني جمادى الآخرة

## ﴿ ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر ﴾

في هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من العرب الى ديار مصر فافسدوا فيها ونهبوها وعملوا أعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحي الذي وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خراجا يحملونه كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المأمون الى مصر مظفرا منصورا

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة في صفر أمر المسترشد بالله ببناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما أخذ منهم فسر وا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال تقسط الباقي على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عرل نقيب العلويين وهدمت دار علي بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انهما عين لدبيس يطالعانه بالاخبار وجعل الخليفة نقابة العلويين الى علي بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فنقبه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان في أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الحشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وامراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها في صفر توفي قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسني أمير مكة وولي بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفي عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبي علي الحداد الاصبهاني ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير في طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة

محمد بن طغج فاحتال عليه رافع القرمطي وكان من قواد ابن رائق حتى فرق بينه وبين عسكره ونهرقه في الفرات وذلك نحو رحبة مالك بن طوق وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة في أمره ومدة بقائه في الماء مقيدا الى أن خرج ثم قتل بعد ذلك في الكتاب الاوسط في أخبار محمد بن رائق وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر الى أوسع كور الاهواز وذلك على طريق مناذر والعش ونوح واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها وحمل ذلك الى مرداويج فتكبر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره وضرب سريرا من الذهب رصع له بالجوهر وعملت له بدلة وتاج من الذهب وجمع في ذلك أنواع الجواهر وقد كان سأل عن تيجان العرس وهيآتها فصورت له ومثلت فاختار منها تاج آنوشروان بن قتاده (وكان) نمى اليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاه العالم وشياطينه أن الكواكب ترى شعاعاتها الى بلاد أصبهان فيظهر بها ديلمة وينصب بها سرير ملك ويجبى له كنوز الارض وأن الملك الذي يليها يكون مصفر الرجلين ويكون من صفته كيت وكيت وان مدة عمره في الملك كذا وكذا ثم يتلوه من بعده في هذه المملكة أربعون ملكا

فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه في جمع كثير وعاد طغتكين الى دمشق وفيها لقي أسطول مصر أسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من أسطول مصر عدة قطع وعاد الباقي سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماه الى حصن اقامية فهجم على الربض بغتة فأصابه سهم من القلعة في يده فاشتد ألمه فعاد الى حماه وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماه عسكرا فملكها وصارت في جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها

﴿ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة﴾

﴿(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)﴾

في هذه السنة في صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان المعلم صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه لما رحلوه عنها ثلاثا يقوى بأخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار في باقي عسكره الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدري من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمل مقتولا الى ظاهر حلب وتسلمها في العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهة فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)﴾

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة فكان بها والٍ من جهة الافضل أمير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع عساكره ليسير الى صور فخافهم أهل صور فارسلوا الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون منه ان يرسل اليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلد له وقالوا له ان أرسلت الينا واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وأمده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه ويطلب ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك واثنى عليه وصوب رأيه فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام أحوال أهلها ولم يزل كذلك الى سنة ست عشرة بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وأمر المقدم على الاسطول ان يعمل الحيلة على الامير مسعود والى صور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه وكان السبب في ذلك ان أهل صور أكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فأرسى عند صور فخرج مسعود اليه للسلام

وقربوا له الزمان في ذلك وحددوه وتقربوا اليه بأشياء من هذه المعاني مما مال اليه هواه واستدعاه منهم واستهواه وأنه المصفر الرجلين الذي يتملك الارض وكان معه من الاتراك نحو أربعة آلاف مملوك دون من في عسكره من الاتراك مع ما عنده من الامراء والاتراك وكان سيء الصحبة لهم كثير القتل فيهم فعملوا على قتله وتحالفوا وقد كان على المسير الى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مدن الاسلام بأسرها في شرق البلاد وغربها مما في يد ولد العباس وغيرهم فأقطع الدور ببغداد لاهله ولم يشك أن الامر في يده والملك له فخرج ذات يوم الى الصيد وهو فرح مسرور لما قد تم له من الامر وتأتى له من الملك فدخل الحمام بمدرجوعه في قصر أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف العجلي باصبهان فدخل اليه غلام من وجوه الاتراك وهو يحكم وكان من خواص الغلمان ومعه ثلاثة نفر من وجوه الاتراك أرى أحدهم تورون مدبر الدولة بعد يحكم فقتلوه فخرج يحكم ومن معه وقد كان أعلم الاتراك بذلك فكانوا له متأهبين فركبوا من فورهم وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في خلافة الراضي وتفرق الجيش عند وقوع الصيحة ونهب بعض الناس بعضا وأخذت الخزائن وانتهبت الاموال على

على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذى فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فأكرم وأحسن اليه وأعيد الى دمشق واما الوالى من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد وان سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بملكها وشرعوا فى الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالى بها للمصريين الخبر فعلم أنه لا قوة له ولا طاقة على دفع الفرنج عنها لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الامير بذلك فرأى أن يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ما ظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم فى ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولازموا الحصار فارسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتعادت الايام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورجالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا فى البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى أحد منهم ولم يبق الا الضعيف الذى عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد فى الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

## ﴿ ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية برتقش الزكوى ﴾

فى هذه السنة عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولى اسعد الدولة برتقش الزكوى وسبب ذلك ان البرسقى نفر عنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقى عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقى يأمره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقى الخبر شرع فى جباية الاموال ووصل نائب برتقش فسلم اليه البرسقى الامر وأرسل السلطان ولده الصغير مع أمه الى البرسقى ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمراكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلم البرسقى وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقى الى الموصل كان عماد الدين زنكى بن آقسنقر بالبصرة فسير البرسقى اليها اليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم فى حلالهم حتى أبعدوا الى البر فارسل اليه البرسقى يأمره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان أسير الى السلطان فاكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها

## ﴿ ذكر ملك البرسقى مدينة حلب ﴾

فى هذه السنة فى ذى الحجة ملك آقسنقر البرسقى مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لا سيما

طباب الى ديار بنى حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة وظهور محمد بن رائق ببغداد ومعاونة الغوغاء له ومسيره الى دار السلطان

في حلب وقال لهم ان أهلها شيعة وهم يميلون الي لاجل المذهب فتى رأوني سلموا البلد الى وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال انى أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فسار واسمعه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا ينارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا الهلاك وظهر لهم من صاحبهم عرتاس الوهن والعجز وقلة الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا اليه من هذه الاسباب أعملوا الرأى فى طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقى صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجيء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره وقصدهم وأرسل الى من بالبلد وهو فى الطريق يقول انى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها الانى لا أدرى ما يقدره الله تعالى اذا أنا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابى حتى احتمى انا وعسكرى بها لم يبق منا أحد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا فيها واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلما أشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد من فى مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى ينقرر أمر حلب وتصلح حالها وتكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به وأقام عندهم حتى أصلح الامور وقررها

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار فرض بها فاحضر الخليفة الاطباء وأمرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل فى حجرة وأدخل أصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة وأطمعه فى العراق وكان ما نذكره سنة تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب ألموت وقد تقدم من أخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها أيضا توفى داود ملك الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها نار أهل آمد بن فيها من الاسماعيلية وكانوا قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها فى صفر توفى محمد ابن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من أصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد ابن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحامى لان أباه كان حماميا وكان حنبليا تفقه على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة﴾

## ﴿ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه﴾

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه وأكرمه وأحسن اليه وجعله من أعيان خواصه وامر له فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه وضمن له انه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دونها فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين بهروز من تكريت يخبر الخليفة خبرها فتجهز للسير ومنعهما وأمر برتقش الزكوى شحنة العراق ان يكون مستعدا للحرب وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثنى عشر ألفا

أنصاره ومسيره الى ديار مصر ونزوله الرقة وما كان بينه وبين غير ودخول يانس المؤنسى وحملته ومسيره الى جند قنسرين والعواصم واخراجه ظريف اليشكرى عنها وتوليه الثغر الشامى (وقد أتينا) فى الكتاب الاوسط الذى كتبناه هذا تال له والاوسط الكتابنا أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة على ما كان منه ومحاربته الاخشيد ابن محمد بن طغج بالعريش من بلاده مصر وانكشافه ورجوعه الى دمشق وما كان من قتله لاخيه الاخشيد محمد بن طغج بالقون من بلاد الاردن وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج وما كان معه من القواد وانكشافهم عنه واستئمان من استأمن منهم اليه مثل محمد بن بكسين الخاصة وبكير الحاقانى غلام خاقان المفلحى وغيرهما وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره وذكرنا مقتل ظريف اليشكرى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس وما كان من وقيعته مع الثميلية وهم غلمان ثميل الخادم فأغنى ذلك عن اعادته مبسوطا فى هذا الكتاب وانما نتغلغل بنا الكلام فى التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل سوى

سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز حامس صفر وبين يديه أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه ثلاث الايام وسماه باب النصر ونزل صحراء الشماسية ونزل برنقش عند السبتي ثم سار ونزل الخالص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج الخليفة عدل الى طريق خراسان وتفرق أصحابه في النهب والفساد ونزل هو رباط جاولا فسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهد وامثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس في مائتي فارس وقصد معبر النهروان وهو تعب سهران وقد لقي هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون فلما انتهوا أن طغرل وأصحابهم يلحقونهم فتأخروا والماذكرناه فنزلوا احياء قد نالهم البرد وقد طلع عليهم الاثوان بحملان تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس وغيرها من الملبوس وتحمل أيضا أنواع الاطعمة المصنوعة فحملت من بغداد الى الخليفة فاخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب النتنة وأكلوا الطعام وناموا في الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وباتوا يحرسون الليل والنهار ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه فان دبيس قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا أثقالهم وملتاه بالطريق لا يلتفت اليها أحد ولولا أن الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة أيضا وأخذوا وكان السواقي مملوأة بالوحل والماء من السيل فمزقوا ولحقتهم مائة فارس لهم كوا ووصلت رايات الخليفة ودبيس وأصحابه نيام وتقدم الخليفة وأشرف على ديالى ودبيس نازل غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما أبصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين يدي الخليفة وقال أنا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه حتى وصل الوزير ابن صدقة فنهاه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر برنقش الزكوي يحادثهم ويتماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا اليهم والجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير في أثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا بهمذان فقسطا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وغابوا في تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان محمودا فجد السير اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان سنجر وشكيا اليه من الخليفة وبرنقش الزكوي

## ﴿ذكر فتح البرسقي كفرطاب وانهزامه من الفرنج﴾

في هذه السنة جمع البرسقي عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج وسار الى قلعة عزاز وهي من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصروها فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من

طبرستان ومقتله وخبر الاطروش الحسن بن علي بن الحسن (قال المسعودي) وقد أتينا على ذكر سائر الاحداث والكوائن في أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك في كتابنا أخبار الزمان والاوسط وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفي به الناظر فيه وانتهى التصنيف فيه الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ونحن بفسطاط مصر والغالب على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد ابن بويه الديلمي المسمى معز الدولة وأخوه الحسن ابن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الاهواز وغيرها المسمى ركن الدولة وأخوهما الاكبر والرئيس المعظم علي بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بأرض فارس والمدبر منهم لامر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة وهو المحارب لابن يديبين بأرض البصرة والمطيع معه على حسب ما يفضو الينا من أخبارهم ودلك أنا كتابنا هذا بالقليل على الكثير وبالجزء القليل على الجليل الخطير وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره في الآخر الا ما لا يسع تركه ولم نجد بدا من ايراده لما دعت الحاجة الى وصفه وأتينا على أخبار أهل كل عصر وما حدث فيه من الاحداث وما كان فيه من

ألف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قتل المأمون بن البطائحي﴾

في هذه السنة في رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله ابن البطائحي الملقب بالمأمون وصلبه واخوته وكان ابتداء أمره أن أباه كان من جواسيس الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيأ فتزوجت أمه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان كريما واسع الصدر قنوعا لا سنا كالدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر العمازون في أيامه وأما سبب قتله فانه كان قد أرسل الامير جعفرا أخا الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير أذى واطراح فحضر عند الآمر وأعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل الاحسان بالاساءة

﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة توفي شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر ويعرف قديما بقلعة دوس وفيها قتل القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى الى خراسان في رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد وقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثير في الدولة السلجوقية وفي هذه السنة توفي هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد وهو من ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ القرآن وكان موته بسمرقند

﴿ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس﴾

في هذه السنة عظم شأن ابن ردمير الفرنجي بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج في عساكر كثيرة من الفرنج وجاس في بلاد الاسلام وخاضها حتى وصل الى قريب قرطبة وأكثر النهب والسبي والقتل فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة وقصدوه فلم يكن لهم به طاقة فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل فيهم وعاد الى بلاده

﴿ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان﴾

في هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث وهي لهم وجيشا الى بيهق من أعمال نيسابور وكان في هذه الاعمال قرية محصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسير الى كل طرف من أعمالهم جماعا من الجند ووصاهم أن يقتلوا من لقوهم منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التي سيرت اليها فاما القرية التي

والامم وأخبارها وأرجو أن يفسح الله تعالى لنا في البقاء ويمدنا بالعمر ويسعدنا بطول الايام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمنه فنونا من الاخبار وأنواعا من طرائف الآثار على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الاخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الاخبار ومختلط الآثار تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا وجميع ما أوردناه في هذا الكتاب لا يسع ذوي الدراية جهله ولا يعذر في تركه والتغافل عنه فمن عد أبواب كتابي هذا ولم يعن النظر في قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلناه ولا عرف للعلم مقداره فلقد جمعنا فيه في عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان في الاسفار وطواف في البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام فمن قرأ كتابنا هذا فليتدبره بعين المحبة وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب وليرع لي نسبة العلم وحرمة الادب وموجبات الرواية مما تجشمت من التعب فيها فان منزلتي فيه وفي نظمه وتأليفه بمنزله من وجد جوهرا باعمال

منثورا ذا أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلكا واتخذ عقدا نفيسا ثمينا باقيا لطلابه وليعلم من نظر فيه أني لم أتعصر
فيه لمذهب ولا تخيرت الى قول ولا حكيت عن الناس الا مجالس ٢٢٥ أخبارهم ولم أعرض فيه لغير ذلك

باعمال بهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طريثيث قتلوا من أهلها فاكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا

﴿ ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس ﴾

فى هذه السنة عظم أمر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها وسبب ذلك ان بهرام ابن أخت الاسدابادى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار داعى الاسماعيلية فيه وكان يتردد فى البلاد ويدعو أوباش الناس وطغامهم الى مذهبه فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفى شخصه فلا يعرف وأقام بحلب مدة ونفق على ايلغازى صاحبها وأراد ايلغازى ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر أصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم وأشار ايلغازى على طغتكين صاحب دمشق بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رأيه وأخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه وأعلن عداوته فكثر اتباعه من كل من يريد الشر والفساد وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانى قصدا للاعتضاد به على ما يريد فعظم شره واستفحل أمره وصار اتباعه أضعافا مما كانوا فلولا ان عامة دمشق يغلب عليهم مذاهب أهل السنة وانهم يشددون عليه فيما ذهب اليه لملك البلد ثم ان بهرام رأى من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوى اليه هو ومن اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه أصحابه من كل ناحية فعظم حينئذ خطبه وجلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين لاسيما أهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرف واحد خوفا من سلطانهم أولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم أحد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

﴿ ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود ﴾

فى هذه السنة ثامن ذى القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بمدينة الموصل قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلى الجمعة مع العامة وكان قد رأى تلك الليلة فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما آذاه فقص رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة أيام فقال لا أترك الجمعة لشئ أبدا فغلبوا على رأيه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فأخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى وكان أمر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الاول فوثب عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من خير الولاة يحافظ على الصلوات فى أوقاتها ويصلى من الليل متهجدا وحكى لى والدى رحمه الله عن بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه ولا يستعين بأحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية صغيرة وبرو بيده ابريق فشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم اننى خفته فقمت بين يديه لآخذ الابريق منه فمنعنى وقال بامسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطنى ورد فى الى مكانى ثم توضأ وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه

فلنذكر الآن الباب الثانى من جامع التاريخ على حسب ما قدمنا الوعد باير اده فى صدر هذا الكتاب

﴿ ذكر جامع التاريخ الباقى من الهجرة الى هذا الوقت ﴾

وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ فى تاريخ العالم والانبياء والملوك الى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه الى هجرته ثم ذكرنا هجرته الى وفاته وأيام الخلفاء والملوك الى هذا الوقت على حسب ما يوجبه الحساب وما فى كتب السير وأصحاب التواريخ ممن عنى باخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم على حسب ما يوجبه تاريخهم فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة الى هذا الوقت المؤرخ ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الاخبار بين

٢٩ ابن الاثير عاشر والمنجمين وما اتفقوا عليه من ذلك فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة احدى للتروية وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذى القرنين وكانت هجرة النبى

صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة احدى بعد ان مضى منها شهران وثمانية أيام فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين واحدى عشر شهرا واثنين ٢٢٦ وعشرين يوما فذلك عشر سنين وشهران (أبو بكر) الصديق رضى الله عنه

أصحاب أبيه بالخير فسار الى الموصل ودخلها أول ذى الحجة وأحسن الى أصحاب أبيه بها وأقر وزيره المؤيد أبا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته وأطاعه الامراء والاجناد واتحد الى خدمة السلطان محمود فاحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعد الاحسان ان أقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية أرسل الى عز الدين بن البرسقى يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبله لشدة عنايته بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من أكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن أخيه قلعة اربل الى الامير فضل وأبى على ابنى أبى الهيجاء وكان ابن أخيه قد أخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن أخيه وسلم اربل الى المذكورين

﴿ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود﴾

كان قد جرى بين برنقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة تهدده الخليفة فيها فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة وشكا اليه وحذره جانب الخليفة وأعلمه انه قد قاد العساكر واقى الحروب وقويت نفسه ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعا ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد وأهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الاكرة عن بلادهم ويطلب منه ان يؤخر هذه الدفعة الى ان ينصلح حال البلاد ثم يعود اليها فلا مانع له عنها ويبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وأبى أن يجيب الى التأخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو وأهله وحرمه ومن عنده من أولاد الخلفاء الى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهر الغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انه لا بد من عودك هذه الدفعة فان الناس هلكوا بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى فى دينه ان يزداد مابهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لقوله ورحل نحو بغداد وأقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وأرسل عفيفا الخادم وهو من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقى وكان عفيف بالجانب الغربى فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاح عنها وأبى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم

سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما فذلك اثنتان وعشرون سنة (عثمان بن عفان) رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما (علىّ) بن أبى طالب رضى الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما والى بيعة معاوية ابن أبى سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما (معاوية) بن أبى سفيان رضى الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر (معاوية) بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما (مروان) بن الحكم أربعة أشهر (عبد الله) ابن الزبير ثمان سنين وخمسة أشهر (عبد الملك) بن مروان حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام ﴿ذكر أيام بنى مروان﴾ عبد الملك بن مروان بن الحكم اثنتى عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة وتغافل أيام (الوليد) بن عبد الملك تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما (سليمان) بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما

ابن يزيد بن عبد الملك حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة سنة وخمسة وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون يوما (يزيد) بن الوليد بن عبد الملك شهرين وسبعة أيام فذلك مائة وخمس وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد (ابراهيم) ابن الوليد بن عبد الملك حتى خلع شهرين وأحد عشر يوما فذلك مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوما (مروان) بن محمد حتى قتل خمس سنين وشهرين فذلك مائة سنة واحدى وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما

## ﴿ذكر الخلفاء من بني هاشم﴾

أبو العباس عبد الله بن محمد أربع سنين وثمانية أشهر ويومين فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما حتى انتهت البيعة الى المنصور وأربعة عشر يوما

وتغافل عن عفيف حتى نجا المودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبي وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقي سواه ووصل السلطان الى بغداد في العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا في دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فامر باخراجهم وبقي فيها من له دار وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجري بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربي يسبون السلطان أفحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة احدى وعشرين وضج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى بأعلى صوته يا لهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عز الدين المستوفي ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير في الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فعدربهم الامير أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل الى عماد الدين واسط يأمره ان يحصر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض براو بحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر في أعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في أعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء فلما رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير أبي الهيجاء من عنده أجاب الى الصلح وتردد الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فرض السلطان ببغداد فاشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفي

## ﴿ذكر مصاف بين طغتكين أتابك والفرنج بالشام﴾

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقسامصتها وكندوها وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا

فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما (أبو جعفر) عبد الله بن محمد المنصور احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر الى المهدي اثنى عشر يوما فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا

وثمانية عشر يوما (المهدى) عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما حتى انتهى الخبر الى الهادى ثمانية أيام فذلك مائة ٣٢٨ وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد (الهادى) سنة وثلاثة أشهر فذلك مائة وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما (الرشيد) ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما فذلك مائة واثنتان وتسعون سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما (الامين) حتى خلع وحبس ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما (المأمون) عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما فذلك مائتان وستة وعشرون سنة وشهران وتسعة عشر يوما (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام فذلك مائتان واحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام فذلك مائتان وست وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد (المنتصر) ستة أشهر فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم واحد الى أن انحدر المستعين الى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر بغداد وثلاثة أيام فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما الى أن خطب للمعتز بمدينة السلام احد عشر شهرا وعشرين يوما فذلك

بمرج الصفر عند قرية يقال لها سقحبا بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين أتابك صاحبها أمراء الترکمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان بها كلما جاءت طائفة أحسن ضيافتهم وسيرهم الى أبيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا وأخرذى الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن اصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى الترکمان لم يقدروا أن يلحقوا بالمسلمين فى الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم وأموالهم وجميع ما معهم وفى جملته كنيسة فيها من الذهب والجوهر مالا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم أحد ولما رجع الفرنج من أثر المنهزمين ورأوا رجالتهم قتلى وأموالهم منهوبة عادوا منهزمين لا يلوى الاخ على أخيه وكان هذا من الغريب ان طائفتين تنهزما كل واحدة منهما من صاحبتها

﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة حصر الفرنج رفنية من أرض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا عليها فملكوها وفيها توفى أبو الفتح أحمد بن محمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو أخو الامام أبى حامد محمد وقد ذمه أبو الفرج بن الجوزى باشياء كثيرة منها روايته فى وعظه الاحاديث التى ليست له بصحيحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو وعظه محشو به مملوءة منه نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة فى الناس ثم يا ليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

﴿ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة﴾

﴿ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق﴾

فى هذه السنة فى ربيع الآخر أسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط فى التحمل والجمع الذى ذكرناه وقام فى حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم فى صدر السلطان وصدور أمرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق يأمن معه من الخليفة فاعتبر امراءه وأعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم فى هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار فى ذلك فكل أشار به وقالوا لا نقدر على رفع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس أحد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ماله من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

﴿ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة أنوشروان بن خالد﴾

فى هذه السنة فى عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما ابعد عن

بغداد قبض على وزيره أبى القاسم على بن القاسم الانسابادى فى رجب لانه اتهمه بمالاة المسترشد بالله لقيامه فى أمره واتمام الصلح مقاما ظهر اثره فسعى به أعداؤه فلما قبض عليه أرسل السلطان الى بغداد أحضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل أحد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقى فيها نحو عشرة أشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد فى شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير أبو القاسم فانه بقى مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الرى سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس فى ذى الحجة وأعاده الى وزارة السلطان محمود وهى الوزارة الثانية

﴿(ذكر وفاة عز الدين بن البرسقى وولاية عماد الدين زنكى الموصل واعمالها)﴾

فى هذه السنة توفى عز الدين مسعود بن البرسقى وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت أموره فى ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية ما كان أبوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقررها فكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع فى التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو محاصر لها فقتله القلعه ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقى مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره وذهب بعضهم بعضا فاشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده أخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقى يعرف بالجاولى ودبر أمر الصبى وأرسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقى وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول فى هذا الامر القاضى بهاء الدين أبو الحسن على بن القاسم الشهرزورى وصلاح الدين محمد أمير حاجب البرسقى فحضر ادركاه السلطان ايخاطبا فى ذلك وكانا يخافان جاولى ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذى صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وأفشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولى وقبح عنده طاعته وقرر فى نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى أجيب الى مطلوبه لا يبقى على أحد منهم وتحدث معه فى المخاطبة فى ولاية عماد الدين زنكى وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضى بهاء الدين الشهرزورى فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضى بهاء الدين وخاطباه فى هذا الامر وضمنا له كل ما أراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت أنت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد أصبحت ولا يتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقى مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض عاديتهم وشرهم فقد قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذى رأى وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمى حوزتها وقد أنهينا الحال لئلا يجرى خلل أو وهن على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا أنهيتم الينا جلية الحال فرفع الوزير قولهما الى السلطان فاستحسنه وشكرهما عليه وأحضرهما

أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما فذلك مائتان وخمس وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام فذلك مائتان وثمان وثمانون سنة وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما (المقتدر) حتى خلع احدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وتسعة عشر يوما (ابن المعتز) حتى خلع يومين فذلك ثلثمائة سنة وستة عشر سنة واحدى وعشرون يوما (المقتدر) حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام فذلك ثلثمائة وتسع عشرة سنة وعشرون يوما (القاهر) حتى خلع سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما فذلك ثلثمائة واحدى وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام (الراضى) ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية ايام فذلك ثلثمائة وثمانية وعشرون سنة وسبعة عشر يوما (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما فذلك ثلثمائة واثنتان وثلاثون سنة وشهر واحد وثلاثة أيام (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة أشهر واثنا عشر يوما (المطيع لله) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلثمائة وخمسة وثلاثون سنة وأربعة أشهر الا ثلاث ليال

(قال المسعودى) وسنو الهجرة قمرية وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب الاخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والايام ومعولنا فيما ذكرنا من التاريخ من ٢٣٠ الهجرة الى هذا الوقت على ما وجدنا فى كتب الزيجات وكان أهل هذه الصناعة يراعون هذه الاوقات ويحيطون علما على التحديد والذى نقلناه من التاريخ فى زيج أبى عبد الله محمد ابن جابر السانى وغيره من الزيجات الى هذا الوقت فأما ما قدمنا ذكره فى هذا الوقت من الهجرة الى هذا الوقت فاننا نعيد ذكره مفصلا فى هذا الكتاب لكى يقرب تناوله على الطالب له ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات (والذى صح) من تاريخ أصحاب السير والاخبار من اهل النقل والآثار أنه بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر عشرا وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم (أبو بكر) سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (عمر) بن الخطاب عشر سنين وتسعة أشهر وأربع ليال (عثمان) بن عفان احدى عشرة سنة (على) ابن أبى طالب أربع سنين (الحسن) بن على ستة أشهر وعشرة أيام (معاوية) بن ابى سفيان سبع عشرة سنة وثمانية أشهر (يزيد) بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر الا ثمان ليال (معاوية) بن يزيد شهرا واحدا وأحد عشر يوما (مروان) بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام (عبد الملك) بن مروان احدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا (الوليد) بن عبد الملك سبع سنين وثمانية أشهر ويومين

واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكر اجماعة منهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فاجاب السلطان الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ بالبوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولى انه ربما صاده عن البلاد فلما دخل البوازيج سار عنها الى الموصل فلما سمع جاولى بقربه من البلد خرج الى تلقيه ومعه جميع العسكر فلما رآه جاولى نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد فى خدمته الى الموصل فدخلها فى رمضان وأقطع جاولى الرحبة وسيره اليها وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا وبهاء الدين قاضى قضاة بلاده جميعها وزاده أملاكا واقطاعا واحتراما وكان لا يصدر الا عن رأيه فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمر وبها مماليك البرسقى فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه الى ذلك فجد فى قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فامر الناس فالقوا أنفسهم فى الماء ليعبروه الى البلد فتعلموا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم فى السفن وبعضهم فى الاكلاك وتكاثروا على أهل الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى أرض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم أهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك ضعفوا ووهنوا وأيقنوا أن البلد يملك سلما أو عنوة فارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وكان هو أيضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك الليلة زيادة عظيمة لحقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء ولو أقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره ولم ينج منهم احد فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته وأيقنوا ان امره هذا بداية لعظيم ثم سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده على اتابك زنكى فوعده النجدة بنفسه وجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وأرسل رقاعا على أجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران فى العسكر الكثير اليهم وازاحة عماد الدين عنهم ويأمرهم بحفظ البلد خمسة أيام فبينما اتابك فى خيمته اذ سقط طائر على خيمة تقابله فامر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فامر ان يكتب غيرها يقول فيها انى قصدت ابن عمى ركن الدولة وقد وعدنى النصرة وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول اكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها فى الطائر وأرسله فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط فى أيديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج وأهل حران معهم فى ضر عظيم وضيق شديد فحملوا البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج أهل البلد

(الوليد) بن يزيد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما (مروان) بن محمد خمس سنين وعشرة أيام (عبد الله) ابن محمد السفاح أربع سنين وتسعة أشهر (المنصور) اثنتين وعشرين سنة الا تسع ليال (المهدى) عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما (الهادى) سنة وستة أشهر (الرشيد) ثلاثة وعشرين سنة وستة أشهر (الامين) أربع سنين وستة أشهر (المأمون) احدى وعشرين سنة سواء (المعتصم) ثمان سنين وثمانية أشهر (الواثق) خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام (المتوكل) أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال (المنتصر) ستة أشهر (المستعين) ثلاث سنين وثمانية أشهر (المعتز) أربع سنين وستة أشهر (المهتدى) احد عشر شهرا (المعتمد) ثلاثا وعشرين سنة (المعتضد) تسع سنين وتسعة أشهر ويومين (المكتفى) ست سنين وسبعة أشهر ويومين (المقتدر) أربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا وستة عشر يوما (القاهر) سنة وستة أشهر وستة أيام (الراضى) ست سنين واحد عشر شهرا وثمانية أيام (المتقى) ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما (المستكفى) سنة وثلاثة أشهر (المطيع) الى غرة جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنه وثمانية أشهر وخمسة عشر يوما (ونحن نؤمل من الله)

وأطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها أرسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه أن يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان أهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وأمن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

فى هذه السنة قتل معين الملك أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكيه بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار أتابك زنكى الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سليمان فى تدريس النظامية ببغداد وفيها أوقع السلطان سنجر بالباطنية فى ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفى فى هذه السنة على بن المبارك أبو الحسن المقرى المعروف بابن العاعوس الحنبلى ببغداد فى شوال وكان صالحا وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن أحمد أبو الحسن بن أبى العضل الهمدانى الفرضى صاحب التاريخ

## ﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة﴾

## ﴿ذكر ملك أتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب﴾

فى هذه السنة أول المحرم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها مع قول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب أميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها أميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عز الدين علامة لم أرها ولا أسلم الابها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قدمات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد وأطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود وأعطوه ألف دينار فتسلم قتلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد أيام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى أموال الناس لاسيما التركمان فانه أخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قد عاصاحبها فاطاعه أهلها فاقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من أصحاب قتلغ ابه وكان أكثرهم بشربون فى البلد صبيحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى المدينة فصونع عمال فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية فى جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد وأشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذى الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن فراقوش وهما من أكابر أمراء البرسقى وقد صار معه فى عسكر قوى ومعه التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامر ان يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا

تعالى البقاء والزيادة فى العمر لنزيد فى هذا الكتاب ما يحدث فى أيامهم وما يكون فى المستقبل من دولتهم فهذا أجل التاريخ من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى ٦٣٢ ستمائة وست وثلاثين وثلثمائة وقد أوردنا فى الكتاب ما ذكر الفريقان جميعا لكى لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ان شاء الله تعالى والتاريخ من المولد الى هذا الوقت معلوم ومن المبعث الى الوفاة معروف غير مجهول ولا يتعذر تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب الا أن معول الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف فى كتبنا من مشاورة عمر الناس فى التاريخ عند حدوث بدئه وما قاله الناس من كل فريق منهم وأخذه بقول على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن يؤرخ بهجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتركه أرض الشرك وان ذلك كان من عمر رضى الله عنه فى سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة على حسب التنازع فى ذلك والله أعلم

اليه وأقام حسن قراقوش بحلب والياعليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين أصلح بينهما ولم يرد واحد امنهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسيانى اليها فى عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكى الى الشام فى جيوشه وعساكره فملك فى طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج أهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب أموره وأقطع أعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذى أراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين فى رياسة حلب أبا الحسن على بن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك أتابك ببلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها وأغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى أنه توفى هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة أهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين فنفعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر قدوم السلطان سنجر الى الرى ﴾

فى هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الرى فى جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه فى العراق ويسهل عليه قصده ويلقى فى نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محمود متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى أجابه الى المسير الى العراق فلما سار واوصل الى الرى وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته أم قد تغير على ما زعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه أمر العسكر جميعه بلقائه وأجلسه معه على التخت وبالغ فى اكرامه وأقام عنده الى منتصف ذى الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير أبو القاسم الانسابادى قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر أمر باطلاقه فأطلقه وقرره سنجر فى وزارة ابنته التى زوجها بالسلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد أعاده محمود الى وزارته فى الرابع والعشرين من المحرم وهى وزارته الثانية

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ثامن صفر توفى أتابك طغتكين صاحب دمشق وهو مملوك الملك تتش بن ألب أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة فى رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الملوك بورى وهو أكبر أولاده بوصية من والده له بالملك وأقر وزير أبيه أبا على طاهر بن سعد المزدقانى على وزارته وفيها مستهل رجب توفى الوزير جلال الدين أبو على بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فنه فى مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وان أمير المؤمنين زلاله

وفيها حج بالناس أمير المؤمنين المسترشد بالله

وفيها حج بالناس أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين

(قال المسعودى) فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ورجع الى المدينة واستعمل عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية على مكة فحج بالناس سنة ثمان وقيل بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين خرج من المدينة مع ثلثمائة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين

بدنة ثم أرسل على أثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأدركه بالعرج ومعه سورة براءة فأذن بها يوم النحر عند العقبة فأقام أبو بكر الحج وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ويوم عرفة بعرفة ويوم النحر بمنى ثم كانت سنة عشر فحج بالناس سيد المرسلين

وصورت معنى العقل شخصا مصورا * وان أمير المؤمنين مثاله
ولولا طريق الدين والشرع والتقى * لقلت من الاعظام جل جلاله

وأقيم في النيابة بعده شرف الدين علي بن طراد الزينبي ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بني العباس هاشمي غيره وفيها هبت ريح شديدة اسود لها الآفاق وجاءت بتراب أحمر يشبه الرمل وظهر في السماء أعمدة كأنها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة﴾

﴿(ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد)﴾

في هذه السنة في المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولى دبيس شيأ من البلاد ويبذل مائة الف دينار لذلك وعلم أتابك زنكي أن السلطان يريد أن يولي دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه وأعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له شيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وأدخله الى حمام في داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة أيضا

﴿(ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد)﴾

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل أمر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فاخذ دبيس ابنه صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس أحضر الاميرين قزل والاحمديلي وقال أنتما ضمنتما دبيسا مني وأريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكفه شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر أرسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما أخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد في شوال وسار في اثر دبيس ثم ان السلطان سار الى العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي ألف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد في ذي القعدة فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة ومالا للخليفة والسلطان هنالك من الدخل فسير السلطان اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

﴿(ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق)﴾

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كانت سنة احدى عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة اثنتي عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس

ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة تسع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة عشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة احدى وعشرين فحج بالناس عمر ابن الخطاب ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ثم قتل رضي الله عنه آخر ذي الحجة ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد



الرحمن بن عوف ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان الى سنة أربع وثلاثين ثم كانت سنة خمس وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان وهو محصور ثم كانت سنة ست وثلاثين

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسدابادي ببغداد وهرب ابن أخته بهرام الى الشام وملكه قلعة بانياس ومسيره اليها ولما فارق دمشق أقام له بها خليفة يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من اعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليهم الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا من أعيان أصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته في البلاد وعاضده المزدقاني أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الامتعاض بهذه الحادثة والهم بسببها ثم ان المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه أبو الوفا ففوى أمره وعلا شانه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولي على من بها من المسلمين وحكمه أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم ان المزدقاني راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية ان يحتاطوا ذلك اليوم بأبواب الجامع فلا يمكنون أحدا يخرج منه ليجيء الفرنج ويملكوا البلاد فبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقاني اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك وعلق رأسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورد على الكافرين كيدهم ولما تمت هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والي بانياس أن يثور به وبمن معه من الناس فهلكوا وراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فاجابوه فسلم القلعة اليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفي اسمعيل أوائل سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

## ﴿ ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم ﴾

لما بلغ الفرنج قتل المزدقاني والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسفوا على دمشق حيث لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من الفرنج وقاصمتهم ومن وصل اليهم في البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا في خلق عظيم نحو الفي فارس وأما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج في ذي الحجة فنازلوا البلد وأرسلوا الى أعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد سار وا الى حوران انهبه واحضار الميرة سير أسيرا من امرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة ثانية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا وأخذوا اماما معهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة أسير وعادوا الى دمشق لم يمسسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين وأحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد

---

ج بالناس عبد الله بن عباس ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث علي بن أبي طالب على الموسم عبد الله بن العباس وبعث معاوية بن أبي سفيان مسحرة الزهاوي فاجتمعا بمكة وتنازعا الامارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه فاصطلحا على أن يصلي بالناس شيبة بن عثمان الحجبي ففعل ذلك ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ج بالناس قثم بن عباس نائب مكة ثم كانت سنة تسع وثلاثين ج شيبة بن عثمان ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن علي في الخلافة فحج بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال انه افتعله فيما قيل ثم كانت سنة احدى وأربعين ج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم ج بعده مروان بن الحكم ثم كانت سنة أربع وأربعين ج معاوية بن أبي سفيان ثم كانت سنة خمس وأربعين ج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وأربعين ج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة سبع وأربعين ج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة ثمان وأربعين ج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة تسع وأربعين ج بالناس سعيد بن العاص ثم كانت سنة خمسين ج بالناس معاوية بن أبي سفيان ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ج بالناس سعيد ابن العاص عامين ثم كانت سنة أربع وخمسين ج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة خمس وخمسين ج بالناس مروان بن الحكم ثم كانت سنة ست وخمسين والبرد ج بالناس عتبة بن أبي سفيان ثم كانت سنة سبع وخمسين ج بالناس الوليد بن عتبة عامين ثم كانت سنة تسع وخمسين ج بالناس

والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة من هذه السنة

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماه ﴾

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماه وسبب ذلك أنه عبر الفرات الى الشام وأظهر أنه يريد جهاد الفرنج وأرسل الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده و يطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وأرسل من أخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت الموثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وأرسل الى ابنه سونج وهو بعدينة حماه يأمره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكي ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم وأحسن لقاءهم وتركهم أياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء المقدمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماه فوصل اليها وهي خالية من الجند الحماة الذابين عنها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجة معه في عسكره وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها ان يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فارسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فاقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لمن فيها مدة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء الدمشقيين وترددت الرسل في اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين آلف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

في هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفي هذه السنة أيضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفي هذه السنة توفي الامام أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الميهني الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة في الخلاف وتفقه على أبي المظفر السمعاني وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفي حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوي الحسني النيسابوري سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدي المذهب

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ﴾

﴿ ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور ﴾

في هذه السنة في ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك أنه كان قد رتب فيها لما ملكها أولا ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فاصابه فالج فاستناب ابنه يعرف بنصرخان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوي فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم في البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان فارسل اليه واستدعاه فلما قارب

عبد الله بن الزبير الى سنة احدى وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف وقتل عبد الله بن الزبير ثم كانت سنة أربع وسبعين حج بالناس الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس الى سنة ثمانين أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة احدى وثمانين حج بالناس سليمان بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس الى سنة خمس وثمانين هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد ابن مغيرة المخزومي ثم كانت سنة ست وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ثم كانت سنة ثمان وثمانين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة احدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة اثنين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثلاث وتسعين حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع وتسعين حج بالناس مسلمة بن عبد الملك ثم كانت

ابن أسيد بن العاص بن أمية ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ثم كانت سنة احدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ثم كانت سنة اثنتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ثم كانت سنة ثلاث ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير ابن سبع بن عوف بن نضر ابن معاوية النضري ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ثم كانت سنة خمس ومائة حج بالناس ابراهيم ابن هشام بن اسمعيل المخزومي ثم كانت سنة ست ومائة حج بالناس هشام ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع ومائة حج بالناس ابراهيم بن هشام المخزومي الى سنة اثنتي عشرة ومائة ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان ابن هشام بن عبد الملك ثم كانت سنة أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم ابن العاص بن أمية ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن اسمعيل بن الوليد بن المغيرة ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو وعلوا ولى عهده ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن

سمرقند خرج العلوى ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوى فى الحال وقبض على الرئيس وكان والده أرسلان خان قد أرسل الى السلطان سنجر رسولا يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم أمره مع العلوى والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فارسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوى والرئيس وانه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك وأقام أياما فبينما هو فى الصيد اذ رأى اثنى عشر رجلا فى السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فاقروا أن محمد خان أرسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فلما رأته عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقى وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما نزل اليه اكرمه وأرسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقى عندها الى ان توفى وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين ان مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين للحاجة الى ذكره هناك

## ﴿ذكر فتح عماد الدين زنكى حصن الاثارب وهزيمة الفرنج﴾

لما فرغ عماد الدين زنكى من أمر البلاد الشامية حلب وأعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا وأعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوى عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع أعمالها الغربية حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان أهل البلد معهم فى ضر شديد وضيق كل يوم قد أغاروا عليهم ونهبوا أموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا أن هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا واجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيأ الا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم سار وانحوه فاستشار أصحابه فيما يفعل وكل أشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج فى بلادهم خطر لا يدرى على أى شئ تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا وسارو الى أثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى أنزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج أقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم فى الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالانجاز وقال هذا أول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه فى قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجترت بتلك الارض سنة أربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لى ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين وجعله دكا وبقى الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهى بالقرب من انطاكية فحصرها وهى أيضا للفرنج فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين

وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم فى حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا فى ملك الجميع

﴿ ذكر ملك عماد الدين زنكى أيضا مدينة سرجى ودارا ﴾

لما فرغ من أمر الاثارب وتلك النواحى عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش ابن ايلغازى صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجى وهى بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين ألفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحى فهزمهم عماد الدين وملك سرجى فحكى لى والدى قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة وأراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التى فى الطريق وسار الى دارا فملكها وهى من القلاع فى تلك الاعمال

﴿ ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوى ﴾

فى هذه السنة ثانى ذى القعدة قتل الآمر باحكام الله أبو على بن المستعلى العلوى صاحب مصر خرج الى منتزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سيئ السيرة فى رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدى عبيد الله الذى ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو أيضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدى أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولى بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم ابن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر فى الامر نيابة حتى يكشف عن حمل ان كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان أباه خرج من مصر اليها فى الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولى استوزر أبا على أحمد بن الافضل بن بدر الجمالى واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه وأودعه فى خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو على وبقى الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل أبو على كل ما فى القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبو على سنة ست وعشرين فاستقامت أمور الحافظ وحكم فى دولته وتمكن من ولايته وبلاده

﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهى زوجة السلطان محمود وفيها قتل بيمند الفرنجى صاحب انطاكية وفيها توفى نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك فى شعبان ببغداد ووقع الحريق فى داره بعد وفاته وفى حظائر الحطب والسوق التبنى فذهب من الناس أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الذواد المفرج بن الحسن بن الصوفى لصاحب دمشق تاج الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقى بغداد تولاه البديع الاسطرلابى ولم يتم وفيها ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد وأذى عظيم وفيها فى ذى الحجة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة أخيه السلطان محمود قوى وان عمه سنجرا أمره بذلك فاستشعر

اسمعيل الى سنة أربع وعشرين ومائة ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف بن أخى الحجاج بن يوسف ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله ابن عبد الملك ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك ابن مروان وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الازد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج الى منزله ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ثم كانت سنة احدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب اقتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان ابن محمد (قال المسعودى) فهذا آخر حاج بنو أمية ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحرشى ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على

السلطان محمود وسار عن بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه أخوه الملك مسعود وخدمه ولم يظهر للارجاف أثرا فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة في ربيع الاول بالعراق وبلاد الجبل والموصل والجزيرة فخربت كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة ألموت وفيها توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد أبو اسحق الغزي من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

في فتية من جيوش الترك ما تركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

﴿وله في الزهد﴾

انما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

وفيها توفي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدباس أبو عبد الله النحوي الشاعر المعروف بالبارع أخو أبي الكرم بن فاخر النحوي لامه ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة وله شعر ملیح فمنه قوله

ردي على الكرى ثم اهجري سكني * فقد قنعت بطيف منك في الوسن
لا تحسبي النوم قد أوحشت أطلبه * الارجاء خيال منك يؤنسني
تركتني والهوى فردا أغالبه * ونام ليلك عن هم يؤرقني

وهي طويلة وفيها توفي هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد أبو سعد المهرواني النيسابوري ومولده سنة احدى وثلاثين وأربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

﴿ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة﴾

﴿(ذكر أسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكي)﴾

في هذه السنة في شعبان أسر تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس بن صدقة صاحب الحلة وسلمه الى أتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب ذلك أنه لما فارق البصرة على ما ذكرناه جاءه قاصد من الشام من صهر خديستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفي في هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت انها لا يتم لها ذلك الا بان تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وما هو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صهر خدلتتزوج به وتسلم القلعة وما فيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من أرض العراق الى الشام فصل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع أتابك عماد الدين زنكي الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فاجاب تاج الملوك الى ذلك وأرسل أتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فلقيهم دبيس بالهلاك ففعل زنكي معه خلاف ما ظن وأحسن اليه وحمل

له الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه ما يفعل مع أكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديد الدولة بن الانبارى وأبابكر ابن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان متحققا به من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم أتابك زنكى بدمشق واستخف به و بلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من يأخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه وأما ابن الانبارى فسجنه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكى حتى انحدر معه الى العراق على ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ﴾

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره أبو القاسم الانسابادى من جماعة من الامراء وأعيان الدولة منهم عزيز الدين أبو نصر أحمد ابن حامد المستوفى والامير أنوشتكين المعروف بشير كير وولده عمر وهو أمير حاجب السلطان وغيرهم فاما عزيز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها وأما شير كير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوال وأقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير أبى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمدىلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما اطمأن الناس وسكنوا سار الوزير باموال الى الرى فامن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشر بن يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

## ﴿ ذكر عدة حوادث ﴾

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ أحدهما وتنسر الآخر وبقى فيه ألمه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه وفيها توفى الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله أخو المسترشد بالله فى رجب وفيها فى شوال توفى الحسن بن سلمان بن عبد الله أبو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداد واصله من الزوزان والخطيب أبو نصر أحمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث وله أصحاب وتلامذة كثيرون سار وا ورأيت الشيخ أبا الفرج بن الجوزى قد ذمه وثلبه ولهذا الشيخ أسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزى قد صنف كتابا سماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على أحد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله محمد بن عبد الواحد بن الحسين الشيبانى الكاتب ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة سمع أبا على بن المهذب وأبا طالب بن غيلان وغيرهما وهو راوى مسند أحمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن بن على بن الحسن أبو غالب الماوردى ولد سنة خمسين وأربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود

---

ابن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله ابن شهر بن يزيد بن مثوب الحميرى ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادى بن موسى بن المهدى وهو ولى عهد ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن جعفر بن أبى جعفر ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس على بن المهدى ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبى جعفر ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ثم كانت سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن ابراهيم بن محمد بن على ثم كانت سنة سبع وستين ومائة حج بالناس ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ثم كانت سنة ثمان وستين ومائة حج بالناس على بن محمد المهدى ثم كانت سنة تسع وستين ومائة حج بالناس سليمان بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة سبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة احدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن على ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس

مكة ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد الى سنة تسع وسبعين ومائة ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى بن محمد بن ٣٤٠ على ثم كانت سنة احدى وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدى ثم كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس ابراهيم بن المهدى ثم كانت سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدى ثم كانت سنة ست وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج بالناس عبد الله بن العباس بن على وقيل منصور بن المهدى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن على ثم كانت سنة تسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة احدى وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ثم كانت سنة اثنتين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ابن محمد بن على ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس على بن الرشيد ثم كانت سنة خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ثم كانت سنة ست وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى الى ثمان وتسعين ثم كانت سنة تسع وتسعين ومائة حج بالناس

السجستانى وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

﴿(ذكر قتل أبى على وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)﴾

فى هذه السنة فى المحرم قتل الافضل أبو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله العلوى صاحب مصر وسبب قتله أنه كان قد حجر على الحافظ ومنعه أن يحكم فى شئ من الامور قليل أو جليل وأخذ ما فى قصر الخلافة الى داره وأسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذى هو جدهم واليه تنسب الاسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق وأسقط من الاذان حى على خير العمل ولم يخطب للحافظ وأمر الخطباء أن يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهى السيد الافضل الاجل سيد ممالك أرباب الدول والمحامى عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين والابعدين ناصر امام الحق فى حالتى غيبته وحضوره والقائم بنصرته بمانضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره أمين الله على عباده وهادى القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتى السيف والقلم أبو على أحمد بن السيد الاجل الافضل شاهنشاه أمير الجيوش وكان امامى المذهب يكثر ذم الامر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين وممالكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج فى العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه وكمن له جماعة منهم مماليك افرنجى كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجى عليه فطعنه فقتله وحز رأسه وخرج الحافظ من الخزانة التى كان فيها ونهب الناس دار أبى على وأخذ منها ما لا يحصى وركب الناس والحافظ الى داره فأخذ ما بقى فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع له بولاية العهد وأن يكون كافلا الحل ان كان للامر فلما بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس الحافظى فى ذلك اليوم بعينه ولقب أمير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشر فخافه الحافظ على نفسه وتخيل منه يانس فاحتاط ولم يأكل عنده شيأ ولا شرب فاحتال عليه الحافظ بان وضع له فراشه فى بيت الطهارة ماء مسموما فاغتسل به فوقع الدود فى سفله وقيل له متى قمت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطرى فى المحل فيعلق به الدود فيخرج ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كانه يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفى من ليلته وكان موته فى السادس والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ولما مات يانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت ألقاب أبى على تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحدها اذا كان هكذا فينبغى أن يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان تربة مصر هكذا تولد ألا ترى الى فرعون يقول أنا ربكم الاعلى والى أشياء أخر لا نطيل بذكرها

﴿(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوق شاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)﴾

لما توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على

محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي ووثب ابن الافطس العلوي بمكة فقبض عليها فتحى محمد بن داود ولم يمض الى عرفة وخرج الناس فوقفوا بغير امام فلما كانوا بالمزدلفة طلع عليهم ابن الافطس فاقام لهم باقي حجتهم ثم كانت ٢٤١ سنة مائتين حج بالناس المعتصم بن

ماذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهم ما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتاخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وأرسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود قد تقدمت في طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من أراد خطب له وأرسل الى السلطان سنجر أن لا يأذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي أن تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوجده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمد سار به اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان وأكرمه الخليفة واستخلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود بطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدز داريها حينئذ نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سببا لاتصاله به والمصير في جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره وأما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وأرسل سلجوقشاه الى قراجه يستحثه على المبادرة فعاد سريعا وعبر دجلة الى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع الى ورائه وأرسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الري وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم أن تتفقوا على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فاعاد الخليفة الجواب يستوقفه وتردد الرسل في الصلح فاصطلحوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولي عهده وتحالفوا على ذلك وعاد السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه في دار الشحنكية وكان اجتماعهم في جمادى الاولى

## ﴿ ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر ﴾

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد وكان عنده قد لازمه فوصل الى الري ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقي والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان سنجر وتاخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة وألزمه وقال ان الذي نخاف من سنجر

اسحق ثم كانت سنة احدى ومائتين حج بالناس اسحق ابن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين ومائتين حج بالناس ابراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أول طالبي أقام للناس الحج في الاسلام على انه أقام متغلبا عليه لا مولى من قبل خليفة وكان ممن سعى في الارض بالفساد وقتل أصحاب ابراهيم بن عبيد الله الحجبي وغيره في المسجد الحرام ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وغيره من أهل العبادة ثم كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله ابن جعفر بن سليمان بن علي ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله ابن الحسن بن عبيد الله ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ثم كانت سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح ابن الرشيد ومعه زبيدة الى سنة عشر ومائتين ثم كانت سنة احدى عشرة ومائتين حج بالناس اسحق بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس المأمون ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ثم كانت سنة اربع عشرة ومائتين حج

بالناس عبيد الله بن عبد الله ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبد الله بن عبيد الله أيضا ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن علي ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس ابن محمد ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضا ثم كانت سنة احدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ثم كذلك الى سنة ست وعشرين ومائتين ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس الى سنة خمس وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ومعه جدته شجاع ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين الى سنة احدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن نظر ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وأربعين ومائتين

آجلا أنا أفعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى أن بلغ الى خانقين وأقام بها وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة الى قريب بغداد فأما دبيس فانه ذكر أن السلطان سنجر أقطعه الحلة وأرسل الى المسترشد بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك وأما عماد الدين زنكي فانه ذكر أن السلطان سنجر قد أعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وأمر أهلها بالاستعداد للدافعة عنها وجند أجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى دامرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر في خلق كثير فتأخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان ونزل السلطان سنجر في اسداباذ في مائة ألف فارس فسار مسعود وأخوه سلجوقشاه الى جبلين يقال لهما كاو وماهي فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم أسرع في طلبهم فرجعوا الى وراثهم مسيرة أربعة أيام في يوم وليلة فالتقى العسكران بمولان عند الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظارا لقدوم المسترشد فلما نازله السلطان سنجر لم يجد بدا من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن أخيه محمد وقماج وأمير أميران وعلى ميسرته خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعود على ميمنته قراجة الساقي والامير قزل وعلى ميسرته برنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقي على القلب وفيه السلطان سنجر في عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة في الوسط فقاتل الى أن جرح عدة جراحات وقتل كثير من أصحابه وأخذ هو أسيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين ازبك وهما من أكابر الامراء وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر وأحضر قراجة فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد أي شئ كنت ترجو بقتالي قال كنت أرجو أن أقتلك وأقيم سلطانا أحكم عليه فقتله صبرا وأرسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان قد بلغ جوغ فلما رآه قبل له وأكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته وأعاده الى كنجة وأجلس الملك طغرل ابن أخيه محمد في السلطنة وخطب له في جميع البلاد وجعل في وزارته أبا القاسم الانساباذي ووزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فوصل الى نيسابور في العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وأما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

## ﴿ذكر مسير عماد الدين زنكي الى بغداد وانهزامه﴾

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود عزم على العود الى بغداد فاتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكي الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وأمرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربي وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البراهكة سابع عشر رجب فابتدأ زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل

محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر ٢٤٣ بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ويلقب بساسان ثم كانت سنة احدى وخمسين ومائتين وقف بالناس اسمعيل بن يوسف العلوي المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب وبطل الحج الا يسيرا لان اسمعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا انه كان يسمع بالليل تلبية القتلى وكان شأنه في الفساد عظيما ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبد الله ابن محمد بن سليمان بن عبد الله الرسي ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد ابن علي ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس علي بن الحسين أيضا ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى ابن جعفر بن المنصور ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل ابن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد ابن علي ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس ابراهيم ابن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن بويه ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ثم كانت سنة احدى

انظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وأراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم أيضا وقتل من العسكر جماعة وأسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

## ﴿ ذكر حال دبيس بعد الهزيمة ﴾

وفيها عاد دبيس بعد انهزامه المذكور بلاد الحلة وتلك النواحي وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدي فأمد بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى في أجمة هناك وبقي ثلاثة أيام لم يطعم شيأ ولم يقدر على التخلص منها حتى أخرجه حماس على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن أبي الجبر ولم يزل فيها الى أن دخلت سنة سبع وعشرين وفيها رسم برنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدي في عسكر فاقتتلوا في الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيرهما من الامراء

## ﴿ ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق ﴾

في هذه السنة في رجب توفي تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذي كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن وأصعفه وأسقط قوته فتوفي في الحادي والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بوري كثير الجهاد شجاعا قد اما استمد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الحياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز نحنة دمشق وهو حاجب أبيه واعتمد عليه وابتدأ أمره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصد عليه

## ﴿ ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك ﴾

في هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفي كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاقتضى على ذلك وتجهز من غير أن يعلم أحدا وسار هو وعسكره آخر ذي القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف لوقته فلم يتمكنوا النصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن راس فبغتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها أخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع في الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف في الفارس والراجل وقاتله أهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فلك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقي الحصن فقاتله وفيه أخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما رأى أخوه شمس الدولة شدة الامر أرسل يبذل الطاعة ويسأل أن يقر على ما بيده وجعله أبوه باسمه فاجابه الى مطلوبه وأقر عليه بعلبك وأعمالها

وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد بن علي ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم ٢٤٤ كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس الى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى ابن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثم كانت سنة تسع وسبعين ومائتين حج بالناس الى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى ابن موسى ثم كانت سنة ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى ابن جعفر بن أبي جعفر المنصور ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد ابن علي ولم يزل يحج بالناس كل سنة الى سنة خمس وثلثمائة ثم كانت سنة ست وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى ابن سليمان بن محمد بن ابراهيم الامام وهو المعروف باخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شعب أم المقتدر بالله ثم كانت سنة سبع وثلثمائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضا ثم كانت سنة ثمان وثلثمائة حج بالناس الى سنة احدى عشرة وثلثمائة اسحق بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد ثم كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة حج بالناس الحسن صفر ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة حج بالناس

وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

## ﴿ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود﴾

في هذه السنة في رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر أجلس الملك طغرل في السلطنة كما ذكرناه وعاد الى خراسان لانه بلغه أن صاحب ماوراء النهر أحمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لئلا في ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهما أصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل بن برسق وعلى ميسرته قرل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود برنقش الزكوي ولم يقاتل فلما رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف في عسكر داود فلما رأى اتابكه آقسنقر الاحمدلي ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على برنقش الزكوي وعلى جماعة من الامراء وأما الملك داود فانه لما انهزم بقي متحيرا الى أوائل ذي القعدة فقدم بغداد ومعه اتابكه آقسنقر الاحمدلي فاكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علي بن طراد الزينبي واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسأل الاقالة وفي هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر مستوفي السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ومولده في شعبان في سنة احدى وخمسين وأربعمائة وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر وابن الحسين بن المهتدي وغيرهما وتفقه قتله أصحابه غيلة وأخذوا ماله وفي جمادى الاولى توفي أحمد بن عبيد الله ابن كادش أبو العز العكبري وكان محدثا مكثرا وتوفي فيها أبو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء وكان أديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

أمولانا جلال الدين يامن * أذكره بخدمتي القديمه
ألم تك قد عرضت على اصطناعي * فماذا صدعن تلك العزيمه

## ﴿ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة﴾

## ﴿ذكر ملك شمس الملوك بانياس﴾

في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك ان الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكى التجار الى شمس الملوك فراسل في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يرد واشيأ فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتأهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أو اخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول

صفر وقاتله لساعته وزحف اليه زحفا متتابعا وكانوا غير متاهبين وليس فيه من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور ونقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرغ الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرغ وأسر كثيرا ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا اليوم ونهارا فلكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرغ فانهم لما سمعوا نزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فاتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

## ﴿ذكر حرب بين المسلمين والفرغ﴾

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرغ صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى أطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العساكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب ورد ملك الفرغ في أعمال حلب فعاد أسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر ووقع على طائفة منهم فاوقع بهم وأكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرغ من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم أسوار فخرج اليهم هو والامير حسان المنبجي فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال وأسروا من لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

## ﴿ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل﴾

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كرسي وولاية الملك طغرل السلطنة وانه تحارب هو والملك داود بن أخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعودا انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد أيضا فلما قاربها القيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة وخاطب في الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فسار وا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمدیلی مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منه كثير منهم بمدينة أردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل فلما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر ثم انهزم طغرل وقصد الري واستولى السلطان مسعود على همذان في شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمدیلی قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى أصبهان ودخلها وأراد التحصن بها فسار اليه أخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل ان أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على أصبهان وفرح أهلها به وسار من أصبهان نحو فارس يقتص أثر أخيه طغرل فوصل

عبد الله بن العباس بن محمد المعروف بابي أحمد الازرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن العباس ثم كانت سنة ست عشرة وثلثمائة ح بالناس أبو أحمد الازرق أيضا ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين مكة وقد حصر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المقدم نسبه اليه لاقامة الحج خليفة لابيه وكان من أمر الناس ما كان فيما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ولم يتم ح في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة هذه من أجل حادثة القرامطة امنهم الله الا ان القوم يسيرون غدرا فانهم يجيئون دون امام وكانوا رجالة ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة ح بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي خليفة لابيه الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة ح بالناس فيها جعفر بن علي بن سليمان خليفة الحسن بن عبد العزيز ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة ح بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لابيه أيضا ولم يزل يحج بالناس الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة في هذا الوقت وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة واليه قضاء مصر وغيرها

(قال أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي رحمه الله) قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الاخبار وفنونا من العلم

من أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها والامم وأخبارها وأخبار الارض والبحار وما فيها من العجائب والآثار وما اتصل بذلك ليستدل به على ما سلف من كتبنا ومدخلا الى ما تقدم من تصنيفنا فى أنواع العلوم مما قدمنا ذكره ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقا من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من الاشارات أو لوحنا اليه بفحوى من ٢٤٦ العبارات من أخبار العجم والعرب والكوائن والاحداث فى سائر الامم فمن حرف شيأ من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معانيه أو لبس شاهرة من تراجمه أو غيره أو بدله أو انتحله أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا أو أسقط منه ذكرنا فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يحجر عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للناظرين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلنا هذا التعريف فى أول كتابنا هذا وآخره وكذلك نقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا ونظمناه من تأليفنا فليراقب امرؤ ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير (وقد قدمنا) الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهو ان عرض أو تصحيف أو تغيير من الكاتب ان وقع وما قد دعانا اليه من الاسفار المتواترة والحركة المتصلة تارة مشرقين ومغربين وطورا متيامنين وطورا متشائمين وما يلحقنا من سهو الانسانية ويصحبنا من عجز البشرية عن بلوغ الغاية وتناهى النهاية ولو كان لا يؤلف كتابا الا من حوى جميع العلوم اذن ما ألف أحد كتابا ولا تأتى له تصنيف لان الله عز وجل يقول وكل ذى علم عليم جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ويوفق لرشده ونسأله أن يعمنا بخير شر او يجدهز لا ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ويتغمدنا برحمته انه جواد منان لا اله الا هو رب العرش العظيم

الى موضع بقرب البيضاء فاستأمن اليه أمير من أمراء أخيه معه أربعمائة فارس فامنه فخاف طغرل من عسكره ان ينحازوا الى أخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره أبا القاسم الانسابادى فى الطريق وفى شوال قتله غلمان الامير شير كير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكر اور فوقع بينهما المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهى وحل فأسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى همذان

﴿ تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر أوله ذكر حصر المسترشد بالله الموصل ﴾